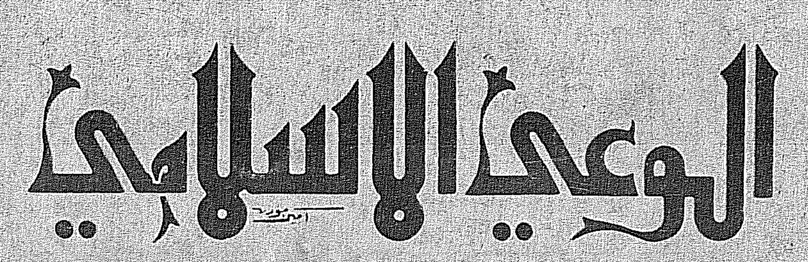
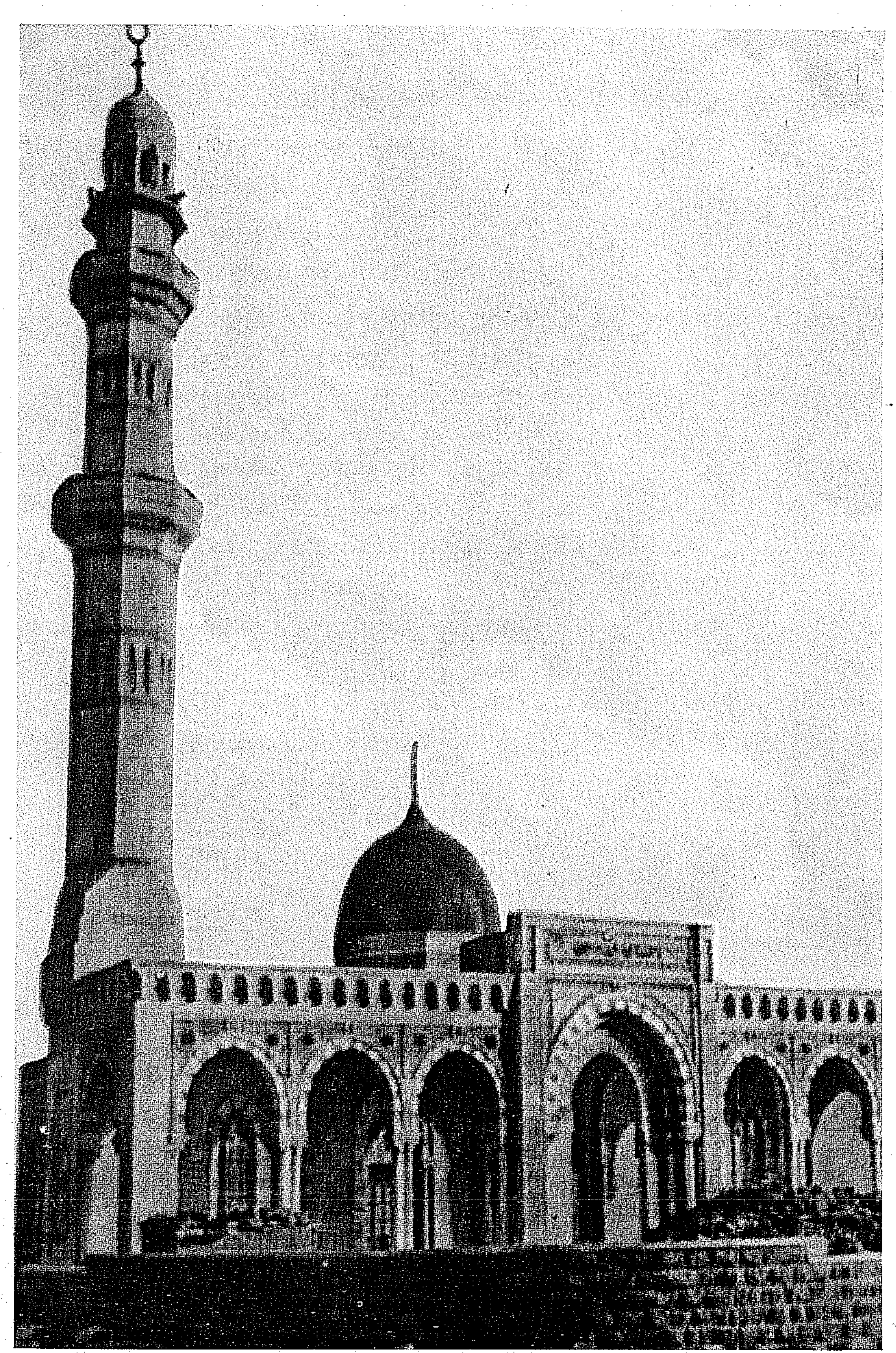
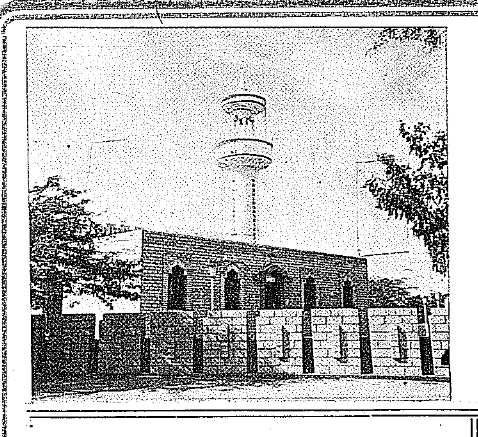


اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ــ العدد ٨٦ ــ غرة صفر ١٣٩٢ هـ ــ ١٦ مارس (آذار) ١٩٧٢ م



الجامع الجـديد فى مدينة البيرة شمال مدينة القدس وقد سقطت فى قبضة اليهود أخيرا .



مسجد أحمــــد عبد الله الصقر
بمنطقة الشامية احدى مناطق الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة الثامنة

العدد السادس والثمانون

غـــرة صفر ١٣٩٢ هـ

١٦ مارس (آذار) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســــياسية

الثمـــــن

الكـويت	٥٠	فلســا
السعودية	١	ريـــال
العـــراق	٧٥	فلســا
الاردن	٥٠	فلســا
ليبيــا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمــا
الجـزائر	دينـــار وربع	
المغـرب	درهـم وربــع	
الخليج العربى	١	روبيـــة
اليمن وعدن	٧٥	فلســا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشــا
مصر والسودان	٤٠	مليمــا

الاشـتراك السـنوى للهيآت فقط

فى الكــويت ١ دينــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأســا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـوان المراسلات

مدير ادارة الدعــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ــ كويت

الهجرة

بداية التطبيق العملي .. لنظام الاسلام في الحياة

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية ، فى مسجد السوق الكبير ، ونقلت الاذاعة والتليفزيون وقائع الحفل الذى حضره عدد كبير من المسلمين وتحدث فيه معالى الوزير الاستاذ راشد الفرحان وبعض السادة الوعاظ وفيما يلى نص الكلمة التى القاها السيد الوزير :

أيها السادة ،

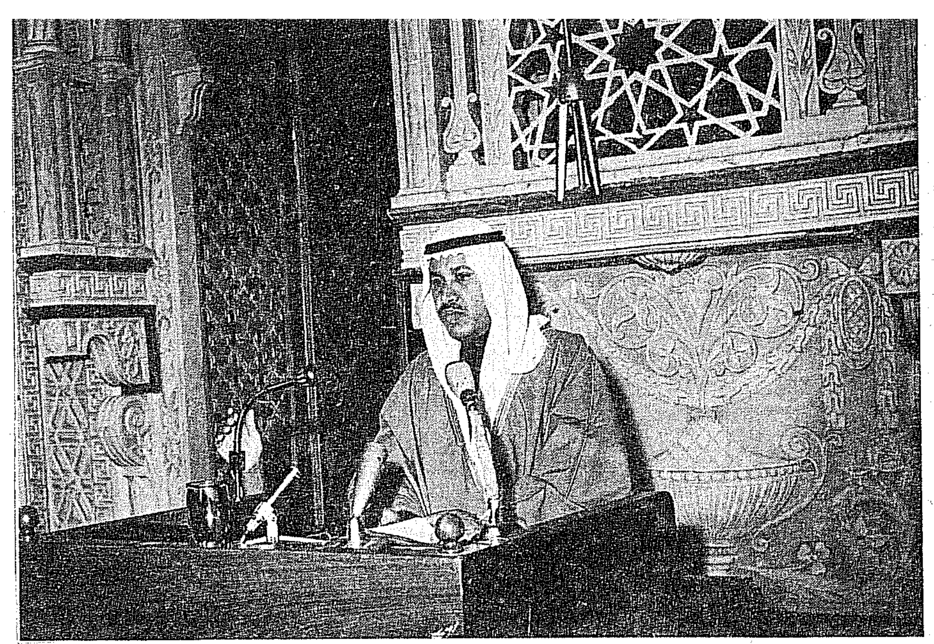
نحتفل بذكرى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، ولهذه الذكرى أهمية عظيمة فى نفوس المسلمين ، اذ أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى بداية للتطبيق العملى لنظام خط الاسلام فى الحياة .

١) ومن أعظم هذه المبادىء اعطاء الامة العربية مكانة واهمية ، فحرص على اذابة الفوارق بين بدوها وحضرها وشعبها وقبائلها وجعلهم ينصهرون فى وحدة واحدة تحت راية دولة واحدة ، وكانت الدولة العربية الاسلامية يومئذ التى هزمت الطغاة واهتز لها البغاة . وكانت لها المكانة العظمى بين الدول واحترمتها الشعوب .

٢) وحدة العقيدة :

جعل العبادة لله وحده بعدما كانت متعددة للحجر والشيطان والانسان .

٣) أقام حكم الشورى (الديمقراطى) السليم .



معالى الاستاذ راشد الفرحـــان وزير الاوقاف والشئون الاسلاميـــة أثناء القاء كلمته ٠

٤) فرض نظام العدالة فى السياسة والاجتماع والاقتصـــــاد (الناس سواسية كأسنان المشط) ٠

٥) أوجد الجيش النظامى والتجنيد الاجبارى وفرض الجهاد فى سبيل الله لتحرير الارض من الكفر والظلم والطغيان ٠

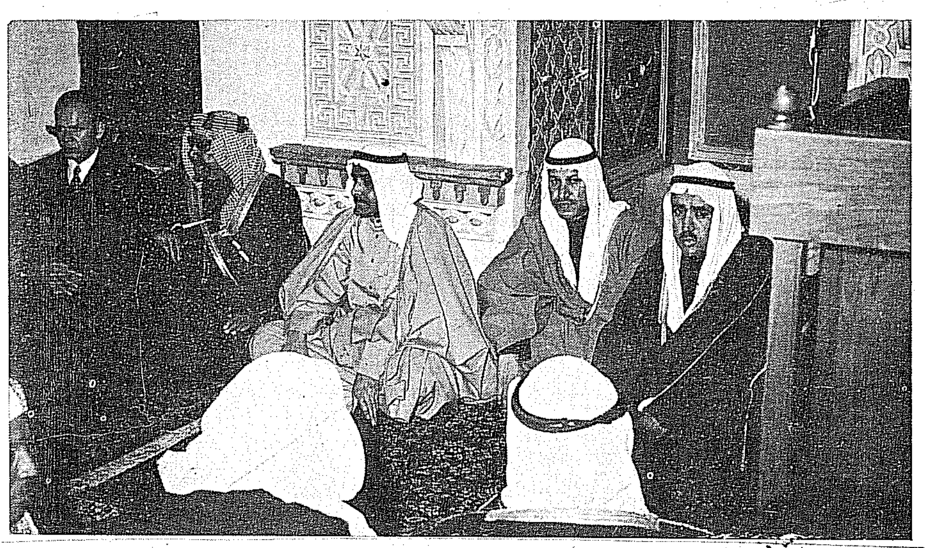
٦) حرر المرأة وأعطاها حق العلم والعمل والتعبير والتفكير وحفظ لها كرامتها وصان حقوقها (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) ٠

٧) قرر الاسلام مبدأ العمل (الاجر على قدر المشـــقة) (لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطـــوه أو منعوه) ٠

٨) دعا الاسلام الى ابداء الرأى وحرية الفكر ٠

٩) وقبل ثلاثة عشر قرنا قرر الاسلام مبدأ الضمان الاجتماعى للناس (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ٠ ونادى بالاخوة والامن والسلام لجميع البشر (يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى الســـلم كافـــة) ٠

١٠) لقد أضفى الاسلام على الاخلاق العربية الفاضلة ثـــوب



بعض كبـــار المسئولين اثنـــاء الاحتفال .

الاسلام فحسنها وهذبها وأكمل ناقصها (انما بعثت لاتمم مكـــارم الاخـــلاق) .

أيها السادة ،

ان الكويت البلد العربى قد آمن شعبها بهذه المبادىء السامية دينا له ، واشربت اهله الروح العربية وتفاعل معها ، ومن هنا جـــاء النص فى الدستور ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة مصدر رئيسى للتشريع ، وان الكويت جزء من الامة العربية وان اللغة العربية لغـــة رسمية ، وقد تجسدت هذه المعانى شعبيا ورسميا باقامة الشـــعائر وربط الصلات الوثيقة بين الكويت والشعوب العربية والاسلامية ، ولقد كانت للمعونات التى تقدمها الكويت بلا فخر اثرها الطيب وثمرتهـــا المحسوسة فى اقامة المراكز الاسلامية وتشييد المساجد والمـــدارس والملاجىء والمستوصفات فى أنحاء العالم ، واننا فخورون بالمركـــز العظيم الذى تتمتـــع به الكويت على المســـتوى الشعبى والرسمى وبالجسر الروحى الذى يربطنا باخواننا المسلمين فى القارات الخمس ، وهذه نعمة من الله من بها علينا يجب ان نحافظ عليها وان نرعاهـــا ونطلب المزيد منها (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء عـــلى الناس) .

وهنا أود التنبيه الى وسائل الاعلام والفكر ولا سيما الصحافة



جمهور من المسلمين الذين شهدوا الحفل .

.. فأقول انها لم تعط مبادئنا العربية وعقيدتنا ونظامنا الاسلامى حقه ، ولم تعن بالتربية الاسلامية والاخلاق والعادات والطباع العربية الاصيلة ، بينما احتلت صور المستهترات والعاريات أكبر مكان .. وأخذت مسائل الجنس واللهو أشد الاهتمام .. ولقد آلمنى وآلم كل مؤمن ما نشرته بعض الصحف دفاعا عمن يسب الله ويستهزىء به ونشر قصائد لذلك الشاعر الداعر الذى يستهين بالله خالق الكون والانسان والحياة .. خالق الناس ورب العالمين ذلك الشخص الحقير الذى سب العرب وزعماء العرب واستهان بالمؤمنين .

ولقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة وما يفرضه الواجب . واننى احذر الصحافة بأن هذا الطريق طريق خطأ انما يسير فيه اعداء العروبة والاسلام وانه طريق ترسمه الصهيونية والاستعمار لضرب الامة وتفرقة صفوفها .

أيها السادة ، لا يصلح هذا الامر الا بما صلح به أوله .

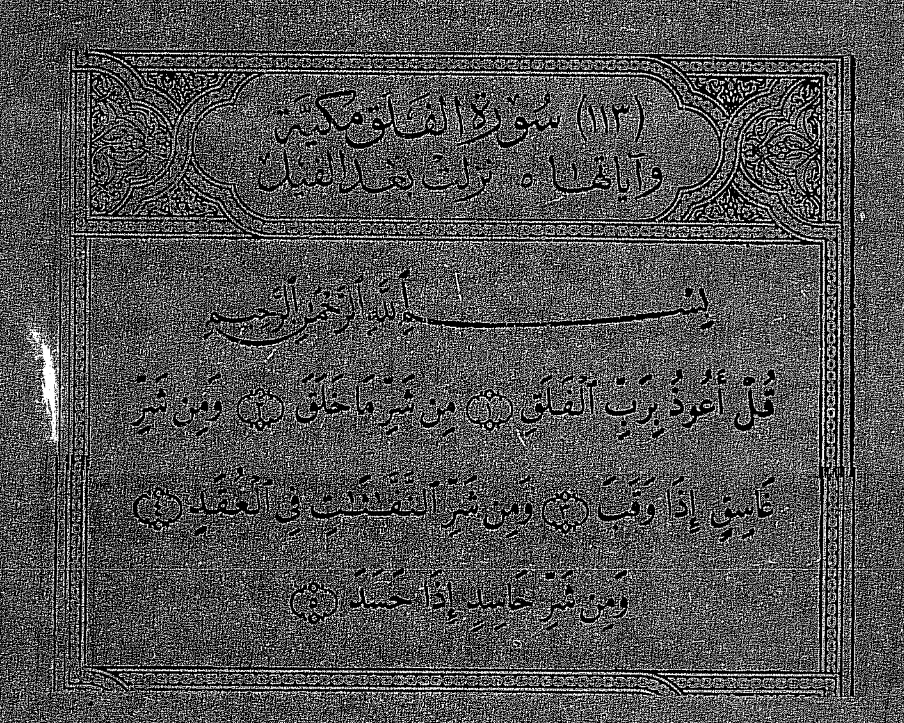
انه لا يمكن الفصل بين العروبة والاسلام بحال .. كما لا يمكن الفصل بين الدين والدنيا .. وبين الاخلاق والنصر :

وانما الأمم الاخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا .



للأستاذ عبد العزيز العلي المطوع



الاستعاذة : بدئت سورة الفلق بالاستعاذة كما بدئت سورة الناس ، غير ان الاستعاذة فى هذه السورة استعاذة برب الفلق ، والفلق يشمل الكائنات جميعا وهذا اشمل معنى مما جاء فى سورة الناس وأعم .

من شر ما خلق : ان الاستعاذة فى ســـــورة الناس قد جاءت من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، اما فى سورة الفلق فقد جاءت الاستعاذة من كل مخلوق يمكنه أن يبعث الشر او يلحق الضرر بعبـــاد الرحمن بالذات او بالواسطة .

ومن شر غاسق اذا وقب : تكررت الاستعاذة فى هذه السورة وركزت الآية بصفة خاصة على الغاسق اذا وقب ، ويظهر ان الغاسق : اسم فاعـــل مشتق من الغسق الذى هو الظلمة فى الثلث الاول من الليل ، لان الوسوسة فى الصدر تحدث أرقا وقلقا يذهب بالنوم ويسلب لذة الراحة والطمأنينة وقـــد يدفع ذلك الى مغادرة المرء فراشه غاسقا خارج منزله ، فهذا الغاسق اذا استبدت به شهواته غسقا فقد وقب وكبا وهوى فى حمأة الذنوب ، فالرجل الميقاب لغة : كثير شرب الخمر والوقباء : سبة معروفة عند العرب ومداخـــل السوء وقبات ، ومن ولجها يعتبر واقبا والسير الميقاب : المتواصل ليلا ونهارا ، والاوقاب الحمقى ، وقد ورد فى معنى الوقبة أنها : كل نقرة فى الجسم كالنقرتين الموجودتين بالقرب من كتفى الانسان ، كما أن ضمور البطن من اثر الجوع يسمى فى اللغة وقبة ، وكذلك أوقاب الناس ملابسهم وحوائجهم فلو سرق لص فى الغسق اوقاب الناس بدافع الجوع شمله معنى الوقب .

ومن معانى الوقب غور العين وعفونة شماريخ النخلة وبالجملة فان كل ما يطرأ على الغاسق من عمل سىء يدخل فى شموله كلمة الوقب .

ومن شر النفاثات فى العقد : النفث لغة : خروج شىء من داخل الجوف كنفاثة المصدور ، ونفث الحية للسم وقد جاء النفث بصيغة جمع المؤنث ممـــا قد يشير الى انه اذا كان الرجل المؤرق يزايل منزله عادة للتنفيس والترفيه عن نفسه ، فليس ذلك من عادة المراة بمفردها كما هو النظام الغالب فى المجتمع فتنفث المراة المنعزلة المعقدة الناقمة على المجتمع نفثا يخشى معه على تفكيك عرى الخير وعقد النكاح وغير ذلك . والله سبحانه هو اعلم بما يريد .

ومن شر حاسد اذا حسد : الحاسد كالغاسق وزنا ومغزى فالغســـق مشتق من ظلمة الليل والحسد من ظلمة الصدر والنفوس لا تكاد تخلو فى الغالب من رذيلة الحسد وأن تفاوتت درجاتها .

والحسد غير الطموح المشروع ، وغير الغبطة والتنافس فى الخير ، وفى الحكمة المعروفة : قاتل الله الحسد ما أعد له بداء بصاحبه فقتله « فالحاسد يستعاذ منه اذا رام الاذى بمحسوده ومن سهام الحسد نظرة العين ، وهى احدى نوافذ الشر خارج الصدر .

هذه الامور الثلاثة التى تأكدت وتكررت الاستعاذة منها وهى : الوقب،والنفث

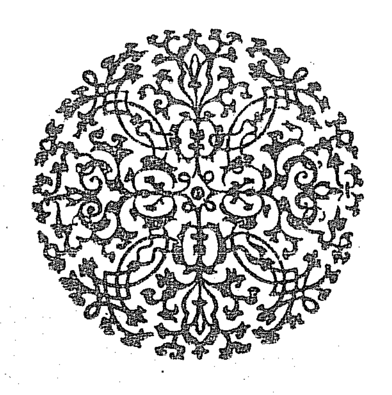
والحسد ، انما تخرج من الصدر وليدة القلق والارق ، المتأتيين من وسوسة شياطين الجن والانس فى الصدور ، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما روى من أن خالد بن الوليد اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الارق — فقال له صلوات الله عليه : الا اعلمك كلمات اذا قلتهن نمت ؟ **(قل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الارضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك اجمعين ، أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى ، عز جارك وتبارك اسمك) .**

ولعل المتأمل المفكر فى هذا الحديث الشريف — يرى أن الرسول صلوات الله عليه ، قد استنبط ذلك من السور الثلاث . سورة الفاتحة ، والناس ، والفلق .

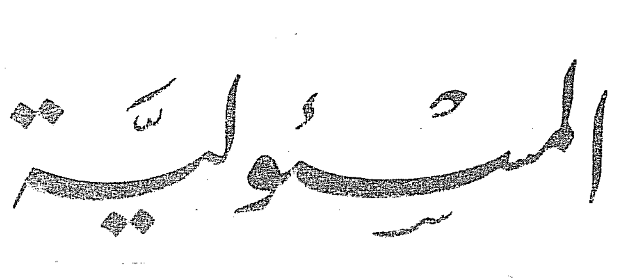
فبدأ الحديث بربوبية الله للخلق كلهم التى بدئت بها السور الثلاث ، وقد طلب منه الرسول أن يستعيذ بالله بعبارة « كن لى جارا من شر الخلق أجمعين »

والاستجارة هى الاستعاذة وهكذا ورد فى سورة الفلق : **((قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق))** ولعل فى قول الرسول صلوات الله عليه : **((أن يفرط على أحد منهم أو يطغى))** استجارة بالله من الشياطين ، حتى لا يفرط عليه أحد منهم بالوقب أو النفث أو الحسد أو غير ذلك .

وفى هذا الحديث ما يطمئننا على سلامة ما ذهبنا اليه من ترابط بين السور الثلاث المذكورة : سورة الفاتحة ، وسورة الناس ، وسورة الفلق .







للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) (١) .

تمهـــــيد :

هذا الحديث الشريف جامع للقوى الســـاهرة على منافذ المجتمع ، التـــى بقوتها حفظ كيانه ، وادامة استوائه على اشده ، وبيقظتها استمرار تطوره الى الافضل ، وسد لثغرات الفساد ودفع لها بعيدا عن ساحته ، فقد جمع هذا الكلم الشريف الرؤوس التى لو عمرت بالخير وادت وظيفتها كاملة لسعدت أمة الاسلام وقويت ، واحتلت مكان الصدارة فى الوجود الانسانى ، فلم يخرج عن دائرة هذا القول وذلك التحديد من يعتد به : فالامام والمراد به الوالى الحاكم الراعى للأمة كلها هو المحور الذى تدور عليه كل مقدراتها ، ورب الأسرة سيد فى أهله ان ذل ذلوا وان سما سموا ، والمرأة الزوجة قرينة له وند ، لها دورها الأول فى الحفظ والتوجيه والرعاية ، والخادم أمين مؤتمن على سر العائلة وعلنها ماديا ومعنويا ، فهو ليس غريبا عنها وانما هو واحد منها له حقوق وعليه مسئوليات ، والولد الى جانب أبيه سند له وقوة ، وعلى هذا فالكل حافظ للكون الاجتماعى ولن يفلت من مسئوليته امام علام الغيوب الذى لا يخفى عليه شىء ، وامام الأجيال التى تعاصره والتى تجىء من بعده ، والتاريخ حكم لا يضل وسجلاته لا تغفل عـــن شىء ، وفوق ذلك كله فانه العلى المجيد وسؤاله للعباد : ((**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عمـــلت من سوء تود لو أن بينها وبيـــنه أمـــدا بعيدا ..**)) (٢) .

وانطلاقا من الفهم المستنير النافذ الى أغوار معانى كلمات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قد وجه كـــل فرد من ذكور الأمة واناثها شيبها وشبانها الى ما عليه من واجبات هو مسئول عنها ولو أحسن أداءها لاستكملت الأمة قوامها ، كما أوضح انه لا يحق لامرىء يحترم نفسه ووجوده أن يعيش لنفسه وحده دون نظر الى وجود غيره ، ومـــن الحكم المنشورة : ((ما استحق ان يولد من عاش لنفسه فقط)) .

١ ــ ((الامام راع ومسئول عن رعيتــه)) :

الامام ــ كما سبق ــ هو القمة في الأمة ، وهو قدوتها ، ومصدر كـــل توجيه فيها اذا توافرت فيه شروط الولاية الاسلامية ، وعمر قلبه بحب اللـــه ورسوله ثم وطنه وقومه وعشيرته ، وادرك أن وجوده من وجود شعبه ، أنـــه لولاهم لم يكن ، حاول جاهدا ايصال كل حق الى صاحبه ، وادرك أنه مسئول عن كل صغيرة وكبيرة فى طول بلاده وعرضها ، وأن مسئوليته تفوق كل مسئولية ، فحافظ على ثغور بلاده بالمرابطين الأقوياء عددا وعدة ، ونمى الثروة وارتفع ــ بمستوى الأفراد ، وانشأ لكل حاجة وطنية مصنعا يبتدىء من الخيط الدقيق الى الآلات الثقيلة حتى يحدث للوطن وأبنائه الاكتفاء الذاتى من كل مقومات وجودهم ، وعبأ الجهود كلها للعمل النافع المفيد ، فالزراع الى حقولهم ، والصنـــاع فـــى مصانعهم ، والمعلمون فى دور العلم ، والعالمون فى معاملهم ، والجيوش فـــى مواقعها ، والكل مترابط مزود بالمحبة والتعاطف والتفانى فى اداء الواجـــب الموكول اليه ، فهو راع ومسئول عن رعيته ، وحذار أن يمتاز الحاكم العـــادل الواعى عن أفراد أمته فى مسكن أو ملبس او اى مظهر من مظاهر الحياة سوى القوة العقلية والارادة الحازمة والأوامر الرشيدة النافذة ، واللجوء الى الله وحده فى كل نازلة ، والاستعانة به سبحانه فى الشدائد ، والاعتصام بهدى القـــرآن ونور النبوة الأمينة وليتعامل مع العالم المحيط به وبقومه معاملة ند لأنداد لا يذل ولا يهن ، ولا يتخاذل ولا يضعف فما من أمة مهما بلغت قوتها تستطيع أن تعيش فى معزل عن أضعف أمة فى الوجود :

الناس للناس مـــــن بدو وحاضـــــرة بعض لبعض وان لم يشـــعروا خـــدم

وكل من ولى شيئا من السلطة العامة وعهد اليه بمصلحة من أمور الأمـــة مهما ضؤل أمرها أو قوى واشتد أثرها فهو راع ومسئول عن رعيته .

٢ ــ ((والرجل فى اهله راع ومسئول عن رعيته)) :

وأول ما يسأل عنه من شئون أهله وأسرته ، هو السعى على معاشـــها واكتساب قوتهـــا ونفقاتها ، ويجب أن يحدث هذا بعد تأمل وتفكير واختيار أفضل الطرق الموصلة الى الكسب الحلال من وجوهه المشروعة ، واستدامة اليقظـــة والرقابة لما عسى أن يعترض طريقه من عقبات فيحيد عنها ، أو فرص فيسارع الى اغتنامها ، مع ادامة الكد والجد ، مع شدة الاحتراس من التهالك المفســد لدينه المضيع لمروءته ، والابتعاد عما يغضب الله وما يسىء الى مواطنيه ، ومـــع هذا يحافظ على أفراد أسرته من الانزلاق فى مهاوى الفساد حتى لا يكونوا حطبا لنار جهنم ، وليتأمل دائما قول الله تبارك وتعالى : **((يا أيها الذين آمنوا قـــوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ..)) الآية ٦ من سورة التحريم .**

وذلك يستلزم تربية ناشئة الأسرة على قواعد الدين والأخلاق الكريمة ، واحترام المبادىء الاسلامية فى عاداتهم ومعاملاتهم ، كما يراقب حركاتهم وسكناتهم بفكر نير ، وعقل يقظ ، ولا سيما فى مرحلة المراهقة حيث ثورة القوى الحيـــوية ، وتوثبها ، كما يجب أن يرشدهم الى مسالك الحياة الصحيحة ، ويوجههم الـــى ما ينفعهم فى كسب معاشهم ، والاستعداد لمعادهم ، ويعودهم المحافظة عـــلى صحتهم الجسمية والعقلية ، ويمضى بهم فى مراحل التعليم الى نهايتها مـــع استيعاب ونجاح وامتياز فى النجاح ، ولا شىء أجدى فى التربية من القـــدوة العملية ، فليكن رب الأسرة هو مثلها الأعلى فى السلوك ورائدها فى كل خـــير ، وقدوتها فى كل عمل نافع مفيد ، ويدخل فى هذا ملازمته لأسرته فى كل حالاتها فلا يبعد عنها الا للضرورة القصوى التى لا يستطيع لها دفعا ، وبهذا يتحقق لـــه

دعاء الصالحين المسطور في قول الله تبارك وتعالى : ((**والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما**)) الآية ٧٤ من سورة الفرقان . ومن أدب نفسه ادب أهله ، وجنى الثمار الطيبة آجلا وعاجلا ، واستحق شكر أسرته واحترام مواطنيه ، حيث أقام فيهم لبنات صالحة بها تقوى شوكتهم ، وتشتد سواعدهم وتحصل سعادتهم فى الدنيا والعقبى .

٣ ــ ((والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها)) :

للمراة الصالحة القدح المعلى والمكانة المرموقة فى الأسرة ، فهى سر السعادة ، وعلى وجودها تدور الحياة الكريمة ، هى فى الواقع قائدة وليس مقودة ، هى الرحمة ــ ان صلحت ــ والجحيم ان فسدت ، والمراة التى تدرك دورها الحقيقى فى بناء الأسرة هى الزوجة التى يقول فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة**)) تلك هى ذات الدين العارفة بربها المصدقة لنبيها ، المؤمنة بأسرتها الساعية فى حفظ كيانها ومراعاة مصالحها يحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئولية رعاية زوجها وولدها ومالها وخدمها وكل ما يتصل بحياتها ، هى التى تدرك أن سعادتها الحقة فى اسعاد أسرتها فى تربية أولادها ، فى حفظ مالزوجها وما عليه ، تسره اذا حضر وتحفظه اذا غاب ، وهى شقيقته فى الحياة ((**انما النساء شقائق الرجال**)) لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات ، تدير نظام بيتها ، وتكبح جماح رغباتها ، تقتصد فى حال اليسر ما يكون عدة حين العسر ، تتعاون مع زوجها فى احسان تنشئة أطفالها ، ترضعهم المكارم مع لبنها ، وتغذوهم بالمكرمات مع حضانتها لهم ، هى دائما باشة هاشة طلقة المحيا أم رؤوم ، وزوجة عطوف ، ورائدة حكيمة ، وراعية أمينة ، تنشىء أطفالها على المحبة والتعاون والاحساس بآلام غيرهم واسداء المعروف لكل من عرفوا ومن لم يعرفوا ، تحافظ على شعور من يعايشها فى بيتها من زوج وولد وخدم وأقارب ، ولتعلم أنها فى صلاحها وتقواها تقود الأسرة الى سعادتى الآجلة والعاجلة ، ولتدرك ان كل كبيرة وصغيرة فى بيت زوجها بين يديها فى حاجة ماسة الى عنايتها وجميل رعايتها ، وانها مسئولة بين يدى الله تعالى عن كل ما يصدر منها ، وأنه لا جزاء لصلاحها وكريم خلقها الا الجنة ، وتوزع حبها وحنانها على الجميع بالقسطاس المستقيم فالكل يرنو اليها ويتمنى نصيبا من رعايتها ، لا فرق بين بنين أو بنات فهم جميعا منها واليها ..

والله معينها ومسدد خطاها ان لازت بحماه ، والقت برحالها فى رحابه .

٤ ــ ((والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته)) :

للخادم فى نظر الشرع الشريف اثره وخطره ، يغشى الأسرة ويطلع على سرها وعلنها ، وكثيرا ما يترك له التصرف فى أموالها ، وقد جعله سيدنا رسول الله راعيا فى مال سيده ، وحمله مسئولية حفظ ذلك المال ، وحسن القوامة على ادارته حين يعهد اليه ما يتصرف فيه بمحض ارادته ، فعليه أن يكون أمينا بعيدا عن الريب والشكوك متجنبا للمسالك البعيدة عن الخير التى يتردى فيها من لا خلاق لهم ، وأن لا يغمض عينيه عن حق سيده طمعا فى أن يستفيد هو شيئا حراما من المال المؤتمن عليه ، وكما أن على الخادم واجبات حيال سيده ، فان له حقوقا لا تنكر فقد ورد فى صحيح البخارى أن أبا ذر الغفارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**ان اخوانكم خولكم (٣) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم**)) وفى الخادم الصالح يقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم : ((**العبد اذا نصح سيده واحسن عبادة ربه كـــان له اجره مرتين**)) وفي الموطأ وصحيح الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : ((**للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق**)) . وهكذا حـــرص الاسلام دائما على حفظ الحقوق الانسانية كاملة غير منقوصة مهما كان وضع ذلك الانسان تابعا او متبوعا ، فمن عرف حقه قام بما عليه من واجب ، وبذلك تستقيم امور الحياة وتسير في طريق غير ذي عوج .

٥ ــ ((الرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته)) :

يقول بعض شراح الحديث من شيوخنا الأجلاء رحمهم الله تعالى : ((**هــذا سير مع ما يجرى كثيرا في متعارف الناس ، اذ ينشأ الولد في حجر أبيه حــتى يبلغ اشده وتكمل رجولته ويدخل في طور التكليف ولا تزال يده تجول بالتصرف في مال أبيه كما يتصرف المالك في ملكه ، فالشارع الحكيم يقر هذه الحالة على ما هي عليه ويرشد من هو كذلك الى انه في تصرفه راع مسئول ، لا مطلق التصرف من جميع الوجوه ، فيجب ان يكون تصرفه تصرف القيم الأمين لا تصرف المالـــك المطلق**)) . وهذا قول له وزنه وقيمته فالشباب في حاجة ماسة الى مثل هــذه النصيحة القيمة لأن طبيعة الشباب يغلب عليهــا التبذير وبعثرة المـــال ، لأن التجارب لم تحكم أمورهم ولأن نفوس الشباب أسرع الى الزهو والاغترار بمكذوب الثناء ومعسول القول ، فهم عرضة لأن تسلبهم أصحاب الألسنة الذلقـــة ، والنفوس المتملقة ما بأيديهم وفوق ذلك لم يكدوا ولم يحصلوا المال بمشقة ولــم يذوقوا عناء جمعه حتى يدركوا قيمته ، ولهذا جاء التعبير الشريف : ((**راع في مال أبيه**)) ليشير الى أن مال الأب سهل المنال بالنسبة للأبناء فعليهم أن لا يسرفوا ، وليتأملوا قول الله تبارك وتعالى : ((**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) وقوله جــل شأنه : ((**أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين**)) .

وجاء في ختام الحديث الشريف : ((وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) فكان هذا القول اجمالا بعد تفصيل ليقرر ما سبق ويزيده تأكيدا وتثبيتا وليدخــل ما عساه لم يدخل في التفصيلات السابقة كرعاية الجار شئون جاره والصديــق مهام صديقه ، بل كرعاية المرء شئون نفسه الخاصة من ضبط جوارحه وحواسه ، فهو راع في لسانه ، راع في جنانه ، راع في حواسه ، ومسئول عن كل ذلك ، وقد قيل : ((من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه)) . .

نسأل الله جلت قدرته أن يوفق كل راع مسئول في رعاية ما استرعاه ، ان ربي سميع مجيب هو نعم المولى ونعم الموفق والمعين .

---

(١) الراعي يرعى الماشية اى يحوطها ويحفظها ، واكثر ما يقال : رعاة للولاة ، والرعيان لراعي الغنم ، ورعى الأمير ــ عينه رعيّة ، ورعيت الابل ارعاها رعيا ، ورعاه يرعاه رعيا حفظه ، وكل من ولي امر قوم فهو راعيهم ، وهم رعيته .

ومعنى ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) أي حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره .. عن لسان العرب ص ١١٨٨ جـ ١ ــ طبع بيروت .

(٢) الآية (٣٠) من سورة آل عمران .

(٣) الخول بفتح المعجمة والواو : هم الخدم ، سموا بذلك لانهم يتخولون الامور اى يصلحونها ومنه (الخولي) لمن يقوم باصلاح البستان ، ويقال الخولي جمع خائل وهو الراعي ، وقيل : التخويل التمليك ، تقول : خولك الله كذا اى ملكك اياه ، وفي تقديم لفظ اخوانكم على خولكم اشارة الــى الاهتمام بالاخوة ــ عن فتح الباري ص ١٠٠ جـ ٦ طبع مصطفى الحلبي بالقاهرة .



- ٤ -

الدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى منهج القرآن فى توجيه الناس الى الايمان بالرسل ، وبأن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين والرسل ، وأن دعوة الاسلام جاءت عامة للبشرية فى مختلف العصور والبقاع ، وأن الايمان بالبعث والحساب ينتهى اليه العقل والفكر قبل أن يثبته النقل ، وأن الايمان بكل هذا لمن أقوى ما يدفع الانسان الى الكمال فى عمل الخير ، وكان حريا أن ينأى به عن الشرور والآثام ، وقد وعدنا بالكلام عن أثر الايمان فى النفوس وهو ما نختتم به هذا الموضوع ..

الايمان مصدر القوة لأن القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الجبال ، ولا تقهرها الرجال ، ولا تمنعها الاهوال ، ولا يعوقها شىء . والايمان سبيل التماسك بين الآخذين بحبله ، لأنه يؤلف القلوب على الخير ، ويجمعها على البر ، كما يقول الله سبحانه فى وصف جماعة المؤمنين : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله » ووعدنا الله ووعده الحق اذ يقول جل شأنه : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

فطبيعة الايمان الصحيح تستتبع اجتماع الكلمة ، وتستلزم النصر من الله لا محالة ، اذ الايمان اعتصام بحبل الله وابتغاء للعزة من سلطان الله ، ومن ابتغى العزة عند الله وجدها ، وليس بمؤمن من طلب العزة من غير الله سبحانه ، انظر كيف جعل الله اثرا للايمان في نفوس المؤمنين ، ورتب عليه الولاية بينهم ، يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، وهذا وحده يكفى أن يكون دستورا لجميع نواحى الاصلاح ، وسبيلا الى كل رقى وفلاح ، كما رتب عليه اداء العبادات البدنية والمالية وتهذيب النفوس والانقياد بالايمان لله ورسوله . ثم عقب على ذلك بوعده الكريم بأنه سيدخلهم فى رحمته وتشملهم عنايته .

حقا ان الايمان هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالة ، ومنار السالكين الحائرين ، وأمان الخائفين ، وناصر المجاهدين ، فهو المعين الفياض الذى تستمد منه الارادة القوية سر قوتها لأنه الاساس لجميع الفضائل من الصبر والعزيمة والثبات والاقدام والعزة والكرامة ، ولذا فان النبى صلى الله عليه وسلم مكث فترة كبيرة من صدر رسالته يوجه الناس الى العقيدة ويرسى قواعد الايمان فى نفوس متبعية ، حتى اذا رسخت جذور العقيدة فى نفوسهم ، وثبتت أصولها ، وأشرقت بنور ربها جاءه الوحى بالتكاليف الاخرى بعد أن هذب بالايمان نفوسهم وجعلها أرضا طيبة صالحة لأن تكون مصدر خير وسعادة لمجتمعهم ، ولبنة طيعة لتلقى التوجيه والارشاد ، بما فى قلوبهم من ايمان متأصل قد احاطه الله بالاخلاق الفاضلة المهذبة للنفس .

ولقد كان للايمان اثره القوى فى نفوس قوم كانوا متفككين متعادين يغير بعضهم على بعض فجمع الايمان بينهم ووحد كلمتهم . وعزلهم عن المجتمعات الفاسدة ، وصنع منهم نفوسا قوية أبية لا تلين لها قناة ، وتأبى الضيم . تقف فى الارض هاتفة باسم العدل والاحسان، وداعية الى الحق والايمان . ومناوئة لكل مرض فى المجتمع وثائرة على كل فساد فى الارض .

تلك هى امة الاسلام التى التفت حول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم منذ ذاقت طعم الايمان ، واستطابت مذاقه ، فرضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، فلم ترض الا حكم الحق وحملت العالم كله على النزول على فطرة الله ، فكان لها من القوة بسبب الايمان ما كتب لها النصر فى جميع المعارك برغم قلة عددهم ، وضعف عتادهم ، واذل جبابرة الارض لهم ، وكان فيما يدينون به من آثار الايمان ، ومظاهر التدين الصحيح المنبعث عن العقائد السليمة ما جمع القلوب حولها ، وجعل النفوس تؤثر العيش فى كنفها ، وكنف الرحمة والاحسان المستمدين من الدين والايمان ..

وبذلك اتسعت رقعة فتوحاتهم ، فملكوا العالم وصاروا سادة الارض ، وملوك الدنيا لا بالسيف وحده ، ولكن بقوة الايمان وبما اثاره فى النفوس من خلق فاضل ، وانسانية كريمة ، واحكام عادلة رحيمة .

انظر الى هذا النفر اليسير الذى آمن بمحمد صلوات الله وسلامه عليه والتف حوله وناصر دعوته غير عابىء بما يلاقيه من اضطهاد وتعذيب

واساءة وتغريب ، لان الايمـــان فى أبسط معانيه هو الثقة بالنفس ، وهو قوة الانسان المعنوية والا فبم انتصر هذا النفر اليسير من المسلمين فى غزوة بدر على جيش قريش الكبير فى عدده وعدته ، وكيـــف فتــح المسلمون الاوائل — لما كان الايمـــان متمــــكنا فى قلوبهم — هذه الدول العـــديدة والاراضى الفســـيحة ، وواجهوا جيوش الروم والفرس فى كل مكان دفاعا عن عقيدتهم ، وحماية لمن آمنوا بدعوتهم ، وحقا ان رجلا بلا ايمان رجل ضائع ، والامة التـــى لا يتمثل الايمان فى قلوب ابنائها امة ضعيفة ، وحقا ان الايمان هو الذى يصنع الرجال والامم .

انظروا الى اثر الايمان فى نفس ابراهيم ، وابنه اسماعيل حينما قال له فيما يحكيه القرآن الـــكريم : **« يا بنى انى ارى فى المنـــام انى اذبحـــك فانظر ماذا ترى ؟! قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين »** . ويصـــف الله ابراهيم وقد صدق الرؤيا التى كانت ابتلاء واختبارا فقال فى وصفــــه : **« انه من عبادنا المؤمنين »** .

وانظروا معى الى اثر الايمـــان فى نفس بلال رضى الله عنـــه الذى صدق الله ورسوله ما عاهده عليه ، وظل ثابتا صامدا مصرا على ايمانه ويقينه ، يستعذب العذاب، ويستطيب حر الرمضاء ، وثقل الحجـــارة المحماة ، التى كان يعذبه بها مولاه امية وهو يتقبل ذلك بصـــدر رحب ويلهج بقوله أحد أحد ، حتى اشتراه أبو بكر الصديق تعاونا منه فى تخفيف ويلات ذلك البلاء عنه ، واعتقه فى سبيل الله جزاء ايمانه .

وهذا أبو بكر رضى الله عنه آمن بدعوة الاسلام ، وصدق رسالة محمد صلوات الله عليه ، وكان لهذا الايمان أثر قوى فى نفسه ، فقد كان فذا فى صداقته وفدائيته وتعاونه الى حد التضحية بالنفس والاهل والمال . لقد شارك النبى فى امره كله ، حلوه ومره ، وما فارقه قط فى حضر ولا سفر ، لا يتخلى عنه فى احرج مواقفه فضحى بتجارته وامواله واهله وخرج معه وحيدا لا يصـــحبه الا الله فى وحشة الليل ، ووحشة الصحراء ، ووحشة الفرار من تتبع أولئك المجرمين ثم ليستقر معه فى ذلك الغار الذى يزيد الوحشـــــة تفاقما والخـــوف تضاعفا . ثم يأبى بدافع من الايمان الا أن يستخدم ابنته اســـــماء ذات النطاقين لاستحضار الطعام لهما من داره بمكة الى مكانهما فى ذلك المخبأ المخـــــوف البعيد فى ظلمـــة الليل ووحشته ايضا ، وكذلك يدفعه ايمانه الى استخدام ابنه فى تتبع الاخبار وتسقطها نهارا ليجىء بها ليلا اليهما فى الغار ، والى استخدام راعيه فى احضار المركبتين لهما ليلا ليسيرا بهما الى مهاجرهما ، ويأبى كل واحد من هؤلاء فى جو ذلك الايمان الا أن يسهم بقسطه من التضحية والايثار ، وهذه طبيعة الايمان التى يوضــــحها قول الرسول عليه السلام : « والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وهذا علــــى بن ابى طالب الذى آمن بالدعوة من صباه ، وكان حركة دائبة فى مســــير فلكها وقد عرض نفسه للقتل والهــــلاك حين تآمرت قريش برسول الله ليقتلوه ، وقـــد خرج مهاجرا اذ تبرع الفتى بنفســـه فداء للنبى ونام مكانه فى فراشــــه مستهدفا لتلك الفتكة من غير تبرم ولا تضجر ، ايمانا منه بما يصنع الله لرسوله فى المتعاونين معه ، وكم كان ذلك الفتى مقصد العدو وغايتـــه اذ ظل صاحبه يقدمه فى أحرج المواقف فيتقدم ويحمله الراية فى الحـــروب فيحملها بقوة وصـــلابة مؤمنا بأن

غايته الذود عن الحق واعلاء كلمة الله ، ومن كان هذا سبيله هان كل شيء عليه حتى نفسه . وبمثل هذا التعاون والتفانى الذى فعله الايمان فى نفوس هؤلاء المؤمنين وغيرهم ممن آمنوا برسالة محمد صلوات الله عليه وناصروه تم النصر المبين يقول سبحانه : ((**هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم**)) .

يا اخى المسلم المتلىء ايمانا والذى تنشد الكمال فيه انظر معى الى اثر الايمان فى نفس الخنساء التى اوشكت ان تنتحر قبل اسلامها لما قتل اخواها صخر ، ومعاوية ، فلما استجابت هى واولادها لدعوة الرحمن وامتلأ قلبها بالايمان وكانت موقعة القادسية جمعت أولادها الاربعة وحرضتهم على القتال وقالت لهم : ((**لقد اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين فاذا اتيتم الحرب فخوضوا غمارها وكونوا اول المبارزين**)) . فاندفعوا الى القتال بعزم صادق ، وحماس مشتعل ، وانقلبوا بايمانهم اسودا فى المعركة فقاتلوا والقوا بعدوهم خسائر فادحة واستمروا فى القتل حتى قتلوا واحدا بعد الواحد ، وكلما قتل واحد منهم ازداد حماس الآخر ليستشهد ويلحق بأخيه ، ولما علمت أمهم بمقتلهم عن آخرهم ما جزعت ولا ضجرت ولا ندمت على تحريضهم وانما قالت : ((**الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الاسلام وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى فسيح رحمته**)) !!

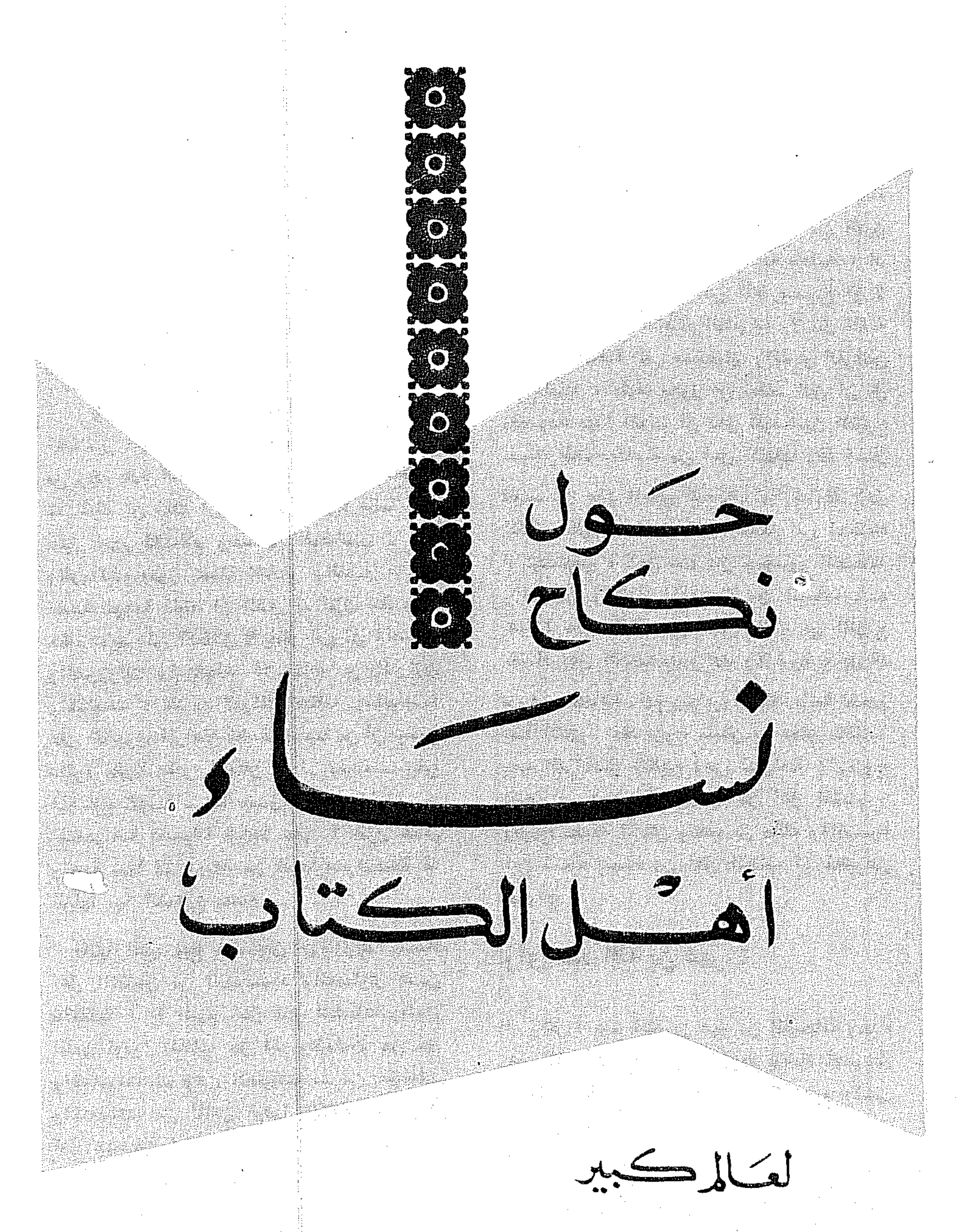
يا لسحر الايمان الذى يصنع فى النفوس المعجزات ، ويجعل الأم تتقبل نبأ قتل ابنائها الاربعة بثبات واطمئنان غير نادمة ولا آسفة ، لكنها راضية مستبشرة لأنها تؤمن بأنهم عند ربهم فرحون ، فأين موقفها هذا من موقفها السابق عند مقتل أخويها اذ جزعت واشتد حزنها حتى اقبلت على الانتحار . انه من أثر الايمان .

وانظر معى يا اخى ، الى اثر الايمان فى نفس أحد المحاربين فى الصدر الاول تلقى طعنات الرماح والسيوف التى ازهقت روحه فنطق وهو فى النزع الاخير وقال : ((**فزت ورب الكعبة**)) اذ يؤمن بأن للمجاهدين احدى الحسنيين ، اما نصر وغنيمة ، واما موت واستشهاد ، وهكذا يلقى المؤمن الموت باسما مغتبطا لأنه مطمئن لوعد الله الذى آمن به وصدق ، وانه يفنى فى سبيل تحقيق مبدئه واسعاد جماعته .

وانظر أيضا الى اثر الايمان فى نفس الفتاة المؤمنة فى عصر عمر بن الخطاب رضى اله عنه وقد أمرتها امها ان تغش اللبن وتخلطه بالماء لتحقق ربحا أكثر فتعصى امر امها ، لأن امير المؤمنين نهى عن غش الناس ، ولأن الرسول عليه السلام قال : ((**من غشنا فليس منا**)) ولما قالت الأم : ((**وما الذى اطلع امير المؤمنين ؟! قالت يا اماه . ان كان عمر قد نام فان رب عمر لن ينام**)) !!

هذا هو أثر الايمان فى نفوس المؤمنين فهو يوجههم الى الخير دائما فى السر والعلن ، ويوجههم الى الشجاعة والاقدام دائما والصبر والاحتمال الشاق وعدم اليأس والقنوط ، وهو الذى يجمع كلمتهم ، ويوحد صفوفهم ، ويعلى شأنهم بعد ان الف بين قلوبهم ، وهكذا يضع الله امامنا مثلا عليا من صفات المؤمنين الاولين ، وما وصلوا اليه بايمانهم من سلطان وقوة حتى نحذو حذوها ، ونسير على نهجها تاركين

البقية صفحة ١٠٤



لعالم كبير

قد طلب منا احد اخواننا المخلصين بالحاح شديد ان ننشر كلمة مفصلة عن زواج المسلمين بنساء اهل الكتاب مستندين فى ذلك الى احكام الكتاب والسنة لأن فتنة ــ الافرنجيات ــ كما يقول هذا الأخ الكريم ، فى تفاقم وانتشار هذه الايام وقد اتخذ المسلمون من الاذن الشرعى فى هــذا الباب حيلــة للاستمتاع بهــن واستيرادهن بكثرة لا يوجد لها مثيل فى تاريخهم الماضى .

ومما لا مجال فيه للريب ان هذه فتنة كبيرة في واقع الامر ، ظهر من تاثيرها في الهند ومصر وسوريا والكويت وغيرها من بلاد المسلمين ، ان « السيدات الغربيات » ولجن في هياة المسلمين الاجتماعية ، ثم عملن ما وسعهن لاستئصال الحضارة الاسلامية واخطر من ذلك ما ظهر من النتائج السياسية مما لا يستطيع مسلم — ان كان في قلبه حب للاسلام والمسلمين — أن يسكت عليه .

وعلى هذا ان كان المخلصون من افراد المسلمين اليوم يشعرون بحاجة الى ان يقوموا في وجه هذه الفتنة ، ويضعوا لها حدا معلوما فلا شك ان ذلك ان دل على شيء فانما يدل على حبهم للاسلام ونصحهم للمسلمين .

ولكن كيف يكون عندنا التغيير والتعديل في قضية شرعية ثابتة ان الذي قد انزل القرآن حكيم عليم على الاطلاق لا ينظر الى كل المصالح والضرورات والحاجات الا بغاية من التوازن والتناسب ، فلا بد لادراك أحكامه وتطبيقها على الظروف الراهنة تطبيقا سليما من ان نوسع دائرة نظرنا بقدر الامكان ، ثم نستعرض المصالح كلها — ما جل منها وما دق — استعراضا تفصيليا شاملا حتى لا تنزل كل واحدة منها الا بدرجة من الرعاية والاهمية قد انزلها بها الشارع نفسه .

فالآية التي تبيح للمسلمين ان يتزوجوا بنساء اهل الكتابين من اليهود والنصارى هي بالفاظها : « اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات — وهن العفيفات — من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذ آتيتموهن أجورهن — أى مهورهن — محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان « المائدة ٥ » .

اختلاف السلف حول تفسير هذه الآية :

لا شك ان السلف رحمهم الله قد اختلفوا كثيرا حول تفسير هذه الآية الا ان جمهور العلماء في كل زمان انما حملوا حكمها على ظاهر الفاظها وعموم إطلاقها ، اذ لا بد من أن يكون اكثر حكمة في تشريعه وتقنينه من الذى قد انزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ، فهو لو راى حاجة الى استثناء أو تخصيص في حكمه « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » لقيده به بنفسه ، اذ مما لا يجتمع مع حكمته في التشريع ان لا يستعمل في بيان الاحكام القانونية ولا مثل اللغة الرصينة المتقنة التي يستعملها واضعو القوانين في الدنيا ، فكيف يجوز أن نعتقد اذن ان كل مقصوده بهذا الحكم أن يحل للمسلمين التزوج بنساء طائفة خاصة من اهل الكتاب وقد اختار لبيان هذا الحكم الفاظا عامة شاملة لاهل الكتاب كلهم لا اشارة فيها قطعا الى استثناء أو تخصيص ، لاجل هذا فان جمهور الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الاية على الاذن العام في التزوج بنساء اهل الكتاب بدون قيد ولا شرط ، بل قد تزوجهن جماعة منهم ولم يروا بذلك باسا لعموم هذا الاذن ، فقد تزوج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي نصرانية ، وتزوج طلحة بن عبيد الله يهودية من اهل الشام ، وتزوج حذيفة اليمان وكعب بن مالك والمغيرة ابن شعبة بنساء من أهل الكتاب او خطبوهن للزواج .

راى عبد الله بن عمر :

ولكن « عبد الله بن عمر من الصحابة وحده هو الذى كان لا يرى التزوج بنساء اهل الكتاب مطلقا ، وكان يقول ان الله حرم على المؤمنين النساء المشركات في قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » وكان يقول : لا اعلم شركا من أن تقول — اى المراة — ان ربها عيسى أو عبد من عبيد الله ، ولذا فانه يحرم التزوج بنساء كل من يوجد الكفر والشرك في اعتقادهم من أهل الكتاب وقد فسر كلمة « والمحصنات » بالمسلمات فمعنى الآية بموجب رأيه ان لكم أيها المسلمون ان تتزوجوا أيضا باللاتى يدخلن في الاسلام من نساء اهل الكتاب .

رأى غير صحيح :

ولكن لا يصح فى هذا الباب رأى ابن عمر رضى الله عنهما وذلك لأسباب نذكرها بالاختصار فى ما يلى :

ان الله سبحانه وتعالى بنفسه قد بين فى كتابه من معتقدات أهل الكتاب ما هو مبنى على صريح الشرك كقولهم « ان الله هو المسيح ابن مريم » وكقولهم « ان الله ثالث ثلاثة » وكقول اليهود « عزير بن الله » وقول النصارى « المسيح بن الله » بل قد نسب اليهم كلمتى الشرك والكفر ، ولكنه على ذلك لم يذكرهم فى أى موضع من كتابه بكلمة « المشركين » كاصطلاح لهم ، وانما ذكرهم فى كتابه كله بكلمة « أهل الكتاب » أو بكلمات أخرى لها نفس هذا المعنى ، اقرأ القرآن من أوله الى اخره تجد فيه ثلاث طوائف مستقلة بعضها عن بعض : طائفة المشركين والكفار أى الذين ليس عندهم كتاب سماوى على وجه محرف أو غير محرف ، وطائفة أهل الكتاب أى الذين يؤمنون بنبى من الأنبياء وبكتاب من الكتب السماوية ، على كل ما هم فيه من الضلالات الاعتقادية أو العملية ، وطائفة أهل الايمان ، وهم المؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عما أن كانوا ولدوا فى الاسلام أو دخلوا فيه من طائفة أهل الكتاب ، أو طائفة المشركين والكفار .

والقرآن فى ذكره هذه الطوائف الثلاث يميز بعضها عن بعض بما لا مجال فيه للاشتباه والاختلاط مطلقا فلا يقول : « أهل الكتاب » ويريد بهم المشركين ، أو يقول : « المشركين أو الكفار » ويريد بهم اليهود والنصارى ، أو يقول « الذين أوتوا الكتاب » ويريد بهم المسلمين فلما قال تعالى فى موضع من كتابه « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ثم قال فى موضع آخر « اليوم أحل لكم الطيبات .. الى أن قال « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » فلا بد من القول بانه ليس المراد بالمشركات » فى الآية الاولى نساء اهل الكتاب وانما المراد بهن نساء الوثنيين وغيرهم من الامم غير الكتابية .

ونحن اذا لم نفسر كلمة « المشركات » و « المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » بهذا المعنى فان ذلك يستلزم تعارضا صريحا بين آيتين فى القرآن لا يمكن رفعه بمجرد أن يقال ان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اولئك اللاتى كن قد دخلن فى الاسلام من نساء اليهود والنصارى ، او ان المراد بهن نساء الفرق الكتابية المتنزهة عن الشرك والكفر وذلك :

١ — لأن الله عز وجل قد قال : « المحصنات من المؤمنات » قبل أن يقول « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب » ، وليس المراد « بالمؤمنات » اللاتى قد ولدن فى الاسلام فحسب ، بل المراد بهن كذلك اللاتى قد دخلن فى الاسلام تاركات أديانهن السابقة ، فلما كان قد احل الزواج بالمؤمنات عموما وفيهن من كن يهوديات أو نصرانيات قبل الاسلام ، فاية حاجة اقتضت اذن ذكر « المسلمات من الذين اوتوا الكتاب » بالذات بعدهن ؟ اذ لو كان الامر هكذا لما كان لهذه الجملة اى معنى ابدا .

٢ — وقد قيل قبل هذه الآية كذلك : « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم » فهل المراد بهم هنا ايضا اولئك المسلمين الذين قد دخلوا فى الاسلام من اليهودية او النصرانية ؟ فان قيل « لا » فعلى اى اساس جاز ان يفسر « الذين اوتوا الكتاب » فى جزء من آية بمعنى غير المعنى الذى يفسر به فى جزء آخر من الآية نفسها ؟

٣ — اية فرقة من فرق اهل الكتاب هى بريئة من الشرك اوالكفر؟ واين كان بقى فيهم الاعتقاد السليم عن الله ؟ ومن اين كان لهم ان يهتدوا اليه ؟ لقد كانوا حرفوا اصل تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام فانى كان لهم ان يجدوا سبيلا الى صحة الاعتقاد حتى تكون فرقة منهم على الصراط المستقيم ؟ اذن لا يصح القول ابدا بأن المراد « بالذين أوتوا الكتاب » فى قوله تعالى « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم » ... فرقة من اليهود او النصارى سليمة فى اعتقادها

اما الآيات التى قد يخيل الى الانسان عند قراءتها انه كان فى اهل الكتاب فرق سليمة

فى اعتقادها فانها تشير فى حقيقة الامر الى أناس من أهل الكتاب كانوا قد آمنوا بالقرآن واتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، أو كادوا بناء على طهارة قلوبهم وسلامة فطرتهم .

٤ ـ واذا فرضنا أن اليهود والنصارى فيهم طائفة مثل هذه ، فان الله تعالى ما قيد ((الذين اوتوا الكتاب ، من قبلكم)) بشىء يجوز الاستدلال به على أن هذا الحكم خاص بتلك الطائفة وحدها . وليس بشامل لسائر أهل الكتاب ، فما لنا اذن نشغل أنفسنا بفحص معتقدات أهل الكتاب ، ونقضى بقياسنا انه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء الفرقة أو الفرق الفلانية من أهل الكتاب ، ولا يجوز لهم أن يتزوجوا بنساء سائر فرقهم ؟.

دليل آخر غير سليم :

والذين قد أيدوا ابن عمر رضى الله عنهما فى رأيه يستدلون كذلك بقوله تعالى ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر)) مع أن هذه الآية انما نزلت خاصة فى أولئك الرجال والنساء الذين قد هاجروا من دار الحرب الى دار الاسلام ، والذين ـ بقيت زوجاتهم ـ أو أزواجهن ـ على الكفر فى دار الحرب ، والمقصود من الآية بيان أن نكاح الجاهلية ينفصم مع مجرد دخولهم فى دار الاسلام ، ويكون من حق الرجل المهاجر أن ينكح غير زوجته السابقة ومن حق المرأة المهاجرة ان تنكح غير زوجها السابق ... هذا المعنى يتحقق باعتبار شان نزولها ، أما اذا اقتصر احد على نفس الفاظها ، فنقول : ان الله عز وجل انزل فى موضع حكما عاما بقوله : ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر)) وبين فى موضع آخر ان جماعة من الكفار (١) وهم أهل الكتاب ، مستثنون من هذه الحرمة العامة وذلك بقوله : ((والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم)) وانكم اذا كنتم لا تقولون بان هذا الحكم الثانى قد خصص الحكم العام الاول ، فلا بد أن تقولوا بان هناك تناقضا فى اقوال الله عز وجل : يحل شيئا فى موضع ، ويحرمه فى موضع آخر والعياذ بالله .

رأى ابن عباس :

والصحابى الثانى الذى حاول أن يضع حدا لاباحة الزواج بنساء أهل الكتاب هو عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اذ يقول ان هذا الحكم خاص بالذميات دون الحربيات فلا يجوز الزواج الا بنساء اليهود والنصارى الذين هم من رعايا دار الاسلام ، مهما كانت عقائدهم فاسدة . واما أهل الحرب منهم ـ أى الساكنون خارج حدود دار الاسلام ـ فلا يجوز الزواج بنسائهم ، ودليله على ذلك ان الله قد أمر المسلمين بقتال هذه الطائفة من أهل الكتاب ، وذلك حين قال ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) التوبة ـ ٢٩ ، وأيضا قد حرم على أهل الايمان ان يوادوا من حاد الله ورسوله ((المجادلة ـ ٢٢)) هذا من جانب .

ومن جانب آخر فالعلاقة الزوجية لا تقوم الا على المودة والرحمة ((خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)) الروم ٢١ فعلى هذا كانت علاقة الزواج توجب المودة والمحبة وكانت موادة الحربيين من المشركين وأهل الكتاب محرمة على المسلمين وكان قتالهم واجبا عليهم فانه ينبغى أن يكون زواج الحربيات سواء أكن من المشركين أم من أهل الكتاب محظورا .

هذا ما يحتج به سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الا ان جمهور الصحابة والتابعين والائمة الفقهاء لم يوافقوه على رأيه كما لم يوافقوا سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما على رأيه ، وهم وان كانوا كلهم يكرهون الزواج بامرأة من أهل الكتاب اذا كانت من دار الحرب أو دار الكفر ولكن ما قال بحرمته احد منهم ، لأن اباحته المذكورة فى قوله تعالى ((والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) عامة شاملة لأهل الكتاب جميعا ، سواء أكانوا من أهل الحرب أم من غيرهم والله تعالى ما قيدها بشىء .

هذا بالنسبة للجواز القانونى ، والمقصود مما قلنا أن هذا الجواز القانونى يجب ان يبقى على

عمومه وشموله الموجودين فى آية القرآن ، اما عدم تناسب الزواج وكراهيته على اعتبار المصالح القومية او الظروف الشخصية ، فهذا امر آخر ، لا يجوز لنا ان نحرم الحلال ، غير انه من حقنا ولا ريب ان نجتنب فعلا حلالا اذا كان لا يناسبنا فى وضع خاص ، اذ ليس معنى الحل والاباحة الامر واللزوم .

راى جمهور الصحابة والائمة واختلافهم :

واللذين لا يوافقون عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما على رأيهما ، ويقولون بان حكم الآية شامل لاهل الكتاب كلهم يدور الخلاف بينهم فى معظمه حول تفسير كلمتين وهما ((المحصنات)) و ((الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) .

فالمحصنات عند جماعة منهم ((العفائف)) وعند جماعة اخرى ((الحرائر)) دون الاماء ، فلا يجوز الزواج عند الجماعة الاولى الا بالعفائف من نساء أهل الكتاب دون الفاحشات والمومسات منهم ، ولا يجوز الزواج عند الجماعة الاخرى بالاماء من نساء أهل الكتاب ولو كن عفائف ويجوز بالحرائر منهم ولو كن فاحشات .

راى الشافعى :

اما اهل الكتاب فيقول الامام الشافعى رحمه الله : انهم اليهود والنصارى من بنى اسرائيل واما الامم الاخرى التى قد انتحلت اليهودية او النصرانية فلا تطلق عليها كلمة ((اهل الكتاب)) لانه ما ارسل موسى ولا عيسى عليهما السلام الا الى بنى اسرائيل وما كانت دعوتهما لغيرهم من أمم الارض .

راى الاحناف والجمهور :

ويقول الاحناف وجمهور الفقهاء : ان كل أمة اذا كانت مؤمنة بنبى من الانبياء وبكتاب من الكتب الالهية تعد من أهل الكتاب ، وليس كونها من اليهود أو النصارى شرطا فى ذلك ، فلو كانت فى الدنيا طائفة مؤمنة بصحف ابراهيم وحدها ، أو الزبور وحده لكانت طائفة كتابية .

رأى جماعة آخرين :

وقد ذهبت جماعة قليلة من السلف الى ان كل أمة عندها كتاب يجوز الظن بأنه سماوي هى من أهل الكتاب كالمجوس مثلا ، وهذه الفكرة قد وسعها فى هذا الزمان جماعة من المجتهدين الجدد ، حتى قالوا ان الهنادك والبوذيين أيضا من أهل الكتاب ، فيجوز الزواج بنسائهم لأنه لا بد أن يكون قد جاءهم نبى من الانبياء ، ولا بد أن يكونوا قد اوتوا كتابا من الكتب السماوية .

الراى الصحيح :

وأصح رأى فى كل هذه الاختلافات عندنا الرأى القائل بان المراد من اهل الكتاب اليهود والنصارى ، سواء اكانوا من بنى اسرائيل أم من غيرهم فان كلمة ((اهل الكتاب)) ما وردت بالقرآن الا لهاتين الطائفتين ، وقد صرح فى موضع آخر بانهما هما اهل الكتاب وذلك حيث يقول عز من قائل : ((وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا)) ((الانعام ـ ١٥٦)) اما الامم الاخرى التى انزلت اليها الكتب ، فهى لما قد اضاعت كتبها ولم يبق شىء من معتقداتها واعمالها يتفق مع تعاليم الانبياء فلا يجوز ان تطلق على احداها كلمة ((أهل الكتاب ولذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ما جعل المجوس من اهل الكتاب على اعتقادهم بزرداشت فلما أخذ الجزية من مجوس هجر قال : ((سنوا بهم سنة اهل الكتاب)) ولم يقل انهم من اهل الكتاب .

ولما كتب اليهم يدعوهم الى الاسلام قال بكل صراحة ((فان اسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير اكل ذبائحهم ولانكاح نسائهم)) فلا مجال للشبهة بعد ذلك

بانه يجوز أن تعد أمة غير اليهود والنصارى من أهل الكتاب فتؤكل ذبائحها وتنكح نساؤها .

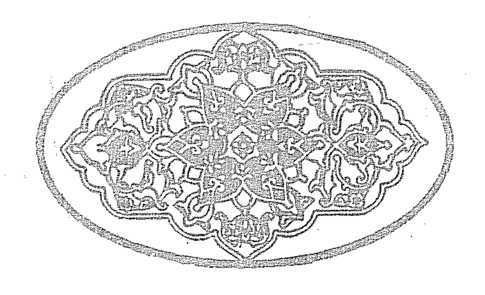
الرد على مخالفي هذا الرأى :

أما رأى الامام الشافعى رحمه الله أى اشتراطه بالاسرائيلية ، فلا يصح كذلك ، لأنه وان كان الخطاب فى دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لبنى اسرائيل وحدهم الا أن الله ورسوله قد عد من أهل الكتاب حتى الامم غير الاسرائيلية التى انتحلت النصرانية ويدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كتب الى قيصر الروم يدعوه الى الاسلام ضمن فى رسالته هذه الآية (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) مع انه لم يكن الروم من بنى اسرائيل .

أما الذين فسروا المحصنة بالعفيفة أو الحرة وجعلوا العفة أو الحرية شرطا لتزوج الكتابية فلا يصح رأيهم أيضا عندنا اذ لا شك أن الاحصان يشمل مفهومه كلا من العفة والشرف وما المحصنة الا عفيفة وشريفة معا ، ولكن ليس من مقصود الشارع بقوله « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أن يجعل العفة أو الشرف شرطا لجواز الزواج بنساء أهل الكتاب ، وانما مقصوده به اظهار الافضلية والاولية ويقصد فى حقيقة الامر بيان أنه وان كان لكم ، ايها المسلمون أن تتزوجوا أية امرأة من المؤمنات أو من أهل الكتاب ولكن الاولى والأفضل أن تكون تلك المرأة محصنة أى عفيفة وشريفة .

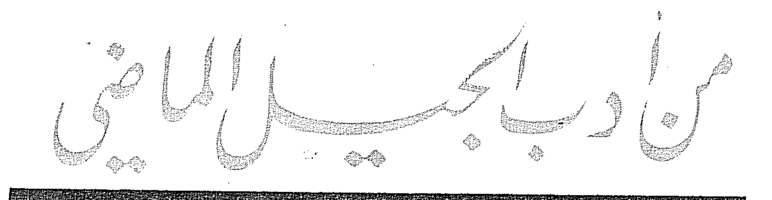
وقد قيدت كثير من أحكام القرآن بأمور ليست بشروط لثبوت الحكم وانما هى كقيود زائدة لاظهار أفضل ناحية فى فعل من الافعال المباحة أو لاظهار أرذل ناحية فى فعل من الافعال المحرمة حتى يبذل أهل الايمان اهتمامهم لاختيار الافضل واجتناب الارذل ، وهذا عين ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الباب حين تزوج حذيفة بن اليمان بيهودية فكتب اليه عمر « أن خل سبيلها » فكتب اليه حذيفة أحرام هى ؟ فكتب اليه : لا ولكنى أخاف أن تواقعوا الموسات منهن ! » .

فاصح رأى عندنا أن نجعل السماح الشرعى بتزوج نساء أهل الكتاب عاما من الحربيات كن أو من الذميات ومن العفائف كن أو من غير العفائف ، ومن الاماء كن أو من الحرائر .



---

(١) يلاحظ أن الكاتب قرر من قبل أن كلمةكفار لم ترد فى استعمال القرآن مرادا بها أهل الكتاب .. فلا بد أن يكون كلامه هذا على سبيل التنازل ..



سلطة الآباء :

رحم الله زمانا كان الاب فيه الآمر الناهي ، والحاكم المطلق والملك غير المتوج ينادي فيتسابق من في البيت الى ندائه ويشير فاشارته أمر وطاعته غنم ..

تحدثه الزوجة في خفر وحياء ويحدثه الابن في اكبار واجلال ، من سوء الادب أن يرفع اليه بصره أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه في رأي أو يجادله في أمر اما البنت فاذا حدثها لف الحياء رأسها وغض الخجل طرفها قليلة الكلام متحفظة الضحك خافضة الصوت ، تتوهم انها أخطأت في التافه من الامر فيندى جبينها ويصبغ الخجل وجهها ، واذا جاء الحديث عن الزواج فالى أمها الحديث لا الى أبيها بالتلويح والتلميح لا بالتصريح ..

والأمر الى الاب فيما يقبل وفيما يرفض وفيما يفعل ، وما لا يفعل .

احمد امين

بنت اليوم والأمس :

كانت البنت من أوساط الناس اذا تزوجت لا تكاد تجشم الزوج أو اولياءه شيئا ، فطعامها من طعام أهل الدار ، وكسوتها إزاران ورداءان في العام ، وما حاجتها الى حذاء وهي حلس خدرها طوال الأيام ؟ اذا في الكوث (الشبشب) على رأي استاذنا العلامة الشيخ مهدي خليل ، غنى وكفاية .

ثم أنها توفر على الاحماء أجور الخدم وسائر تكاليفهم بما تقوم به من العجن والخبز ، والطهي ، وغسل الثياب ، وكنس الارض ، ونفض الأثاث ، وتقديم القهوة للزائرات ، وصنعها للزائرين وخدمة الطفل الخ ..

والآن لا تحسن البنت الحضرية شيئا من هذا ، وقد لا تعرفه ، وان عرفته واحسنته لا ترضى بأن تعالجه أنفة وحفظا للكرامة ، ودعنا من الأنفة والكرامة ، وحدثني بعيشك ، متى تضطلع البنت او الزوجة الحضرية بهذا أو ببعضه ، ولا بد لها كل يوم من غشيان السينما أو غيرها من دور التسلية والترويح ؟ ولا بد لمن يسهر الليل من أن ينام صدرا من النهار . ولقد يتصرم سائره في الاختلاف الى الخياطة ، ومتاجر الثياب والزينة ، وزيارة الاصدقاء والأتراب ، والتفرج في المتنزهات في صحبة الزوج أو بعض ذوى الارحام ، واستقبال الضيفان . وناهيك بما يستهلك من الوقت ، بعض النهار ومهبط الليل ، في التجمل والتزين ، وتصفيف الشعر طوعا لآخر بدع (مودة) سواء جرى ذلك في البيت او في دكان الحلاق ، ولا بد أن يكون لقراءة الروايات من مساحة اليوم حظ غير قليل .

عبد العزيز البشري



تزوجوا ، وانظموا اوطاننـــا اسرا   لا تتركوا وطن الأمجـــاد منتثرا

لا تجعلوا البيت والتزويـــج مشكلـــة   وييسروا من امور العيش مـا عسرا

لا تخشوا الفقر ، كم من اسرة شبعت   عزا ومالا ، وفرد خاب وافتقـــرا

ولا تخافوا شقاقا في بيوتكمـــو   بل اضمروا الحب يبق الحــب منتصرا

فان تعاظمكم خلـــف واعضـــلكم   فخالفوا آمـــر التفريق ان امـــرا

واستخلصوا حكما من اهلكم وخذوا   من اهلها حكما واسترحموا القـــدرا

ولست ارضى سوى الأهلين محكمة   وليبق سري وسر البيـــت مدخـــرا

فان قضى اللـــه تفريقا فنازلـــــة   ان تلق صـــبرا فطوبـــى للذى صبرا

وربما كـــان في التفريق منفعـــــة   قـــد يبرا الجسم من عضـــو اذا بترا

حياتنا صـــفقات تلك واحـــدة   منها فذا رابـــح فيها وذا خســـرا

— ● —

ومن يعدد زواجـــا دون ملجئـــــة   فقد اتـــى بضرار او اتـــى ضررا

ليس التعـــدد الا رخصـــــة فاذا   اسرفت فيها ركبـــت الحمق والخطرا

يصور الشاعر محمد مصطفى حمام في هذه القصيدة تعدد الزوجات في حكمة التشريع :

من ينتقص حق أولاد لثانية ... لم يلق من ربه عفوا اذا اعتذرا

وفي التعدد ان ادركت حكمته ... بر رخي وجبر للذي كسرا

من للمطلقة الحسناء يعصمها ! ... وللعوانس تفني عمرها ضجرا !!

وللأرامل ، والاحزان تعصرها ... والحزن يفتك بالأعواد ان عصرا

ومن لأم اليتامى ، هل تقوتهمو ... بالخد معتصرا وللقد مهتصرا !

وما الخطاء لمن زلت وساورها ... من الفضيحة طيف يرسل النذرا !

وما السبيل الى ذرية نجب ... ان كنت زوج عقيم حظها عثرا !

هو التعدد يهدي الفارقين الى ... بر الأمان ويبني بيننا أسرا

هو التعدد كم آوى اليتيم واشـ ... ـباه اليتيم وكم واسى وكم سترا

هو الحلال الذي ينفي الحرام وكم ... حمى من الفحش انثى او حمى ذكرا

عدد ان اسطعت لكن عادلا لبقا ... لا تعطين الهوى سمعا ولا بصرا

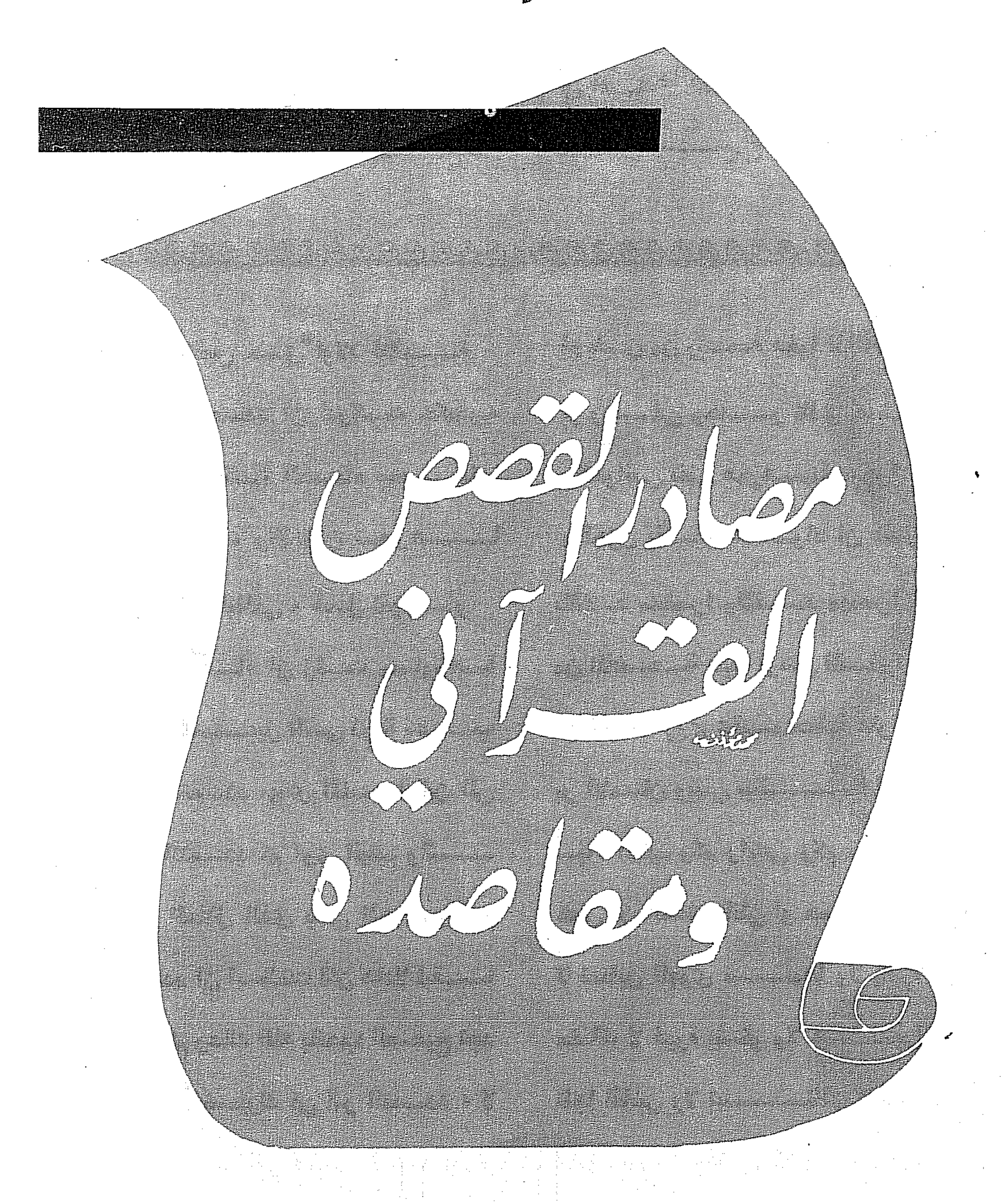
واحكم رعاك الله بالحب الصحيح تجد ... مغناك لا غيرة يشكو ولا غيرا

واسال ضميرك في امر التعدد ، لا ... تلجأ لقاض ولا تستأذن البشرا

اذا جرؤت على قاضي السماء فلن ... تكون يوما بقاضي الأرض مزدجرا

دراسة حول القصص القرآني :

[redacted]



تمهيـــد :

كانت القصة ــ وما تزال ــ مدخلا طبيعيا يدخل منه اصحاب الرسالات والدعوات ، من الرسل والقادة والمصلحين ، الى عقول الناس وقلوبهم ، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من معتقدات وآراء واتجاهات .. ولعـــل عصرنا هذا خير شاهد يشهد لما للقصة من سلطان على الناس ، ومن تأثير في مجرى الحياة ، وفي تلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وفي كل ما يمس الوجود الانساني للانسان في خاصة نفسه ، أو في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ، ابتداء من مجتمع الاسرة ، وانتهاء الى المجتمع الانساني كله ، والى الوجود جميعه في أرضه وسمائه !! ونستطيع أن نقرر في غير مبالغة أو مجازفة أن القصة كانت أول رفيق صحب الانســـان منذ خطواته الاولى على هذا الكوكب الارضي ، فآنست وحشته ، وكشفت معالم الحياة من حوله ، ووصلت ما بين عالمه المائج المضطرب في كيانه ، وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة .

فمنذ التقى الانسان بالحياة ، وهو في صراع عنيف متصل بكل شيء فيها .. سواء ما يقع منها في متناول حواسه أو ما يتولد من صـــورها في أوهامه وخيالاته ورؤاه .

ان خطوات الانسانية الاولى في الحياة كانت تتحرك على بســـاط سحري مهول من القصص المثيرة المذهلة ، يقصر عن تصورها أبرع خيال ، ويعجز عن تصويرها أعظم شعراء الملاحم والاساطير .

لقد كان كل شيء على الاطلاق يبدو لعيني الانسان الاول ، عــــالما مجهولا مخيفا ، يضم في كيانه قوى وأسرارا يعجز العقل عجزا مطلقا عن تأويلها ، أو الوقوع على شيء من عللها واسبابها .. فالسحاب ، والرعد ، والبرق ، والمطر ، والريح ، والنار ، والشجر ، والحب والثمر ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم .. وكل صغير وكبير وحي وميت ، ومتحرك وساكن ــ كل أولئك جميعا وغيرهن مما في هذا الوجود من موجودات كان عند الانسان الاول عوالم مجهولة ترمي اليه بالمخاوف ، وتحدق فيه بعيون تتهدد وتتوعد بالمرسلات من الصواعق والمهالك .

ومن هذه النظرة وعلى طول اتساعها وامتدادها نشــــأت الديانات والمعتقدات .. فالخوف أبو الآلهة ــ كما يقولون فمن مشاعر الذعر والخوف تولد الرهب والرغب الى عالم الاشياء ، والى القوى الخفية الكامنة فيها ،

وسرعان ما تجسدت تلك المشاعر فى خيال الانسان وتصوراته ، فخلعت على الاشياء ثوب الآلهة ، على تعدد أشكالها ، واختلاف صورها ، من حيـوان ونبات وجماد ، وكان من هذا أن تعبد الانسان لكل شىء يتوقى شره ، ايرجو خيره ، بما يقدم اليه من قرابين وما يرفع من صلوات ودعوات .

واذن فلم يكن عن مبالغة منا اذا قلنا ان القصة كانت أول ما صحب الانسان من تصورات عقله ، وصيد خواطره وطوارق أحلامه ، وهواجس رؤاه ، ولسنا بالمبالغين أيضا اذا قلنا ان هذه التصورات وتلك الخـواطر والطوارق والهواجس كانت أقوى قوة دفعت الانسان الى تحريك لسانه ، والى ايقاظ ملكاته ، واطلاق جميع القوى الكامنة فيه بحثا عن الكلمات التى يضعها على شفتيه ليصور بها تلك الاهوال التى تضطرب فى أعماقه ، وتموج فى مسارب تفكيره وتتراقص على مسرح خياله .

لقد كانت اللغة — بلا شك — هى اليد الرحيمة الحانية التى رفعت — وفى الوقت المناسب — الغطاء عن صدر — الانسان الذى كان يغلى ويفور بتلك الأخلاط الغريبة من التصورات والخيالات ، التى تدافعت سيولها اليه من كل منحدر ، وكادت تجرفه فى تيارها العتى ، وتحيله مزقا ! وانه ما ان جرت على رسانة بعض الكلمات وما أن وجد لها آذانا تسمع ، وعقولا تعى حتى أرسلها رسل سلام بينه وبين الاشياء — كل الاشياء — القريبة والبعيـدة منه ، مصورا بتلك الكلمات تسابيحه وصلواته ، معبرا بها عن ولائـه واستسلامه ، وكان لهذا أثره العظيم فى طرد الكثير من مخاوفه ، وفى بعث دفعات غير قليلة من الامن والطمأنينة اليه .

ولعل هذه النظرة التى تنظر بها كثير من الـديانات والمتدينين حتى عصرنا هذا — الى الله على أنه الاله المنتقم الجبار الذى لا يرحم ، والذى يأخذ الابناء بذنوب الآباء الى سبعة أجيال — لعل هذه النظرة هى من بقايا هذه المشاعر الانسانية الاولى فى دورها الطفولى ، التى غلب عليها الخوف الذى كان هو الباعث الاول فى عبادة ما عبدت من آلهة ، ثم توارثته الاجيال جيلا بعد جيل . . ولعل هذا الاحساس الدفين بالخوف من المجهول الذى يختفى وراء عوالم الطبيعة وظواهرها — هو الذى جعل آلهة اليونان — مثلا — قوى جبارة عاتية لا ترحم تترصد الناس وترمى اليهم بالمهلكات ، وتنزلهم على حكم قدر يضع الناس تحت رحى طحون ، لايرضيه الا الصراخ الـدائم والعويل المتصل ، ثم بعد أن طال ليل هذه الآلهة التى أحالت حياة النـاس مأساة دامية — تنفس الصبح عن آلهة الخير ، والجمال ، والحب ، والخمر . ولكن تلك الآلهة لم تكن تحتل الا جزءا ضيقا فى مسرح الحيـاة الانسانية ، لا تظهر الا بين الحين والحين ، ولا تعطى الا فى قصد وحذر على حين ظلت آلهة الشر والحرب رائحة غادية تملأ دنيا الناس ، وتتحكم فى مصـائرهم فى قسـوة وشراسـة .

بين القصة والدين :

وعلى أى فان الدين فى صورته الاولى لم يكن سوى القصـة أو الحكاية ، أو الخرافة ، ممثلة على مسرح الحياة فى خطوات الانسان الاول وفى خطراته ووساوسه وأوهامه .

ان معتقدات الاولين كانت فى الاغلب الاعم منها ، ممثـــلة فى تلك الاساطير والخرافات المخلفة من نسيج الوهم والخوف ، وقـــد ظلت تلك الاساطير متوارثة فى أجيال الناس ، فكانت منها ديانات الفراعنة ، واليونان، والفرس والهنود وغيرهم ، وكانت منها تلك الآلهة التى عبدها الناس فى تلك الازمـــان .

نقول هذا لنرى مبلغ العلاقة الوثيقة بين الدين والقصة ، وأن الدين لم يكن فى كثير من الاحيان الا مجرد قصة طويلة ، كانت يوما ما عند أهلها كتابا مقدسا ، وان بدت لنا اليوم نسيجا مهلهلا من خرافات وأباطيل وضلالات

ونقول هذا أيضا لندرك بعض المرامى التى قصد اليها القرآن الكريم من هذا القصص الكثير الذى ضمت عليه آياته وسوره ، ففى هذا القصص يلتقى الانسان التقاء صادقا واضحا مع أقوى دوافعه وعواطفه التى ولدت معه فى ضباب طفولته ، والتى نضجت مع الزمن فى صراعه الطويل مع الحياة . ومن هذه الدوافع وتلك العواطف يقاد الانسان ويؤخذ بناصيته نحو الغايات التى تدعوه اليها القصة وتقوده نحوها ! فالقصص القرآنى هو أحـــد الاساليب التى حملها القرآن بين يديه ليحاج بها الناس ، وليقطع المعاندين والمجادلين عن المماحكة والجدل ، شأنه فى هذا شأن ما جاء به القرآن من أساليب الاستدلال ، والمناظرة والتعجيز والوعد ، والوعيد ، وغير ذلك من المشاهد والمواقف المثبوتة فى القرآن الكريم كله ، من قصار الســور الى طوالها ، ولا نجد سورة مهما قصرت تخلو من مشهد ، أو موقف يمهد للدعوة الاسلامية ، ويضع معلما من معالم الهدى للاتجاه اليها ، والتبصرة بها ، فى منطق محكم ، وحجة دامغة ، وبيان معجز . مفحم .

مصادر القصص القرآنى :

والمعروف عن القصص الانسانى انه يعتمد أكثر ما يعتمد على الخيال، وعلى خلق صوره ومشاهده من هذا العالم المجنح ، البعيد عن أرض الواقع، وانه كلما أغرب القصصى وأبعد فى الخيال كانت سوق قصصه أكثر رواجا ، وأطول عمرا ، ذلك أن الطبيعة الانسانية تشوقها الغرائب ، وتستهويها العجائب التى تطل عليها بوجوه غير مألوفة لها ، على خلاف الواقع الذى تعيش فيه .. ومن هنا قيل : أعذب الشعر أكذبه .

فصانع القصة الانسانية لا يتقيد كثيرا بالواقع ، ولا يلتزم الصـــدق فيما ينطق به الاشخاص والاحداث التى تدور حولها قصته ، كما أنه لا يحفـــل كثيرا بالمثل والمبادىء والقيم التى يودعها كيان شخصياته التى يقيم عليهـــا بنـــاء قصـــته .

فالخيال الجامح الذى يبعد القصة عن مألوف الناس هو الذى يعطى القصة الناجحة أسباب نجاحها ، بما تحمل من ألوان التشويق والاثارة لمداناة هذا العالم المجهول ، وارتياد معالمه على زورق سحرى من زوارق الاحلام !

تلك هى مادة القصص الانسانى حتى التاريخى من هذا القصص فانه لا يحترم وقائع التاريخ ، ولا يتقيد كثيرا بما سطر فى صحفه ، بـــل يبيح القصصى لنفسه أن يلون هذه الوقائع بما يشاء من ألوان وأصباغ ، تغير كثيرا، أو قليلا من وجوه الاشخاص والاحداث ! .

فهل صاغ القرآن الكريم قصصه على نحو من تلك الصياغة التى صبت

فى قوالبها مواد القصص الانسانى ؟ بمعنى أن القصص القرآنى مزج بين الحقيقة والخيال ، وزواج بين الواقع والوهم ؟

ونقول : ان القصص القرآنى نسيج وحده ، فى مادته وفى أسلوب ادائه وفى مقاصده وغاياته — فهو فى مادته — صدق خالص ، وحق مطلق لا تشوبه شائبة ، من وهم أو خيال ، أنه بناء محكم من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه ، وهذا الواقع لا تتغير لمحة من لمحات وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز فى آيات الله وكلماته ، فالاعجاز والروعة انما يتجليان فى صدق الاداء ، وفى نقل الواقع ، وما تلبس به من خلجات النفوس ، وسرائر الصدور .. وانه ليس بالنقل « الفتوغرافى » الذى يقف عند السطح ولا يتجاوز ما وراءه من أبعاد واعماق ، بل هو نقل حى للاحداث حتى لكأنها تتجسد فى الزمان والمكان اللذين حملاها ، فتظهر وكأنها فى ساعة ميلادها ، لا يختلف يومها عن أمسها ، ولا يفقد من يشهدها اليوم مصورة فى كلمات ، شيئا مما شهده منها الشاهدون حين وقعت ! .

وهنا أمر ينبغى ان نلتفت اليه فى هذا المقام ، وهو التفرقة بين الواقع فى ذاته وبين نقله مصورا فى كلمات . أو فى عمل من أعمال الرسم ، أو النحت أو الموسيقى ، اذ ليس الاعجاب الذى يستولى علينا ، والروعة التى تأسر البابنا وتملك مشاعرنا من آيات العبقرى من الفنون ليس ذلك لمجرد الدقة فى المحاكاة ، والصدق فى النقل ، والامانة فى العرض ، وانما مرده الى ما وراء تلك القشرة السطحية للاشياء ، وما ينكشف لبصيرة الفنان الملهم من أسرارها المضمرة فى كيانها ، وما تستطيع أدوات فنه من اقتدار على متابعة رؤى بصيرته والتجاوب الصادق معها .

فالزهرة فى الطبيعة مثلا ، هى فى مرأى العين زهرة حمراء ، أو بيضاء، او صفراء لها ريح طيب نفاذ او غير نفاذ ، وهى فى مجال النظر والشم نبتة ذات لون وريح ، ولكنها فى مجال الشعور والوجدان وفى مجلى الخاطر والبصيرة كائن حى يحدق بأحداق ، ويحدث بلسان ، ويبسم بفم ، فهى ترضى وتسخط ، وتبسم وتعبس ، وتمنح وتمنع الى غير ذلك مما يتبدى من الكائن الحى ذى العاطفة والشعور .

والفن اذ ينقل الزهرة فى عمل فنى بأية أداة من أدواته التى تحملها يدفنان صناع لا ينقلها مجرد نقل سطحى ، كما يحدث فى النقل بأداة التصوير، وانما ينقلها محملة بهذه الرؤى التى انكشفت لبصيرته ، وتجلت لخاطره ، ووقعت لسمعه وبصره ، ومست شغاف قلبه ومسارب وجدانه .

ويبدو هنا سؤال ، لا بد من طرحه والاجابة عليه وهو : الا تكون تلك الرؤى التى تلوح للفنان فى الاشياء أو الاحداث والتى ينقلها فى العمل الفنى مع الشىء او الحدث — الا تكون هذه اضافات تبدل من صورة الواقع وتغير من حقيقته ؟ ثم الا يكون لنا أن نقول عن هذا الشىء ، أو الحدث المنقول الى عمل فنى ، انه ليس هو ، ولكنه شىء آخر من توليدات الفنان وتركيباته ؟

والاجابة على هذا السؤال من وجهين :

فأولا : أن أصالة العمل الفنى هى التى تضفى الخلود على هذا العمل، وتقيمه فى الحياة ميراثا باقيا على الزمن ، وانه لن يكون العمل الفنى أصيلا الا اذا كان من منبعه الى مصبه ملتزما الحق ، جاريا معه ، أو بمعنى أدق ،

ان الفنان الاصيل لا يمكن ان ينحرف عن الحق ، لان أصالته لا تقبل الزيف ، ولا تلتئم مع الباطل أبدا ، وما خلد ما خلد من أعمال فنية ، الا كان الحق هو روحه السارية فيه ، والحق خالد فى ذاته ، وفى كل ما يبنى عليه .

واذن فالعمل الفنى الاصيل يخرج فى ضمان هذه الاصالة معافى من الزيف ، مبرءا من الباطل ، سليما من التمويه والكذب .

وثانيا : ان الفن مهما بلغ من الاصالة لا يمكن ان يجمع الحق من جميع أطرافه وان يستولى عليه من كل جوانبه وذلك لما فى الانسانية من عوارض النقص والقصور ، فلا يمكن بحال من الاحوال أن يرقى انسان الى غاية الكمال الذى هو منزل الحق ، ومطلع شمسه ، وانما بحسب الفن من الاصالة أن يلم ببعض أطراف من الحق ويحوم حول حماه .

واذا كان ذلك هو غاية مستطاع الفن فى أعلى مستوياته — فان كلمات القرآن الكريم وحدها ، دون سائر الكلام هى القادرة القدرة المطلقة على أن تحمل الحق كله ، تضمه اليها ، وتحتويه فى كيانها ، لانها هى ذاتها الحق المطلق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفى هذا يقول الحق جل وعلا عن آيات القرآن الكريم وكلماته : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

واذن فنحن فى مواجهة القصص القرآنى ، وفى لقاء الاحداث التى يعرضها هذا القصص انما نشهد الواقع فى جلال الحق ، وفى روعة الصدق .. الحق الذى يقوم عليه وجود الموجودات على ما خلقها الخالق جل وعلا ، كما يقول سبحانه : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق » .. والصدق هو الذى ينقل هذا الواقع فى معرض آيات الله وكلماته .

تلك هى مادة القصص القرآنى ، وهذه هى مصادره التى صدر عنها .. من الحق ، والحق المطلق بناؤه ليس فيه شىء مما فى القصص البشرى من واردات الخيال ، أو الوهم مما يلجأ اليه أصحاب القصص ، تعويضا لما عجزوا عن تناوله من سماء الحق .

هذا ، وقد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمة (قصص) التى جعلها القرآن الكريم عنوانا دالا على ما ذكر من سير الاولين ، واخبار الغابرين ، فوقع فى فهم هؤلاء أنهم قد يكونون فى المجتهدين فى الاسلام ، أو المجددين فى الادب ، اذا هم أخذوا القصص القرآنى بمعايير القصص الادبى بما فيه من تلقيات الخيال ، وتلفيقات الاوهام ، ثم جرهم هذا أو جراهم على القول بأن القصص القرآنى ليس كله حقا وصدقا ، اذ ليس الحق والصدق من مقاصد قصصه ، انما هو مسوق للاثارة الفنية التى تجىء من ورائها العبرة والعظة التى هى المقصد الاول من هذا القصص ، وانه لا اثارة للفن اذا هو التزم حدود الواقع الذى يحكى الحق والصدق ، اذ أن الفن فى صميمه حرية ، ولا حرية مع الزام والتزام !!

ولقد اندفع أصحاب هذا القول الى ابعد من هذا فقايسوا بين الله والانسان .. فما الله فى حسابهم — فى هذا المقام — الا فنان ينزل على حكم الفن فيسوى قصصه على نحو ما يسوى عليه الفنانون قصصهم ، من مزج الحقيقة بالخيال ، وخلط الواقع بالوهم والمجال !!

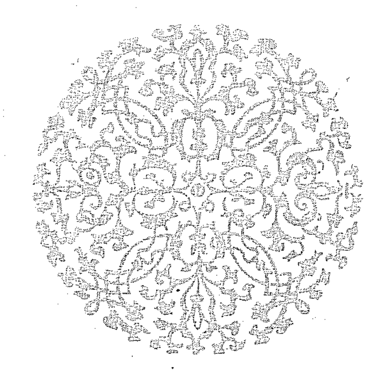
وهذه المقولات فوق أنها عدوان على الحق فى جانب الله ، وما ينبغى

لذاته وكلماته من تنزيه وتقديس ، ومن بعد عن نقائص البشر وقصورهم — هي عدوان صارخ على الفن ذاته ، إذ الفن بمعناه الحق نسيج محكم من صميم الحق ، ورحيق مصفى من لباب الواقع أو المتوقع وانه اذا اضطر الفنان لداع من دواعي القصور البشرى الذى لا يخلو منه انسان الى تلوين الحقائق وصبغها بألوان واصباغ من الوهم والخيال ، فذلك انما يكون بالقدر الذى لا يجوز على الحقيقة ولا يمسخ مضمون الواقع ، والا كان عملا يتلهى بـه لا تلقاه النفوس على حال من الجد أبدا ، ولا تنزلـه العقول منهـا منزل التوقير له والاعتداد به .

مقاصد القصص القرآنى وغاياته :

اما مقاصد القصص القرآنى وغاياته ، فهى — فى صميمها — الدعوة الى الحق والهداية الى مواقع الخير واقامة وجه الانسانية على مسـالك الحق والخير ، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار . . فليس فى القصص القرآنى شىء مما فى غيره من القصص الادبى ، من تلك المواقف والصور التى يراد منها استثارة العواطف المريضة ، واسترضاء الميول المنحـرفة فى الانسان وتملق غرائزه الحيوانية واقتياده منها . . وانما القصص القرآنى حرب على تلك العواطف المريضة وهذه الميول المنحرفة ، والغرائز المتدلية ، يلقاها جميعها فى حزم وحسم ، وينزل اصحابها منازل البوار والهوان فى كل موقف يلقاهم فيه ، لانه كما وصفه الحق سبحانه وتعالى بقوله : « ان هذا لهو القصص الحق » وما كان للحق ان يلبس الباطل ، أو يسلك مسالكه ، وما كان لدعوة الحق أن تجعل الباطل لسانا ينطق عنها ، ووجها يلقى الناس تحت رايتها ، ان ذلك حرب على الحق نفسه وسلاح ان أصاب فلن يصيب الا الحق فى صميمه .

وأما كيف نلتقى بالقصص القرآنى ، ومن اى جانب ننظر اليه ، وبأى مقياس نقيسه ، وعلى أى وجه من وجوه فن القول نعتبره ، وفى أى جـانب من جوانبه يلتقى بالقصص الادبى — فموعدنا للاجابة على هذه الاسئلة وما يدور فى فلكها لقاءات أخرى على صفحات « الوعى الاسلامى » فى أعداد قادمة ، ان شاء الله .



مكتبة المجلة

الفهرس الهجائى لكتاب المغنى لابن قدامه فى الفقه الحنبلى :

كتاب المغنى من امهات كتب الفقه فى الشريعة الاسلامية ، وليست فائدته قاصرة على من يريد التعرف على المذهب الحنبلى ، بل هو نافع لمن يريد أن يعرف أقوال سائر المذاهب الاسلامية ، بالاضافة الى معرفة الادلة الرئيسية فى كل المسائل الفقهية المطروقة . وقد تميز بترتيبه . وفصله الموضوعات الجزائية كلا فى فصل خاص أو مسألة خاصة .

والكتب الفقهية الرئيسية ليس لها فهارس الفبائية بالرغم من النجاح الكبير الذى اثبتته الفهرسة الهجائية ، الا انه قد صدر مؤخرا (معجم فقه ابن حزم الظاهرى) (فهرس حاشية ابن عابدين) .

يأتى الآن هذا الفهرس الهجائى للمغنى ليسد فراغا كبيرا فى هذا المجال وقد صدر عن البحوث العلمية بالكويت .

المجموعة العلمية السعودية :

كتاب يضم جملة من عقائد السلف الصالح الفها عدد من أهل التحقيق والتدقيق من العلماء ويحتوى الكتاب على عدة عقائد لبعض ائمة الاسلام وكتاب التوحيد وكشف الشبهات والاصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربعة وشروط الصلاة وكمال الشريعة وشمولها وقد حقق هذه المجموعة وراجع أصولها الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد وتفضل الشيخ قاسم بن على بن قاسم آل ثانى بطبعها على نفقته .

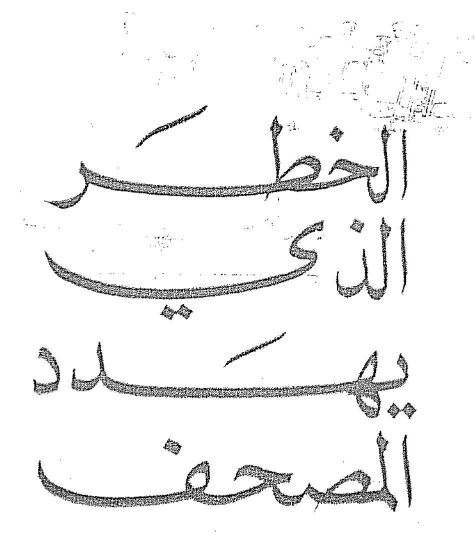
والكتاب طبع بمطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ويقع فى ٢٥٠ صفحة .

محاضرات فى الثقافة الاسلامية :

مجموعة محاضرات فى كتاب لمؤلفها الاستاذ احمد محمد جمال استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز .

وتدور هذه المحاضرات حول الثقافة الاسلامية وفطرة الدين والعقائد الغيبية وفلسفة التعبد والقضاء والقدر وأخلاقية الاسلام والقومية فى ميزان الاسلام والادارة فى الدولة الاسلامية ومهمة الحاكم المسلم وعبقرية الاقتصاد الاسلامى والمرأة فى التشريع الاسلامى .

وهذا الكتاب يحتوى على ٢٩٤ صفحة ومن طبع دار الفكر ببيروت ونشرت مكتبة الثقافة بمكة المكرمة .





نشرت صحيفة (الاهرام) القــاهرية تحقيقا للاستاذ محمد مهدى عن الاخطاء التى كثر وقوعها فى طبعات المصحف الشريف ، وقد اســتطلع فيه رأى فضيلة شــيخ الازهر ومدير ادارة القرآن بوزارة الاوقاف ، ولأهمية هذا الموضوع القصوى ننقل للقراء على هذه الصفحات نص هذا التحقيق :

ان فضيلة شيخ الازهر يرى أنه لا سبيل الى القضـــــاء على الاخطاء التى تقع فى بعض نسخ المصاحف الا بوجود جهة واحدة تتخصص فى طبع واصدار المصحف الشريف ، بشرط أن تكون هذه الجهة تحت اشراف الازهر ، ومزودة بأفضل العناصر المتخصصة فى علوم القراءات وفن الطباعة الحديثة .. فان وجود أكثر من جهة لطبع المصحف — ومعظمها شركات خاصة — دون رقابة صارمة عليها ، يؤدى الى اهمال بعضها ، ولو عن غير قصد ، فى العناية الواجبة لكتاب الله .

والحقيقة أن هذا الاهمال الذى يشير اليه فضيلة الامام هو — بالقطع — وراء كثير من حالات الخطأ التى وقعت فى المصحف ..

ومنها مثلا :

ندفعه ؟

●● نفس الشركة التى طبعت وأصدرت المصحف الذى أشـــار اليه (الاهرام) وتداخلت فيه بعض آيات القرآن الكريم تداخلا جعلها تأتى فى غير ترتيبها السليم .. أصدرت نفس هذه الشركة — وهى شركة خاصة — مصحفا آخر من نوع (الجيب) تداخلت فيه سورتا (مريم) و (المؤمنون) حيث جاءت الآية (٧١) من سورة (المؤمنون) بعد الآية (٤٨) من سورة (مريم) .

كما تداخلت سورة (النحل) مع سورة (مريم) أيضا ، حيث جاءت بقية الآية (٤٩) من سورة (مريم) بعد الآية (٦٤) من ســـورة (النحل) . وتبعا لذلك تداخلت سورة (المؤمنون) مع سورة (النحل) فجاءت بقيـــة الآية (٦٥) من سورة (النحل) بعد الآية (٧٠) من سورة (المؤمنون) .

فقط ١٨ آية من سورة الكهف .. !

احدى الهيئات الحكومية الكبرى المتخصصة فى الطباعة أصدرت طبعة خاصة من المصحف لاحدى الوزارات ، وسجلت على الغلاف اسمها واسم الوزارة وعام الطبع .. ولكن :

● لا توجد فى المصحف سورة كاملة ، وهى سورة (مريم) !

● سورة (الكهف) وهى احدى السـور الطوال وتضم !! آيات ، لا يوجد منها فى المصحف سوى ١٨ آية فقط .

● سورة (طه) سقطت منها ٩٣ آية ، حيث بدأت فى المصحف بآية (٩٤) .

● سور الشورى والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف مكررة مرتين : مرة بين الجزء الناقص من سورتى (الكهف ، وطه) ومرة فى موضعها الاصلى ..

● سورة الاحقاف ، عندما وردت فى غير موضعها الاصلى جاءت ٢٨ آية فقط ، بينما هى ٢٥ آية .

٩٠ خطأ فى مصحف واحد .. !

● احدى دور النشر الكبرى طبعت العام الماضى مصحفا من نوع (الجيب) فيه نحو ٩٠ خطأ .. وبالرغم من أن لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف بالازهر اكتشفت هذه الاخطاء فى أثناء عرض (بروفات) المصحف عليها ، وطالبت بضرورة تصحيحها قبل الطبع النهائى للمصحف .. وبالرغم من هذا فان الدار التى أصدرت المصحف لم تستجب لتوجيهات اللجنة وصدر المصحف بأخطائه دون علم من اللجنة ..

ولم تتبين ادارة البحوث والنشر بالازهر التى تتبعها لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف حقيقة الامر ، الا عندما أرسل اليها أحد ضباط القوات المسلحة برسالة أشار فيها الى أنه اكتشف بأحد المصاحف مجموعة من الاخطاء وبينها على نسخته التى أرفقها بالرسالة . وعند دراسة النسخة المرسلة تبين أنها نفس الاخطاء التى أشارت اليها اللجنة وطالبت بتصحيحها .

وعلى الفور تم الاتصال برئيس مجلس ادارة الدار التى أصدرت المصحف ، وابلاغه بما حدث .. وفى نفس الوقت تم الاتصال ـ أيضا ـ بالرقيب العام بمضمون الموضوع ، ومطالبته بجمع كل النسخ من هذه الطبعة ــ وقد تبين أنها تتجاوز الخمسين ألف نسخة ــ ومصادرتها واحراقها .. ثم أحيل الموضوع الى النيابة العامة ..

مصحف غير صالح للقراءة .. !

● احدى الوزارات كانت قد رأت منذ نحو عشر سنوات اصدار طبعة خاصة بها من المصحف الشريف .. وبعد الطبع تبين لها أن فى المصحف نحو ٢٠٠ خطأ فى علامات ضبط الحروف ، مما يجعل المصحف غير صالح للقراءة فيه ، فأحجمت الوزارة عن توزيعه .. وكدسته فى مخازنها التى توجد فيها الآن آلاف النسخ منه .

ان المسئولين فى الازهر يؤكدون أنه ــ حتى الآن ــ لا توجد لدى الازهر أو أى جهة أخرى سلطة توقيع عقاب على الدار التى يصدر منها الخطأ ، أكثر من حرق النسخة أو مجموعة النسخ المغلوطة .. كل الذى تفعله ادارة البحوث والنشر التابعة لمجمع البحوث الاسلامية ، فى حالة اكتشاف خطأ فى أحد المصاحف عن طريقها ، أو عن طريق نسخة يرسلها أحد القراء الحافظين لها ، هو أن تكتب الادارة للرقيب ومباحث أمن الدولة

بحقيقة ما جاء فى المصحف .. وتطلب مصادرته .. ثم ينتهى الامر !

من أين يأتى الخطأ .. ؟

ان الذى يحدث فى حالة صدور أى مصحف جديد ، هو ـــ كما يقول الدكتور أحمد مهنا مدير البحوث والنشر بالازهر ـــ أن تتقدم الدار أو الشركة التى ترغب فى ذلك بطلب الحصول على تصريح بطبع المصـــحف ، وعلى الفور تحصل عليه .. ثم تبدأ عمليات الطبع .. فى هذه الاثناء تعرض الدار أو الشركة بروفات المصحف أولا بأول على لجنة التصحيح والمراجعة التى تقوم بتصحيحها ومراجعتها ، ثم إعادتها الى المطبعة لتنفيذ توجيهاتهـــا .. حتى اذا انتهت كل البروفات وأصبح المصحف جاهزا للطبع النهـــــائى .. تطلب الدار تصريحا آخر بنشر المصحف وتداوله فى الاسواق ، وتحصل عليه أيضا .

وتتم اجراءات الحصول على التصريحين وعملية التصـــحيح والمراجعة بالمجان ، وبمنتهى السهولة ، دون أن تدفع الدار شيئا للازهر . وفى خلال هذه العملية يمكن أن يقع أكثر من خطأ .. فمثلا :

● قد تهمل المطبعة فى اللحظة الاخيرة تنفيذ أوامر الطبع التى تنص على عبارة (يطبع بعد تنفيذ التصحيح) .. وقد يفوت الخطأ ـــ عن غير قصد ـــ لجنة التصحيح والمراجعة ، فيصدر به المصحف .

● قد يكون ـــ الاتفاق فى تصريح النشر على طبع ٥٠ ألف نسخة ، ويطبع الناشر ـــ رغبة فى الكسب ـــ أكثر من ١٠٠ ألف نسخة على نفس (الكليشيهات) والرصاص الذى يتآكل بعد كمية معينة ، ويصبح بعدها غير صالح للطباعة على مستوى الدقة التى يتطلبها المصحف ، وفى هذه الحالة قد يضيع حرف أو تطمس كلمة أو تكسر حركة فتتحول الضـــمة ـــ مثلا ـــ الى فتحة ..

● ان الناشر يرسل الى ادارة البحوث عددا معينا من النسخ بعد النشر ، وعادة يختارها من أحسن المطبوع .. وقد يقع الاهمال فى مجموعات كبيرة بعد ذلك فى أثناء ترتيب الملازم أو تجليد المصاحف ، ويؤدى الى اخطاء لا يمكن لاحد فى الازهر أن يكتشفها الا عن طريق الصدفة البحتة اذا وقعت فى يده احدى هذه النسخ .

والذى يساعد على وجود هذا الاهمال ، الذى يفضى بدوره الى الوقوع فى الخطأ :

أولا : سهولة الحصول على التصاريح من حيث :

ـــ عدم تسديد رسوم للحصول عليها .

ـــ عدم حرمان أحد منها ، حتى ولو كان قد ثبت عليه الوقوع فى خطأ فى مرة سابقة .

ثانيا : الرغبة فى الكسب بطبع أكثر من الكمية المتفق عليها ، دون تجديد الكليشيهات وغيرها من أدوات الطبع .

ثالثا : قصور الملاحظة المستمرة لجميع المراحل التى يمر بهـــا طبع المصحف .. فلا يوجد واحد من لجنة التصحيح فى المطبعة ليشرف بنفسه على تنفيذ أوامر الطبع ، ولا آخر يراقب صلاحية الكليشـــيهات ، ولا غيره يحضر عملية ترتيب الملازم والتجليد .

وعند هذا السبب الاخير يشير فضيلة الشـــيخ عبد الفتاح القاضى رئيس لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف الى أن عدد المكلفين بعملية التصحيح والمراجعة فى الازهر كله لا يتجاوزون تسعة أشخاص ، بينما يحتاج حجم العمل ثلاثين شخصا على الاقل .. وقد اقترح فعلا زيادة العدد ، خصوصا وأن هؤلاء التسعة يقومون بجانب عملهم فى المصاحف المصرية ، بمراجعة كل المصاحف التى ترد من الخارج ، حتى ولو جاءت فى شكل هدية لاحد الاشخاص ، ما دامت قد دخلت البلاد عن طريق البريد .

دار القرآن .. ضرورة .. !

من أجل هذا كله .. وحتى لا يستمر وقوع الاخطاء ، تأتى ضرورة الاسراع فى البحث والاتفاق على جهة واحدة تكون المسئولة عن طبع المصحف والاشراف عليه فى كل مراحله ، وتعمل على تلافى كل نواحى القصور التى تؤدى الى الخطأ ، والكل يكاد يتفق على أن دار القرآن التى بدأت وزارة الاوقاف فى انشائها عام ١٩٦٤ ثم توقف العمل فيها .. لو اســـتؤنف العمل فيها مرة أخرى لكانت خير دار تقوم بهذا العمل الكبير .

●● والى أن يتحقق هذا فان فضيلة الامام الاكبر يقترح اصـــدار قرار على أعلى مستوى يحيط عملية طبع المصـــحف بمجموعة من الضــــمانات الدقيقة ، بحيث لا تعطى تصاريح طبعه ونشره لمن يثبت اهماله .. ومن يحصل عليها ثم يثبت اهماله ، لا يكتفى معه باحراق النسخ المغلوطة ، بل توقع عليه غرامة مالية تتناسب مع حجم الاهمال ، تنفق قيمتها فى ســـبل الخير ، ويخصص جزء كبير منها للمجهود الحربى وأسر المجندين .. وهذا بجانب حرمانه من الحصول على تصريح طبع لمدة زمنية محددة .

ويذهب لبيب السعيد مدير عام ادارة القرآن الكريم بوزارة الاوقاف الى أبعد من هذا ، فيقترح أن ينص القانون على أن صدور أى نســـــخة مغلوطة من المصحف يعتبر جنحة يقدم المتسبب فيها الى القضاء .. واذا تكرر منه الخطأ مرة أخرى ، اعتبر تصرفه هذا جناية ، ويعاقب عليهـــــا بنفس العقوبة التى توقع على مرتكبى الجنايات .

العقاب ليس هو المهم .. !

والحقيقة أن هذه العقوبات ، قد تقلل فعلا من نسبة الخطأ ، ولكنها لن تمنعه بحال من الاحوال .. ولهذا يجب أن تســـــبقها وتحوطها فى الوقت نفسه مجموعة من الاجراءات التى تتلافى نواحى القصور الحالية أولا .. ويذكر مدير شئون القرآن منها :

● زيادة عدد العاملين فى تصحيح ومراجعة المصحف ، مع ضرورة الاشراف على اللمسات الاخيرة فى عملية الطبع من داخل المطبعة نفسها .

● زيادة عدد المفتشين الفنيين الذين يقومون بعملية التأكد من سلامة كل ما يرد فى المصحف بعد نشره رسما وأداء بمختلف القراءات المتواترة ، ثم يطالبون بمصادرة أى نسخة تخالف هذه القراءات . انهم ثلاثة أشخاص فقط ، فى كل وزارة الاوقاف ، وقد تجاوز كل منهم السبعين من عمره ، وبذلك لن يغطوا كل دور عرض الكتب التى تبيع المصاحف مهما بذلوا من جهد ..

واذا علمنا أن عملهم فى غاية الاهمية ودراستهم ذات نوعية خاصة لا يقبل عليها الكثيرون ، وجب علينا العمل بكل وسيلة تشجيعية على تكوين جيل ثان منهم يواصل رسالتهم من بعدهم .

● فى حالة زيادة المراجعين والمفتشين ، تجب مراجعة كل طبعات المصحف نسخة نسخة مهما بلغ عددها .. وستكون هذه المراجعة ميسورة لو ركزت فقط على التأكد من ترتيب الصفحات لتفادى الناقص أو المكرر منها أو الموضوع فى غير موضعه .

وقد حدثت هذه المراجعة فعلا — كما يقول لبيب السعيد — عام ١٩٦٢ فى الطبعة الثانية للمصحف المرتل ، حيث تم فحص كل اسطوانات المصحف واحدة واحدة ، وكانت تبلغ ٤٤ ألف اسطوانة . وقد وجد فعلا نحو ١٥٪ لا يصلح فأعدم على الفور واستبدل بغيره .

—— ● ——

والكلام عن طبع المصحف من حيث الاهتمام بطبعه ونشره ، وضرورة وجود جهة واحدة تتولى هذا العمل الهام ، لا على المستوى المحلى فقط ، بل وتصديره الى كل العالم الاسلامى .. هذا الكلام يطرح سؤالا هاما هو :

— بأى خط يطبع هذا المصحف الذى ستتوافر له كل الضمانات .. ؟

ولعل الذى يفرض هذا السؤال أن المصحف يطبع الآن فى العالم الاسلامى بثلاثة خطوط :

■ يطبع فى مصر وبعض البلاد الاسلامية بالخط العثمانى أو ما يعرف بالرسم العثمانى ، وهو الذى نقرأه فى مصاحفنا ، ولا يخضع لقواعد الاملاء التى نكتب بها من حيث كتابة كل ما ينطق ، بل ينهج سبيلا آخر يرجع فى رسم حروفه الى المصحف المتوارث من العصور الاسلامية الاولى .

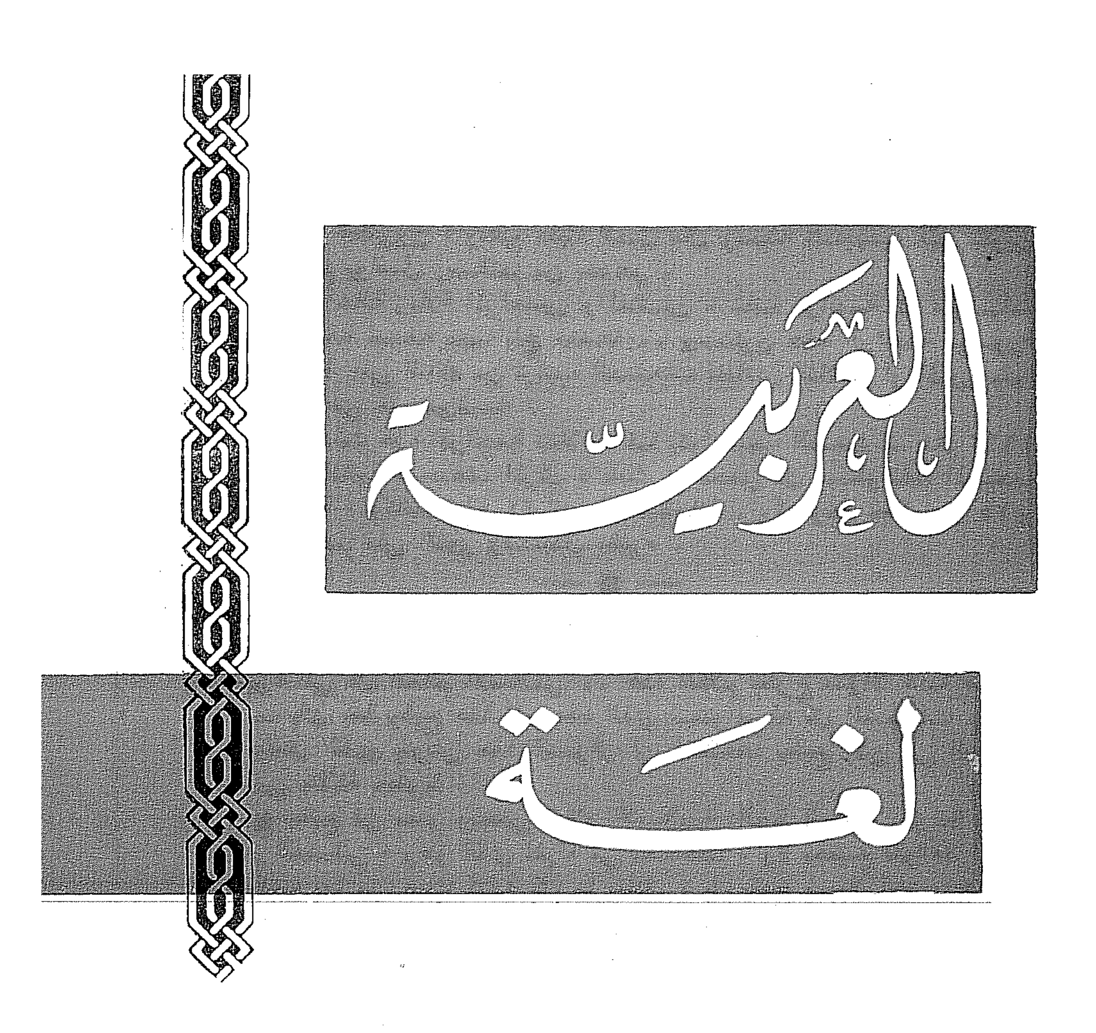
■ يطبع فى المغرب بالخط العثمانى مع تصرف فى رسم بعض الحروف ، فتكتب القاف — مثلا — بنقطة واحدة ، وتوضع النقطة من تحت الفاء وليس من فوقها .. وهكذا .

ويقول فضيلة الامام الاكبر أنه نفسه — لولا حفظه للقرآن — لوجد صعوبة كبيرة فى مواصلة القراءة بالخط المغربى .

■ ويطبع فى لبنان والعراق وتركيا وغيرها بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة التى تكتب كل ما ينطق باستثناء حالات معينة التزم فيها المصحف بالرسم العثمانى . ويجد مسلمو هذه البلاد صعوبة كبيرة فى قراءة أى مصحف مطبوع بغير خطهم .

خوفا من التحريف :

وبالرغم من أن مصر كانت حتى عام ١٩١٧ تطبع المصحف بالخط الاملائى ، تتبع فى ذلك الدولة العثمانية ، الا أنه منذ ذلك التاريخ بدأت فى طباعة المصحف بالخط العثمانى ، ثم صدر قرار من مشيخة الازهر بتحريم طبع وتداول ومصادرة أى مصحف فى مصر مطبوع بغير الخط العثمانى ، وذلك على اعتبار أن الخط الاملائى خط مستحدث مرتبط بعصرنا ، ويمكن أن يستحدث خط غيره فى عصر من يأتون بعدنا ، فيؤثر ذلك على سلامة المصحف الذى سيصبح فى هذه الحالة خاضعا للتغيير حسب خط كل عصر ، مما يخشى معه التحريف فى كلمات الله .



يتردد فى دنيا العروبة بين الحين والحين تساؤل حول صلاحية اللغة العربية للحياة بوجوهها المختلفة ، وفى الايام الاخيرة تركز السؤال حول صلاحيتها لغة لتدريس العلوم ..

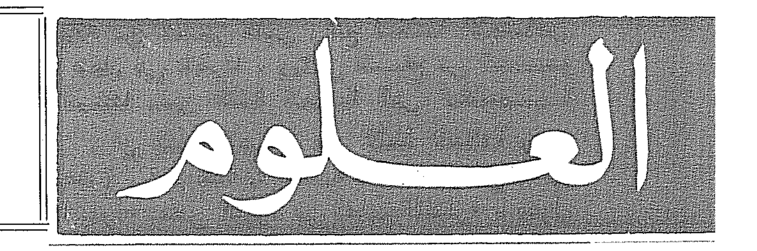
وتمهيدا للوصول الى غاية من البحث أترك الجواب لعدد من الباحثين العالميين مبتدئا بغوستاف لوبون الذى يقول :

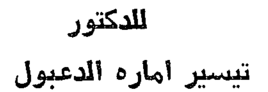
ظلت ترجمات كتب العرب — ولا سيما الكتب العلمية — المصدر الوحيد تقريبا للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة قرون ، ويمكننا أن نقول أن تأثير العرب فى بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام الى أيامنا ، فقد شرحت كتب ابن سينا فى مونبلييه فى أواخر القرن الماضى ..

أما الدكتورة سيجريد هونكيه فانها تقول : (قبل ستة قرون امتلكت كلية الطب فى باريس أصغر مكتبة فى العالم . وكانت محتوياتها مجرد كتاب واحد لمؤلف عربى هو أبو بكر الرازى) . ثم تتحدث عن هذا الكتاب قائلة : (لقد كان مؤلفا قيما جدا حتى أن صاحب الجلالة ملك جميع المسيحيين لويس الحادى عشر أراد مرة استعارته فدفع تأمينا باهظا له . وكان غرضه من استعارته تمكين أطبائه الخصوصيين من الحصول على نسخة منه

للرجوع اليها . وهذا الكتاب الذى كان يكون مكتبة طلبة طب جامعة باريس عبارة عن موسوعة لسائر المعارف والعلوم الطبية) وتضيف الباحثة قائلة : (ويجب أن نذكر للرازى أيضا كتابا صغيرا وضعه . وهذا الكتاب حجة فى مادته وقد طبع فى أوروبا بين عامى (١٤٩٨ — ١٨٦٦) أربعين مرة وهو المرجع الوحيد للنقرس والحصوة وأمراض المثانة والكلى وأمراض الاطفال). ومن أراد الاستزادة من معرفة مكانة العرب العلمية فى الفلك والضوء والجبر فما عليه الا أن يرجع لما كتبته هذه الباحثة الامينة عن ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا وغيرهم من الأدمغة العربية التى أنارت للعالم طرق البحث والدأب للوصول الى الحقيقة ..

وأما نيلينو فانه يقول : (قياس العرب لمحيط الارض هو أول قياس حقيقى أجرى كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المهمة من الوقت الطويل





والصعوبة ، واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين فى العمل وذلك كله حدث فى زمن المأمون وقد بلغ طول المحيط حسب قياسهم (٤١٢٤٨) كيلو مترا بينما معطيات التقدم الحديث دلت على أن محيط الارض (٤٠٠٧٠) كيلو مترا) ..

وأعتقد الآن ، وبعد أن قدمنا شهادات من لا يمكن لهم أن يتعصبوا للعرب ، أقول أعتقد الآن أننا نستطيع أن نقول : ان العلم التجريبى بضاعة عربية ، وأن الطب الحق الجدير بهذا اللقب لم يكن معروفا خارج الوطن العربى . وهذا يدفعنا الى الاستنتاج : أن اللغة العربية كانت اللغة العالمية للعلم . وما كان يمكن لأى باحث أن يجهل اللغة العربية ، ونستطيع أيضا أن نعلن : أن المعرفة العلمية المتاحة كانت عربية اسلامية وحتى الورق الذى يمكن أن تنسخ عليه المعارف كان سلعة عربية ..

وأعتقد أيضا أننا قد توصلنا الى القناعة بأن المجتمع العربى كان مجتمعا مثقفا بكل ما تعنيه هذه الكلمة كما يقول ويل ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) ، ولأننا نجد فى لحظة المغيب : مغيب الحضارة العربية الباحث

الكبير ابن خلدون الذى ــ يعلق الفيلسوف الانكليزى الشهير أرنولد توينبى على مقدمته بأنها : (بلا شك أعظم مؤلف من نوعه حاول خلقه أى عقل على الاطلاق فى أى زمان وفى أى مكان) . ترى ! ما الذى حدث لهذه اللغــــة العالمية حتى زحزحت عن مكانها الاول لتنزل فى المرتبة السابعة بين لغات العالم الآن حسب تصنيف العالمة الاميريكية مارجريت ميد : الانكليزية ، فالأندو أوروبية فالروسية، فالالمانية ،فالاسبانية، فاليابانية، ثم العربية ، فالبنغالية، فالبرتغالية، فالفرنسية، فالملايوية، فالايطالية وهنا بالذات نقرأ جواب سلامه موسى على هذا التساؤل أنه يقول : (هذه اللغة ــأى العربيةــ لا ترضى رجلا مثقفا فى العصر الحاضر ، اذ هى لا تخدم الامة ولا ترقيهــا لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل) ، ولا أدرى أى مائة علم يعنى !؟ كما يقول عنها : (هى أس البلاء والمسؤولية عن كل الرزايا ، ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتمـــــاعى) . .

ويحق لنـــا أن نقول : ياله من تفسير علمى رائع لتخلفنا الاجتماعى اذ ليس للاستعمار ولا للاقطاع دخل فى تأخرنا ، ويكفى لنصبح فى الصــف الأول مع المتقدمين أن نلوى ألسنتنا بغير اللغة العربية التى امتدحهــــا المستشرق (فان دايك) قائلا : (ان اللغة العربية هى اللغة الخالدة وهى أحــق اللغات فى الحيـــاة والبقاء) . نعم هذا ما قالــه سلامه موسى فــى لغة قومه ولا بأس من عرض ما يقوله بعض اليهود فى لغتهم المندثرة . يقول سابا تومارايس اليهودى الأمريكى : (ان معرفة اللغة العبرية هى المحور الذهبى الذى يدور حوله كياننا القومى والدينى ، فاللغة العبرية الهابطة من جبـــال الأبدية اختارها الله لنشر الحقائق) ويقول سمولنسكين : (هنا مخزن فسيح الأرجـــاء مملوء كنوزا ومفاتيحه اللغة العبرية ، فهل يجوز لنا أن نلقى بهذا المفتاح فى محيط النسيان أكثر من ذلك) ؟؟

ولعل المقابلة بين أقوال اليهود فى لغتهم وأقوال سلامه موسى ومــن لف لفه ممن غذاهم الاستعمار ليخدموا مصالحه تبين لنا مكانة كل منهم فى أمته حرصا عليها ودفاعا عنها . .

ولعل أيضا شهادة ماسينيون (استاذ اللغة العربية فى جامعـــة السوربون) توضح عمالة هؤلاء وحرصهم على خدمة سادتهم حيث يقول : (ان اللغة العربية بفضل تركيبها قادرة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر والمسلسلات الحسابية ، وهى لغة وعى ولغة شهادة وينبغى انقاذها سليمة بأى ثمن لتصبح اللغة الدولية المستقبلة . .

ان هذا الخلط يدعو الباحث المتأنى الى العودة لمعرفة أصحاب هذه الدعوات وغاياتها والمروجين لهـــا والجهات التى تخطط لهم وتدعمهم . .

لقـــد ظهرت هذه الدعوة ، دعوة تحطيم العربية بشعبها الثـــلاث : الدعوة الى العامية ، والدعوة الى تبسيط القواعد وحذف أبواب منها واصلاح

الخط العربى باستبدال الحرف اللاتينى به ..

لقد قلت ظهـرت هـذه الدعوة عـام ١٨٨٢ فى صحيفة المقتطف ثم انتقل أثرهـا الى بقية السماسرة والمهرجين فى أرجـاء عالمنا العـربى ويكفى أن أذكر على سبيل الاختصار أسـماء سبيتا وفولازروباول وفيلوت وبوريان الذين قادوا هذه الحملة فى مصر منذ عـام ١٨٨٠ وفعل عمـال الاستعباد مثل ذلك فى بـلاد عربية أخرى ، فكتب كوسان دى بريسفال : كتـابا فى (قواعد العامية الشرقية والمغربية) ١٨٥٢ وكتب ماسينيون كتابا فى (لهجة بيروت العامية) ١٩١١ ، وكتب فى السنة التالية كتابا آخر فى (لجهة بغـداد العامية) طبع فى مصر ١٩١٢ وكتب بن سميل : كتابا فى (لهجة مراكش العامية) ١٩١٨ ، وكتب برجشتراسر كتابا فى (عامية دمشق) طبع فى هانوفر ١٩٢٤ ، وكتب لويس مارسييه كتابا فى (عربية مراكش) طبع فى باريس ١٩٢٥ وكتبت عشرات أخرى من الكتب على هذا المنوال . ولم يكتفوا بذلك ، وانما أدخلوا تدريس اللهجات العامية فى مدارسهم وجامعاتهم ، وأنشأوا لهـا مدارس خاصة فى بعض الاحيان . لقد أنشأت جامعـة لندن فرعا لتدريس العربية الفصحى واللهجات العامية فى أوائل القرن التاسع عشر وكلف أحمد فارس الشدياق بتأليف كتاب لها فى اللهجات فكتب (أصول اللغـة العربية المحلية) وأسست مدرسة نابولى للدروس الشرقية ١٧٢٧ ثم جددت ١٨٨٨ وأسست مدرسـة لتعليم القناصل لهجات العرب العامية فى فيينا ١٧٥٤ ، وألف حسن المصرى كتابا فى العامية المصرية ١٨٦٩ سماه : (أحسن النخب فى معرفة لسان العرب) ، وأسست مدرسة باريس للغات الشرقية الحية فى أواخر الثلث الاخير من القرن الماضى وألف لها ميخائيل الصباغ كتابين فى العامية المصرية والشامية سماهما (الرسالة التامة فى كلام العامية) . و (المناهج فى أصول الكلام الدارج) ، وأنشئت مدرسـة لازاريف الاكليركية للغات الشرقية فى موسكو ١٨١٤ وكلف محمد عيـاد الطنطاوى بتأليف كتاب لها سماه (أحسن النخب فى معرفة كـلام العـرب) ..

وليس هذا وحده ما يستدعى العجب ، فان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية فى القاهرة وهو عبد العزيز فهمى نادى ١٩٤٣ باقتراح كتـابة العربية بالحروف اللاتينية وغيره ممن نادى بذلك كثير ..

أليس ذلك يدعو الى أن نتساءل : هل أنشىء هذا المجمع لينظم جهود حمـاة العربية ، أو أنشىء ليكسب الهدم والهدامين صفة شرعية ، وليضع على بيت جفـار القبور لوحـة نحاسية كتب عليها بخط عريض (طبيب) ، وعلى وكر القاتل السفاح اسم (جـراح) (١) ..

ولعلنا بعـد هذا العرض نستطيع اعادة كل شنشنة قـام بها بوق مأجـور ، أو سمسار عميل أو مغفل مخدوع الى مصدرها الحق من كتب هؤلاء المستعمرين المدربين ، الذين لا هم لهم الا محاربة الفصحى والقضاء عليها بل على ما تمثل من تراث ماض مجيد وحضارة خالدة ومثل وقيم ظلت منارة يهتدى بهـا الباحثون المنصفون ..

وأما تلك الحفنة التى ذرت على نفسها غبـــار الاعتدال فدعت الى تطـــور اللغـــة ، فانى أترك الجواب عليها للباحث الكبير الدكتور محمد محمد حسين (رئيس قسم اللغة فى جامعة الاسكندرية وبيروت العربية) الذى يقول : (ويقولون ان اللغات الأوروبية قـــد تطورت فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم . وهناك فرق بين التطور والتطوير ..

تتطـــور اللغـــة بأن تفرض عليها قوانين قاهـــرة هذا التطور . أما التطوير فهو سعى مفتعل الى التطور هو ارادة أحداث هـــذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه . والتطور لا يسعى اليه ولا يصطنع ولكنه يفرض نفسه ، فلا نجد بدا من الخضوع له . وأى نعمة وأى مزية فى تطـــور اللغات الأوروبية حتى نسعى الى افتعال نظيره فى لغتنا ؟ ان هذا التطور كان نكبة على أصحابه قطعهم أمما بعد أن كانوا أمة واحدة فما زالوا فى خـــلاف وحروب منذ ذلك الوقت ، ثم انه لم يحكم على تراثهم القـــــديم المشترك وحده بالموت بل هو ما يزال يقضى بين الحين والحين على التراث القومى لكل شعب من هذه الشعوب ، حتى ما يستطيع الانكليزى اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة شكسبير الذى مات فى القرن السابع عشـــر ، بينما لا يستطيع الانكليزى المثقف أن يقرأ ما قبل شكسبير مثل تشـــوسر ولا يقدر عليه الا قلة من المتخصصين ومثل ذلك الفرنسية والايطـــالية وسائر اللغات الأوروبية الحديثة ..

أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة فنقرأ القرآن الكريم ونفهمـــه ونقـــرأ رســـائل الجاحظ وأغانى الأصفهانى فلا نكاد نحس فارقا ، بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين . فلماذا نسعى الى أن نفقد أنفسنا هذه المزايا التى لم تفرض علينا فقدها ضرورة من الضرورات ..

لماذا نحســـد أوروبا — التى ابتليت بذلك . على مصابـــها ونصـــنع صنيع اليهود الذين قالوا لنبيهم حين مروا بقـــوم عاكفين على أصـــنام لهم يعبدونها : (اجعل لنـــا الها كما لهم آلهة) . وأما استقصاء الواقع فانـــه يدل على أن اللغـــة القومية لشعب ما حتى وان كانت مندثرة أو قاصرة ، فانهـــا هى المتبناة فى مدارســـه وجامعـــاته لغـــة للأدب والفلسفة والعلم الا عندنا(٢) وعلى سبيل الذكر لا الحصر اليكم مثلا :

هـــولندا ، البرتغال ، بلغاريا ، النمسا ، الدانمارك ، الســـويد ، النروج ، فنلندا ، المجـــر ، يوغوسلافيا ، البانيـــا ، الصين (٣) ، رومانيا ، وكل من هذه الدول تتكلم بلغتها القومية ، وأما سويسرا ، بلجيـــــكا ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا فانها تتكلم لغتين قوميتين فأكثر ، حسب الاصـــول القوميـــة لســـكان كل منهـــا ..

والنتيجة المنطقية لهذه الاستعراضة الموجزة السريعة هى : أن اللغة تقدمت وأصبحت لغـــة العالم عندما كان لأهلها بأس وسلطان وحضـــارة وعمران ، وانحسرت متراجعة عندما أخلد أهلوها الى نوم عميق . وقـــد

دلت الدراسات الحديثة على أن الرسم البيانى لمسار لغة من اللغات هو نفسه المسار البيانى الذى يصور تطور المجتمع الذى يتكلمها ، ولعل هذا أيضا يفسر لنا سبب الهجمة الشرسة التى يشنها الاستعمار على عربيتنا لأنه يسعى الى مرأد الحضارة العربية وقيمها ومثلها وأخلاقيتها ..

ولسائل أن يسأل وما هو موقفنا من الأشياء الجديدة التى لا علم لنا بها ؟ وهنا أقول ان المعاناة التى يعيشها الصانع واللذة التى يشعر بها عند اتمام صنيعه توجبان بتسمية هذا المصنوع . ان الأنثى لا تفكر بالاسم الا عندما تشعر بحركة الوليد فى جوفها ، وهنا أهمس فى آذان هؤلاء : ضعوا لنا المولود وسنكفيكم مهمة التسمية . فان رتشى كولدر يقول : ان صانع الآلات هو فى الوقت نفسه صانع الكلمات ..

ولست أعنى من هذا أن ننقطع عن التعريب والترجمة والنقل لأنى أعلم أن القراءة تفكير فى عقول الآخرين وان المطالعة والدراسة سبيل من السبل التى تزود الناس بالخبرات ، اننى أقول بصراحة ان علينا أن نجيد أكثر من لغة(٤) ، ولكن بشرط ألا تكون هذه الاجادة على حساب لغتنا ..

ولتصبح لغتنا عالمية كما كانت :

— لا بد لها من الكتاب الجيد الواضح بأسلوبه ومضمونه وطباعته ..

— لا بد لها من المدرس المتمكن الذواقة الأمين ..

— لا بد لها من المعرب الذى لا يقل اطلاعه على لغته على اطلاعه على اللغة التى ينقل عنها ..

— لا بد لها من ثورة صناعية تهىء لها المولود الصناعى الجديد حتى توجد لها ما يناسبه من ملابس وليس هذا غريبا لأن أسماء المخترعات الحديثة لم تكن جاهزة فى لغاتها وانما أوجدوا الاسم بعد ايجاد المصنوع ..

— لا بد لها من جهود مجتمعة لان ما يصدر فى العالم اليوم من مجلات وكتب علمية تند على الحصر (١٢) ألف كتاب علمى سنويا و (٨٠) ألف مجلة علمية فى العالم هذه الجهود يجب أن تكون على مستوى الجامعات والمجامع بل والدول العربية كلها ، ولا أعدو الحق اذا قلت : انها بحاجة الى جهد كل عربى غيور على نفسه ومجتمعه وأمته ولغته ..

انها ان نهىء لها ذلك عادت الى وضع بدع آخرين يقولون مع فانديك (ان اللغة العربية هى اللغة الخالدة أو هى أحق اللغات بالحياة والبقاء) ..

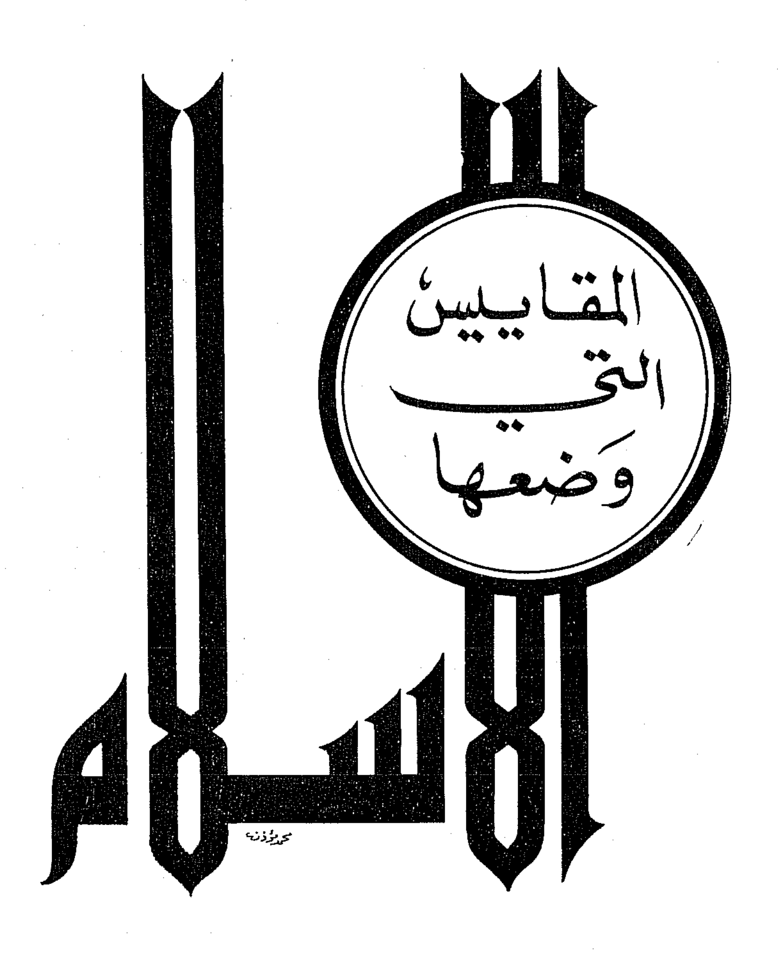
---

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين .

(٢) لدينا فى العالم العربى حوالى (٢٠ جامعة) ، كلها تدرس العلوم والطب باللغة الاجنبية ما عدا واحدة هى جامعة دمشق فانها تدرس العلوم باللغة العربية .

(٣) ليس للصين حتى الآن (بعد أن امتلكت القنبلة الهيدروجينية) أبجدية تقيم عليها لغتها ، وتقوم لغتها على الرموز والصور التى لا حصر لتعدادها .

(٤) وفى الوقت الراهن يجب ألا يتخرج من جامعاتنا طالب علوم الا بعد اجادته لاحدى اللغات الأجنبية : كتابة وقراءة ومكالمة .



للأستاذ يوسف العظم

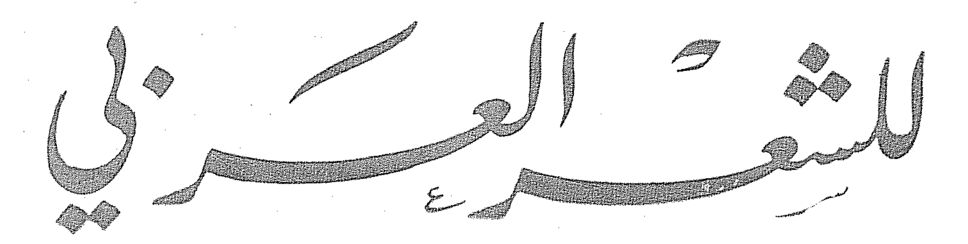
من المسلم به أن الشعر أسلوب تعبيرى أباحه الاسلام بل حث عليه فى ميادين الخير وآفاق المحبة ومجالات البناء ، وليس للاسلام علاقة بقوالبه الفنية أو أشكاله الادائية طالما لا يدعو الى شرك « أو يحث على منكر أو يعين على ضلال » .

والاسلام لا يستنكر الشعر أو يستقبحه الا حين يكون العوبة فى يد سلطان يسمى باطله حقا وظلامه نورا أو حين يكون عبثا مترفا وتخمة عفنة يتقيؤه السكارى فى مجالس الخلاعة والمجون ، أو حين يتحول سوطا من الارهاب على رقاب الناس فى يد جلاد ظالم وطاغية لا يرحم .

ومثلما استثنى القرآن الكريم شعراء الدعوة من بين الشعراء وخصهم بالتكريم والثواب ، ومثلما استثنى النبى صلى الله عليه وسلم شعراء الايمان وأثنى عليهم وذكرهم بخير فان الاسلام وهو الدين الخالد يصدر اليوم حكمه على الشعراء ويصنفهم امتدادا للتصنيف القرآنى القويم والنظرة النبوية الثاقبة ، وهو اليوم يطلب شعراءه بين الشعراء ويبحث عن شعر الدعوة والخير والهدى فى « دوامة » الشعر الهادرة بالنفاق والهبوط ، الصاخبة بالكذب والبهتان ، الملوثة بالجنس والعهر والرذيلة .

فى الناس وتبث الخير والحق والمعرفة والنور والخلق والفضيلة سواء أكانت تلك الألسنة والافواه مترسلة أم ذات قواف وأوزان .

والاسلام الذى لا يشجع يوم جاء شعر الملحمة كما عرف يومئذ لما احتواه من الكذب وما قام عليه من التضليل التاريخى لا يعارض اليوم شاعرا مسلما يمسك بقلمه ليخط ملحمة أو مسرحية شعرية رائعة يستمد أحداثها أو حوارها بوعى وبصيرة من أحداث اسلامية صادقة وقعت ضخمة فى تاريخ هذه الارض وأمجاد هذه الامة ابتداء بغزوة بدر فى دار النبوة وانتهاء بمعركة « عين



واذا كان من مهام الداعية المسلم كاتبا وخطيبا ، والعالم المسلم فقيها ومحدثا استخدام الكلمة الطيبة وتسخيرها فى سبيل اعلاء كلمة الله والعمل على نشر دعوته فان مهمة الشاعر المسلم لا تقل قيمة ورسالته لا تتخلف خطوة ، ذلك أنه أقرب الى نفوس الناس وأحاسيسهم وعواطفهم بتصوير الخير ورسم اللوحات الرائعة والتغلغل فى أعماق النفس البشرية يهزها هزا بالحكمة والبيان .

واذا كان لكل فئة من الناس اليوم ألسنة تنطق باسمهم وأفواه تتحدث عنهم وتعبر عن آرائهم فلم لا تكون للمؤمنين ألسنة وأفواه تنشر الدعوة

جالوت » على أرض فلسطين .

ان مثل هذا العمل الادبى الرائع الذى لم ينبر له شاعر حتى اليوم يمكن أن يخلد صاحبه ، ولو جاءت صور الصدق والواقع والحق فى اطار من العاطفة المشبوبة والوجدان العارم .. ومن ذا الذى يقف يومئذ يطالب الشاعر المسلم ألا يكون محلق القلم مجنح الابداع خصيب الخيال الا حكم موتور أو ناقد مغرور !؟

ان فى أحداثنا التاريخية وفى صفحات أمجادنا من المآثر ما يقف المصور أمامه مبهوتا والقلم بين يديه حائرا ، وهو فى انتظار الريشة المبدعة والقلم الساحر والبيان البليغ

ليخرج لنا ثمارا ناضجة غير فجة فى ميادين الملحمة والمسرحية بلا زيف ولا تضليل .

ان فى حزم أبى بكر وعدل عمر وكرم عثمان وفروسية على وصبر بلال وبطولة خالد وشموخ الخنساء واستشهاد سمية لصورا رائعة من سجل حضارى متكامل يأخذ بالالباب ويجعل المرء فى حيرة من الامر ان كان فى خيال لا يرقى اليه أو واقع فوق مستوى الخيال ؟!

ان الشعر الملحمى والمسرحى أسلوبان من أساليب الاداء ووجهان من وجوه التعبير ، واذا كان الشعر الغنائى فى عصرنا اليوم عاجزا كما يرى البعض عن مواكبة التطور الانسانى سلاسة أداء وبساطة تعبير وعمق احتواء أو كانت متطلبات الحياة والتطور المعيشى الحضارى يقتضيان أسلوبا جديدا أو قوالب أخرى تخرج عن الاسلوب الغنائى وأغراضه فان الاسلام لا يحول دون ذلك ولا يأباه ما دام الفكر غير منحرف والعقيدة غير زائفة والرأى غير مدسوس ولا موتور .

لقد تناول الشعر الغنائى كما عرفه العرب من قبل أغراضا عدة من مدح رخيص يتزلف به صاحبه الى الناس ويتكسب به لقمة العيش أو وجاهة المركز ، وفخر مختال يقوم على المبالغة والكذب والتزوير ، وهجاء مقذع يهتك الاعراض ويسخر من كرامة الانسان ، وغزل فاحش يدعو الى العهر والرذيلة ، يرافق ذلك كله أو يدور معظم ذلك فى مجالات لاهية عابثة تراق فيها الخمر وتسحق فيها الكرامة ويهدر فيها العقل مما لا يرضاه الانسان الحق والطبع السليم .

ومن الطبيعى أن يضع الاسلام للشعر الضوابط والمعايير والقيم والمقاييس حفاظا على كرامة الحياة وسلامة الخلق وانسانية الانسان .

فاذا مدح الشاعر المسلم كان ذا غاية لا يحركه خوف من طاغية أو رغبة فى نفع مادى زائل بل لأن رباطا متينا كريما وعلاقة وثيقة مثلى تربطه بالممدوح فلا يبالغ حتى يخرج بالممدوح عن طبعه الانسانى وفطرته السوية ، ولا يكثر من المدح بحيث يصبح بضاعة مزجاة فى كل سوق وعلى قارعة كل طريق ينالها ويلتقطها كل من دفع الثمن .

ان شعراء الدعوة الاسلامية فى صدر الاسلام الاول من أمثال حسان ابن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وغيرهم لا يصفون جبانا بالشجاعة ولا بخيلا بالجود ولا فاجرا بالورع وهم حين يمدحون رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يذكرون أصحابه بخير — وهم بعض أصحابه — لا ينتظرون عرض الدنيا الزائل بل يرجون رضوان الله وثواب الآخرة .

والملاحظ اليوم فيما نطالع من شعر لشعراء الدعوة الاسلامية الذين سلكوا طريق الهدى والتزموا الخط الاسلامى فى شعرهم ان شعر المدح فيه يكاد يكون معدوما أو نادرا ، ذلك أنهم لا يرون — وهم أصحاب المثل السامية والقيم الاسلامية — ان هناك من هو جدير بالمدح والثناء كما استحقه عن جدارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم الرضوان ومن تبعهم من الائمة والتابعين والمجاهدين .

والشاعر المسلم حين يفتخر تراه يفتخر بدعوته لا بنفسه وبجماعة

المؤمنين لا بالعشيرة وبمفاهيم الخير والصلاح لا بالتقاليد القبلية المهترئة البالية ، وهو الى جانب ذلك رزين موزون لا يهول ولا يجنح به الخيال فيبقى معقولا مقبولا مرضيا عنه من ربه ونبيه وجماعة المؤمنين .

وفى تتبع واع لسيرة النبى صلوات الله عليه وحياة أصحابه نستطيع أن نرى تبدل القيم وتغير المفاهيم من مفاخرة بالعدوان واذلال النفوس وسيطرة القوى على الضعيف الى مفاخرة بقيم جديدة ترتبط بصدق الجهاد وعمق الفكر وشفافية الروح وطهر النفس التقية .

أما الهجاء فان الشاعر المسلم حين يهجو لا يتعرض لنقص فى خلقة أو عيب فى جسد كما لا يهتك عرضا أو يخوض فى شرف ولكنه كان يتناول المهجو من حيث قصور عقله عن الهدى وتقاعسه عن دعوة الخير وتخلفه فى متاهات الضلال والغواية .

وكان اقسى نوع من أنواع الهجاء الذى سلطه المسلمون على المشركين هجاء حسان فى جاهليتهم وهجاء عبد الله بن رواحة بعد أن أسلموا وذاقوا حلاوة الايمان ، وأدركوا ضحالة تفكيرهم وسخف عقولهم اذ يسجدون لصنم ويعبدون وثنا ويرفضون الخضوع لرب الارباب .

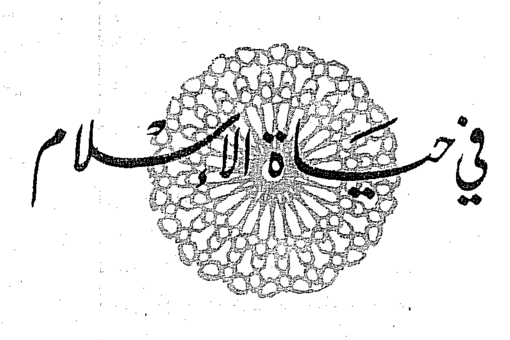
انه الهجاء الفكرى القائم على المآخذ العقلية والسلوك السطحى والتصرفات المسعورة الرعناء التى ترفض الهدى وترضى بالضلال وتأبى النور وتحيا فى دياجير الظلمة الحالكة .

أما ذكر المرأة بصورة غير مرذولة والحديث عن جمالها بأسلوب عف كريم فأمر لا غبار عليه ولا حرج فيه

وقد ذكر القرآن الكريم مظاهر جمال المرأة فى آيات كثيرة وأشار الى مقاييس معينة عن جمالها بأدب ربانى كريم وأسلوب عف سامق لا اثارة فيه ولا صخب . وجميل من الشعراء أن يقتفوا أثر القرآن عند الحديث عن المرأة وجمالها فلا يهبطون ولا ينحدر منهم الاسلوب أو يخبث الهدف « فيهن خيرات حسان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، حور مقصورات فى الخيام ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » .

أما الوصف وهو غرض عام من اغراض الشعر العربى فلا يرتبط بمعنى واحد مما أشرنا اليه أو تحدثنا عنه ، والخير أو الشر فى الوصف ، والحلال أو الحرام يكمن فى طريقة عرض الموصوف نفسه وأسلوب الحديث عنه ، فاذا تحدث الشاعر عن جمال المروج الخضر ورهبة الصحراء وهياج البحر وتلألؤ النجوم ووهج الشمس ودوى الرعد وربط ذلك كله بعظمة الخالق سبحانه ، أو دعا الناس الى الانتفاع بما خلق الله وأبدع فان الوصف لا يكون الا حلالا . وأمامنا فيما ذهبنا اليه القرآن الكريم الذى وصف السموات والارض والقمر والنجوم والبحر والفلك التى تجرى فيه بأمر الله بأسلوب رائع اخاذ أذهل المشركين وجعل بعضهم يسجد للفصاحة لا للعقيدة وللاسلوب لا للفكرة .

أما اذا وصف الشاعر مظاهر الطبيعة المختلفة وقواها المتعددة وربط ذلك بالطبيعة الخالقة كما يزعمون أو أنكر صنع الله فيما وصف وأبدع فان فكرة الانكار لا فكرة الوصف هى المردودة ، وعقيدة الكفران والجحود لا أسلوب التصوير هى المنكرة المحرمة :



نساء ومواقف

ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك

من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة ..

للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لمعت فى أفق الاسلام انجم زاهرات من نساء الاسلام الأوليات .. أفضن على تاريخ المرأة مفاخر وامجادا .. قل أن تحاكيها امثالها فى تالد التاريخ وطارفه .. حتى لقد بلغت بهن المخاطرة والشهامة .. مبلغا زاحمن فيه عظماء الرجال ، ومشاهير الأبطال .

ولقد كان للاسلام حين شمت بشاشته فى قلب المراة .. اثره الفعال فى تفجير عظمتها الذاتية ، وعواطفها الانسانية . فوقفت مع الرجل جنبا

الى جنب فى ميادين العمل والكفاح والخدمة العامة ، وضربت المثل تلو المثل .. على صلابة العزم ، ورجاحة

العقل ، وسمو العاطفة ، وحلاوة الايمان ..

جارية مؤمنة

يروى ابن هشام فى سيرته أن عمر بن الخطاب وهو فى ابان جاهليته .. كان يسوم جارية مسلمة لبنى المؤمل العذاب ليفتنها عن دينها الجديد .. وليخنق فى المهد ايمانها الوليد .. بقسوته المعهودة ، ولم يكن يكف عن أذاها .. الا حين يعجزه أمرها ، ويعييه شأنها قائلا لها : انى لم أتركك الا ملالة .. فتقول له فى صبر يصدع صفاة الحليم « كذلك فعل الله بك » .. وهكذا لم تستسلم امرأة الرعيل الأول للتعذيب والاضطهاد ، وادت دورها فى تثبيت ركائز العقيدة .. واستطاعت تلك القنة المسترقة أن تقاوم ذلك الثالوث المتضافر عليها فى صورة رق وانوثة واضطهاد ، وأن تتحدى صولة عمر .

ام كلثوم

لقد ادركت المرأة بفطرتها قيمة الاسلام حين آوت اليه .. فآمنت به عن عقيدة . ودافعت عنه بارادة حرة .. وسلكت مسالك المجاهدين .. فهاجرت من وطنها وهجرت أهلها .. وركبت متن الخطر .. ابقاء على دينها واستمسكا بمبدئها .. ولنضرب مثلا لذلك بأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط .. فقد روى صاحب الاصابة : انها كانت تعيش فى أمن وكرامة تحت رعاية والدها .. وكان من سادات قومه .. فلما أسلمت فى مكة .. بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسها قبل الهجرة .. متحدية بذلك الأعراف السائدة والتقاليد المتبعة .. ثم ما لبثت أن فرت بدينها مهاجرة تحت جنح الظلام .. ضاربة فى بطون الأودية ، ومخارم الجبال .. الى موئل الاسلام الجديد بالمدينة .. وهناك تزوجت من زيد بن حارثة حب الرسول ، ولما قتل عنها اقترنت بالزبير بن العوام .. ثم سألته الطلاق لخشونته .. فطلقها .. وعقد عليها من بعده عبد الرحمن بن عوف .. ولما مات عنها .. دخلت فى عصمة عمرو ابن العاص الذى توفى بعد شهر من زواجها .. ولقد ضربت تلك المهاجرة الأولى المثل لأمها أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان رضى الله عنه .. فقد حذت حذو بنتها ، ولحقت بها فى دار هجرتها .. وكانت خير خلف لخير سلف ..

وحين تحدثت كتب السيرة والحديث عن النهضة الاسلامية الأولى .. لم تغفل جانب المرأة ، واعتبرتها شريكة للرجل فى وضع حجر الاساس لذلك الصرح الشامخ ، وتناولت دور المرأة على مسرح الاحداث بافاضة وتفصيل .. ونسجت من واقع أمرها قصصا أغرب من أفانين الخيال .. تلقى على الأجيال الصاعدة دروسا فى الفداء والبطولة والتضحية .. ولعل مبعث التأثير والفاعلية فى حديث المرأة المسلمة .. ما وقر فى تقدير الرجال من أن الانوثة بحكم طبيعتها أضعف من ان تحتمل تلك الضغوط العالية من جانب الشدائد ..

ام سليم

المرأة تقبل التحديات وتتبدى على الأفق .. مصدرا للاشعاع الروحى ومركزا للتوجيه المشرق بمعانى الصبر والجلد وقوة الاحتمال .. ففى

صحيح البخارى (أن أم سليم سهلة بنت ملحان الانصارية .. كانت قرينة لأبى طلحة زيد بن سهل ، فمرض ابنها أبو عمير .. فبينا أبو طلحة بالمسجد اذ فاضت روح الصبى .. فهيأت أمه أمره ، وقالت لمن معها : لا تخبروا اباه بموته .. فرجع من المسجد .. ووجدها متطيبة متصنعة .. وسألها عن ابنها فقالت : هو اسكن مما كان .. فحسبه الرجل طيبا .. وقدمت له عشاءه .. فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه ، ثم أتما ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون الزوجان ، فلما كان آخر الليل .. قالت : يا أبا طلحة .. الم تر الى آل فلان .. استعاروا عارية .. فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم .. فقال : ما انصفوا .. قالت : (فان ابنك فلانا كان عارية من الله فقبضه اليه .. فاسترجع وحمد الله وقال : والله لا أدعك تغلبيننى على الصبر .. حتى اذا أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما رآه قال (بارك الله لكما فى ليلتكما) فاشتملت زوجته منذ ذلك الليلة على عبد الله ابن أبى طلحة .. وهذا الأخير لم يفارق دنياه الا بعد أن رأى عشرة من أبنائه .. كلهم يحفظ القرآن .. وكلهم جاهد فى سبيل الله) .. بمثل هذا الروح الصابر المصابر .. اقتحمت المرأة فى مطلع الاسلام ميدان العمل .. ووقفت من زوجها فى تلك المحنة الباكية .. موقف الواعظ الحصيف ، والصديق الصدوق فصار حديثها على الايام موردا عذبا ترتوى منه الاكباد الحرى ، والقلوب الولهى .. وترى فيه المواجد المحزونة بريق الرجاء فى رحمة الله التي وسعت كل شيء .

والحق أن حديث ام سليم هذه .. لم ينته عند هذا الحد .. فما يزال فيه بقية من عظمة .. واثارة من ايمان .. يبدو ذلك من مسلكها حين أسلمت فى مكة مراغمة بذلك زوجها ، وبايعت الرسول عليه الصلاة والسلام على الهجرة .. متحدية بذلك طاعة قرينها مالك بن النضير .. فقد رأت أن من حقها أن تؤمن ولو كفر رجلها ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية خالقها حتى أنها فرضت اسلامها على تربية أولادها .. فكانت تلقن ولدها أنس مالك .. كلمة الاسلام فى بدء عهده بالنطق .. وتقول له : قل لا إله الا الله .. قل أشهد أن محمدا رسول الله .. فكان أنس يلوك بها لسانه الغض حتى استقامت له .. فكانت الشهادتان أول ما تحرك به اللسان ، وخفق له الجنان عند أنس ولم تعبأ أم سليم بثورة زوجها على ذلك الأسلوب التربوى وقوله لها : لا تفسدى على ولدى .. وانتهى به الأمر الى اليأس منها فهجرها الى الشام .. مغاضبا لها .. فلما قتل .. قالت : لا جرم .. لا أفطم أنسا حتى يدع الثدى ، ولا أتزوج حتى يجلس فى المجالس ويأمرنى .. فكان أنس بعد ذلك يذكر أمه بكل خير ويقول : جزى الله أمى عنى خيرا .. لقد أحسنت ولايتى ..

.. ولما شب أنس عن الطوق .. تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد .. وكان على الكفر .. فتوقفت معه ، وتحايلت عليه قائلة : أرأيت حجرا تعبده .. لا يضرك ، ولا ينفعك .. أرأيت خشبة تأتى بها لنجار .. فينجرها لك .. هل تنفعك أو تضرك .. وأكثرت عليه .. وما زالت به تروضه وتراوده حتى لان عصيه ، ودنا قصيه وقال لها : لقد وقع فى قلبى الذى قلت ، وآمن بين يديها وتزوجته وقالت : لا أريد منك صداقا غير الاسلام ..

وقد بقى فى شأن هذه المرأة

العظيمة أن نقول أنها كانت تصحب الرسول فى غزواته ، لتقوم بواجبها فى الميدان .. فى اطار أنوثتها .. فكانت تضمد الجرحى وتسقى العطاش .. وأحيانا تحمل السلاح .. ولقد أشهرت يوما خنجرا فى موقعة حنين وكانت حاملا .. قد استبان أمرها .. فشكاها زوجها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : اتخذه ان دنا مشرك بقرت بطنه ، فتبسم الرسول قائلا : « يا أم سليم .. ان الله كفى فأحسن » .

*لقد سبقت المرأة الاسلامية الأولى سنة التطور الطبيعى فى انتقالها من عالم الجهالات والخرافات الى دنيا النور والعرفان .. بتلك السرعة المذهلة .. وذلك التحول الفجائى .. حتى انه لم توجد فترة انتقال بين العهدين .. وما مثل هذا الا كمثل مصباح كهربائى .. أضاء فورا لضغط على زره .. فاستحال الظلام الدامس الى نور بهيج بدون واسطة أو تدرج .. كذلك كان حال المرأة المخضرمة التى سلخت من عمر الجاهلية أزمانا ، ومن حياة الاسلام أحيانا ..

هند بنت عتبة

ونجد المثل لذلك فى هند بنت عتبة التى أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمها يوم فتح مكة جزاء ما اقترفته يداها يوم أحد من تمثيلها بجثمان سيد الشهداء حمزة .. مما بقى أثره عميقا غائرا كالجرح الذى لا يندمل .. فى قلب الرسول .. فلما جاءته قائلة : يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله .. مصدقة برسوله .. كشفت عن نقابها ورأى النبى شفتيها اللتين لاكت بهما كبد عمه حمزة كأبغض وأبشع ما ترى الشفاه .. ولكن كلمة الاسلام التى انسابت من بين تينك الشفتين قد أحالتها الى ما يشبه وريقات الزهر البسام .. فلم يعد يرى فيهما النبى حمرة الدم المسفوح .. ولكن رأى غمرة الاسلام الأبلج فقال لها : مرحبا بك .. مرحبا بك .. ومحا اسلامها ماضيها الأسود .. كما تمحو طلقة الصبح سدفة الظلام .. فلما عادت الى خدرها .. مفعمة النفس بشتى الانفعالات .. أنحت على صنم لها بالقدوم تحطمه فلذة فلذة .. وتقول : كنا منك على غرور .

وكان هذا الموقف الثورى الجديد .. نقطة تحول عظيم فى حياة المرأة العربية .. اذ انتقلت بسرعة البرق من عهد الكهان والعرافين ، وزواجر الطير ، وطوارق الحصى ، وكل ذى لغو مموه ، أو ظن مرجم .. انتقلت من هذا كله .. كما انتقلت من خرافة البرء بتعليق الخرزات ، ومطاولة حبال العمر بالرقى والتمائم .. ونعالية الأقدار باستفتاء الأزلام ، .. الى عقيدة تحدوها الى ركعة ساجدة .. أو قومة هاجدة .. أو دعوة صاعدة .. وأعطت ما لله لله ، وزايلتها الى غير رجعة صور الهواتف الموهوبة ، وأصداء الأرواح الهائمة .. وحلت محلها .. رؤى لجنات عرضها السماوات والارض .. ذوات رياض باسمات ، وظلال وارفات .. وكان الأثر المترجم عن هذا عمليا فى واقع الحياة الايمان والعمل ، فقد جاء فى البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. حين كلمهن فى شأن الصدقة (أخذن ينزعن الفتح (الخواتم الكبيرة) والأقراط ، والعقود ، والأطواق ، والخلاخيل ، ويلقينها فى ثوب بلال وهو يجمع الصدقات وقد حدث ابن سعد عن

عروة بن الزبير انه لما نزل قوله تعالى (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) .. تصدقت عائشة رضى الله عنها بسبعين الفا .. وانها لترقع جانب درعها ، .. وفى رواية : « ان ابن الزبير بعث الى عائشة رضى الله عنها مالا فى غرارتين يبلغ مائة الف .. فدعت بطبق .. وهى صائمة ، وقسمت به المال كله بين الفقراء .. فلما حان وقت الافطار سألت جاريتها عما تفطر به .. فلامتها جاريتها أنها لم تشتر ببعض المال لحما تفطر عليه فقالت لها عائشة (لا تعنفينى .. لو كنت أذكرتنى .. لفعلت) .

الخنساء

.. ولعل أبلغ مثل فى الدرجة القصوى للمرأة الموقف المشرف فى حياة الاسلام .. ما جاء بشأن الخنساء الشاعرة المعروفة وهى تماضر بنت عمرو بن الشديد وقد غلب عليها لقب الخنساء .. وقد أجمع نقاد الشعر على تميزها بامارة الشعر بين النساء .. لدرجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجبه شعرها ويستزيدها ويقول لها : « هيه يا خناس » فهذه المرأة المخضرمة قد لبست ثوبين متباينين وتقمصها روحان متناقضان . .. ففى الجاهلية أعلنت بشعرها الحداد القاتم الجزوع على اخويها صخر ومعاوية .. ورثتهما بآهاتها الحرى التى سارت بها الركبان .. وتعاقب على ترديدها الملوان ، ومما قالته فى صخر :

أعينى جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى ؟

الا تبكيان الجواد الجميل
الا تبكيان الفتى السيدا ؟

طويل النجاد رفيع العما
د ساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدوا بأيديهمو
الى المجد مد اليه يدا

فنال الذى فوق أيديهمو
من المجد ثم مضى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم
وان كان أصغرهم مولدا

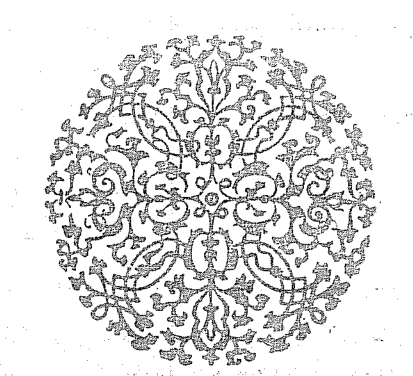
وان ذكر المجد الفيته
تأزر بالمجد ثم ارتدى

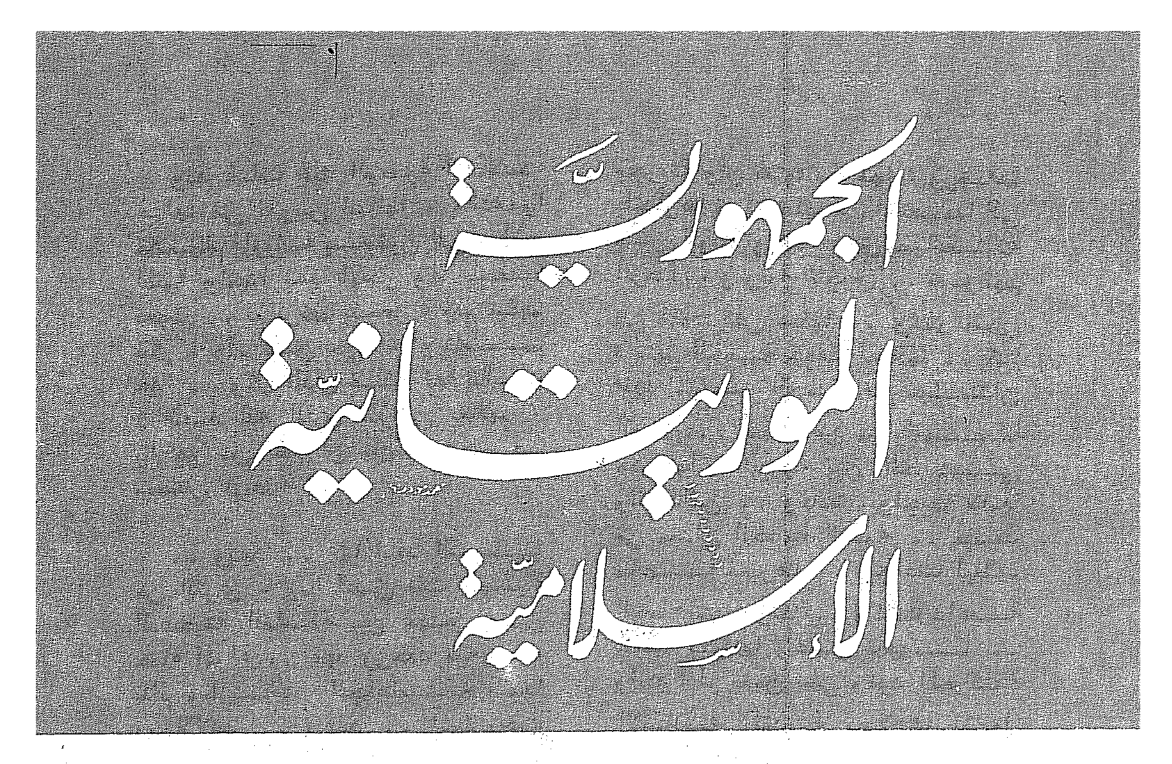
.. ثم ماذا كان من أمرها ؟ .. رضيت بالله ربا ، وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينا .. فتحول أنينها المنظوم .. الى رضا مكظوم ، ورثاؤها المكلوم ، الى در يتسلسل منها فى عذوبة الجدول الرقراق .. ففى موقعة القادسية على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .. الهبت عزائم أبنائها الأربعة ، وقذفت بهم فى أتون المعركة وهى تقول لهم « يا بنى .. انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو .. انكم لبنو رجل واحد .. كما انكم بنو امرأة واحدة .. ما هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية .. اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .. فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فيمموا وطيسها اقصدوا (المعركة) ،، وجالدوا رسيسها (اضربوا أصولها) تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » .

وقد عملت تلك الوصية الخالدة عملها فى نفوس أبنائها ، فاندفعوا كالسهام المريشة يستبقون الى حياض المنية واحدا بعد الآخر ولما بلغها نعيهم .. لم ترثهم بشعر ، ولم تبكهم بنثر ، ولم تشق جيبا ، أو تلطم خدا .. وكل الذى فعلته أنها قالت (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة) .

.. وبعد .. فما أبعد الثريا من الثرى ، وما أعمق تلك الهوة السحيقة الفاصلة بين عهدين فى حياة المرأة .. عهد رزحت فيه تحت ظلم وظلمات الجاهلية بغيها وضلالاتها .. وعهد .. استروحت فيه نسمات الحرية الفكرية .. وأبصرت فيه وجه الغد المؤمل ، وانبعثت فيه بوحى من ايمانها تضرب الأمثال للأجيال الصاعدة ، وتكتب فى سجل الخلود صحيفة نسائية مشرقة .. وقد رأينا فيما قدمنا أنها فى ظل الاسلام صارعت برقها أحرار الرجال ، وتخطت بايمانها حواجز العرف والتقاليد .. وسارت فى ركب المهاجرين الأولين خطى ثابتة وجريئة وان ثقتها بخالقها ، ورضاها بأقدارها قد أوصلها فى احتسابها الى صبر أيوب وكانت بحق صانعة الرجال ، ومربية الأجيال .. تصوغهم فى المهد على عينها .. وتبذر فى تربتهم الخصبة حبات ايمانها .. كما انها امتشقت الحسام فى ميدان الوغى .. فضلا عن مزاولتها خدماتها الطبيعية بين الجرحى والعطاش .. وقامت بواجبها كاملا فى ميدان الخدمة العامة .. فبذلت مالها لغيرها .. وجاعت ليطعم الجياع من حولها .. وكانت داعية لدينها بحيلتها وحسن تأنيها .. وأخيرا لم تضن على وقود المعركة الاسلامية المقدسة بأولادها لتجعل منهم حطبا يزيد من أوارها ، ويؤجج سعيرها .. ولا غرو فقد بلغت واحدة منهن مبلغ سيادة نساء العالمين .. وهى صغرى بنات الرسول عليه الصلاة والسلام .. فاطمة .. التى كانت تشبهه خلقا وخلقا ..

وكان يقول لها : « ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » ..





١ ــ تقع الجمهورية الموريتانية بين الجزائر ومالى والسنغال والمحيط الأطلسى .
٢ ــ مساحتها : مليون و ١٦٩ الف كيلومتر مربع .
٣ ــ عدد سكانها : (٢١/٢) مليون تقريبا .
٤ ــ معادنها : الحديد والنحاس والذهب .
٥ ــ صادراتها : المواشى والسمك والحديد والصمغ والملح واللحوم والجلود .
٦ ــ عملتها : الفرنك الافريقى .
٧ ــ عيدها الوطنى ٢٨ نوفمبر .

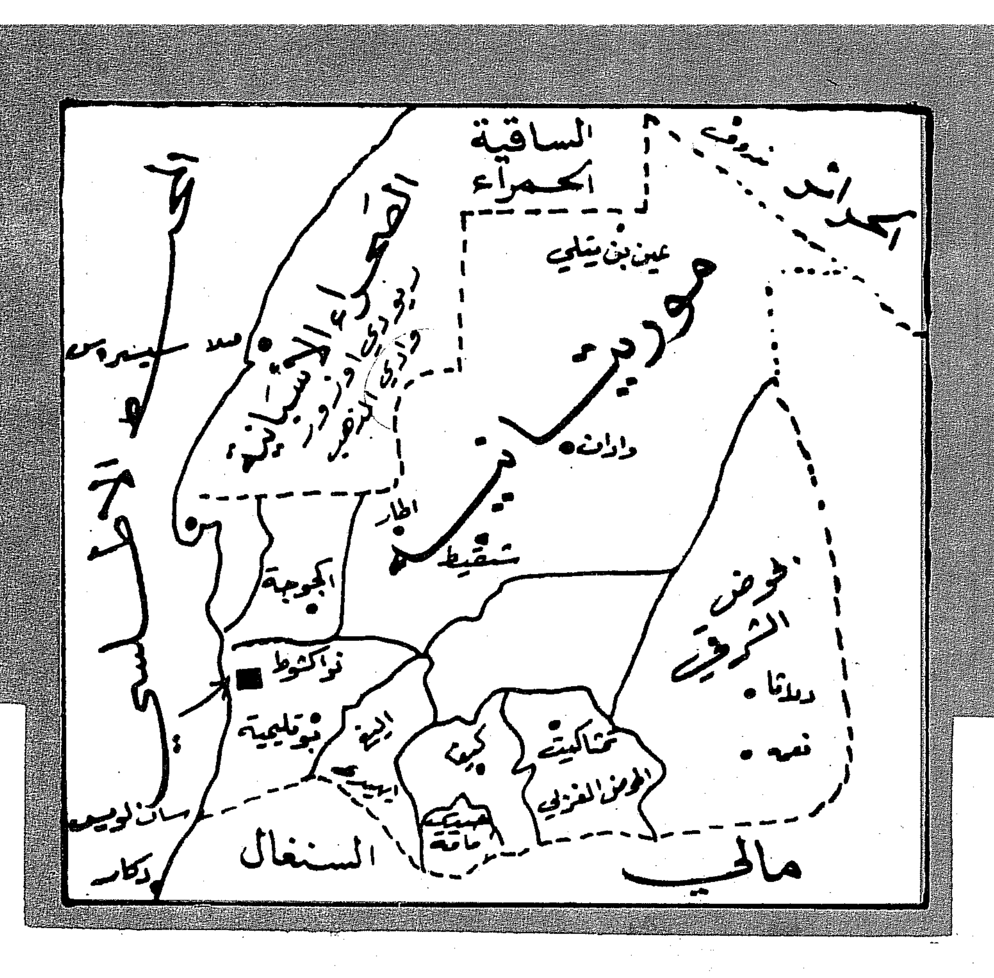
التعريف : الجمهورية الاسلامية الموريتانية بلد عربى مسلم والاسلام به مئة فى المئة واللغة العربية هى اللغة الاصلية للشعب الموريتانى وان كان هناك عدة لهجات مختلفة .

تاريخها : وكانت فى الماضى تحت نير الاستعمار الفرنسى وتم استقلالها فى عام ١٩٦١ وهى برئاسة المختار ولد داده .

اقتصادها : يعتمد على الحيوانات وتربية المواشى والزراعة والصمغ والحديد والنحاس وصيد الاسماك .

الاسلام فيها : تكثر فيها المساجد والجمعيات ويدرس فيها العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم واللغة العربية وأهلها محافظون متمسكون بأمور الدين الاسلامى الحنيف وآرائه الفاضلة وأخلاقه السمحة .

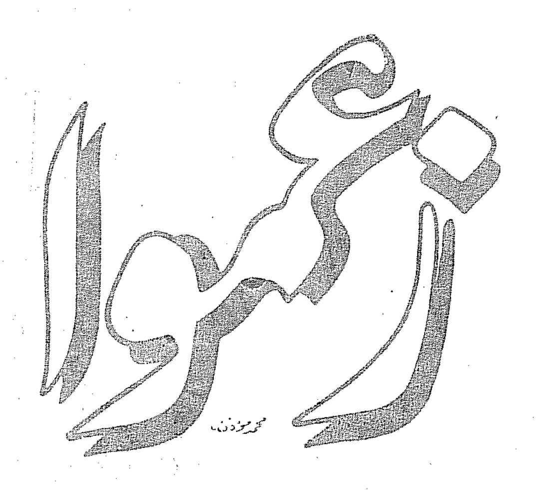
المنح الدراسية : جمهورية مصر العربية منحتها ٨٠٪ من المنح التى



أعطيت لموريتانية يتلوها الكويت والعراق وليبيا وسوريا والجزائر . وعدد الطلاب فى الخارج زهاء (١٥٠٠) طالب فى جميع الدول .

الحياة الاجتماعية : الشعب الموريتانى ماضيا كما مر بنا شـــعب زراعى رعوى . ولكن التعدين أوجد منه مجموعات عمالية ، وقد صاحب هذا التحويل فى حياة العمال فأسست الحكومة مركزا فى نواكشوط للاهتمام بتحويل العمال العاديين الى خبراء ــ واختصاصيين وفتح أبواب مكاتب التدريب المهنى فى بورت اتين وكفل القانون ضمان حقوق العمال والتعويضات والمنح العائلية .

المرأة : اما عن المرأة الموريتانية فهى تعيش كالرجل حياة عـــادية فبالاضافة الى كونها زوجة ، تقوم ببعض الاعمال الزراعية والرعوية وجمع الصمغ وقطف التبغ وهى أمية ما عدا القليل ويغلب على مظاهر حديثهـــا وارتدائها الملابس وسلوكها العام المظهر البدوى الصحراوى . والفتـــاة الموريتانية تتمسك بالتقاليد الاسلامية الاساسية وهى متحررة من التقاليـد البالية ، والدستور الموريتانى أعطى المرأة حقوقها الاساســـية ، والمرأة الموريتانية حنطية اللون ، وعليها سمات من سمرة الصحراء ويعتبرها البعض أجمل أفريقية بيضاء لو تزيت بزى العصر .



ان الشريعة الإسلاميّة غير صالحة للتطبيق

اكثر الذين لا يعجبهم ان يسود حكم الاسلام في المجتمعات الاسلامية ، يسوغون موقفهم هذا بدعوى ان الشريعة الاسلامية لم تصلح للتطبيق خلال عصور الاسلام كلها ، الا مدة يسيرة لا اعتبار بها ، هى الفترة الاخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة خلافة ابى بكر وعمر . ثم انتثر نظام الاسلام وحكمه وسط اوار الفتنة الداهمة ، ولما هدات نارها قليلا استطاع عمر بن عبد المزيز ان يقيم دعائم الاسلام مرة اخرى ، خلال فترة قصيرة من الوقت . ولكن ما لبث النظام الاسلامى ان عاد من بعد انكاثا ، وعاد الحكم بالشريعة الاسلامية مستعصيا على التطبيق الى هذا اليوم .

فهل يصح شىء من هذا الكلام ؟

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى

هل صحيح ان الشريعة الاسلامية لم تصلح للتطبيق كما قالــوا ، وان دعائم الحكم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله قد دمرت وسط اوار الفتنـــة الداهمة ، ثم ضيعت فى قصور الخلفاء والحكام ؟

اننى اقرر جازما ان الشريعة الاسلامية ، لم تزل منهجا للحكم فى الأمم الاسلامية ، منذ أن اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة دولة الاسلام ، الى أواسط عهد الخلافة العثمانية .

ولقد تقلبت الصور والأوجه السياسية لدولة الاسلام : من خلافـــة راشدة ، الى دولة أموية ، فعباسية ، فدويلات ومماليك ، فخلافة عثمانية ــ وان شرعة الاسلام هى العصب الممتد فى حياة هذه الدول والممالك كلها .

ربما تنافست فيما بينها على حكم ، أو اختلفت مع بعضها من أجـــل مصلحة ، أو توجس بعض رجالاتها خيفة من بعض ، فتنوعت أو تناسخـت من اجل ذلك هياكل الدولة ، ولكن هذا شىء ، ومنهج الحكم والقضاء ضمن هذه الهياكل شىء آخر .

ولكى نتصور حقيقة هذا الكلام ، بل بداهته ، يجب أن نعرض لتفصيل يكشف عن المغالطة الخطيرة ، واللبس الشنيع اللذين يعتبران العمدة الوحيدة لزعم هؤلاء الناس .

ولنسأل انفسنا بادىء الأمر هذا السؤال : ما معنى ان دولة من الدول تحكم بالاسلام ؟

ان معنى ذلك ، أن قانونها الذى يعتمد عليه القضاء فى حل قضايا الناس ومشاكلهم ، وضبط نظامهم ومختلف شؤونهم ، هو قانون الشريعة الاسلامية

وفائدة اعتماد هذا القانون ــ بعد احراز رضى الله عز وجل ــ انــه يكسو المجتمع الذى يطبق فيه كسوة العدل والنظام بين افراده ، ويوفر له من الضمانات الخلقية ما يجعل الصبغة العامة فيه بيضاء نظيفة ، لا يتماسك عليه شىء من درن التفسخ أو الانحراف .

فلا جرم أن افراد هذا المجتمع ــ من وراء الكسوة التى يلبسها والصبغة التى يتحلى بها ــ بشر غير معصومين : يخطئون أو يجرمون أو ينحرفون ، وقد يسترهم الله تعالى فلا يطلع على حالهم أحـــد فيعكفون على أخطائهـــم وانحرافاتهم وقد يفتضح أمرهم فيطوقهم القانون وتنحط فيهم العقوبـــة ..

وربما نشأت فى القضاء ملابسات أو تسللت اليه بينات زائفة ، فعوقب البرىء وبرىء المجرم . كل ذلك شىء لا علاقة له بكون هذا المجتمع يحكم بالاسلام أو بغيره ، فان مناهج الحكم — الهية كانت أو وضعية — لم يراع فى تطبيقها ذات يوم أن تجعل من البشر ملائكة لا يعصون أو أن تغرس فيهم بذور العصمة والمثالية ، بل أن الحاكم الاعلى جل جلاله ، قضى أن يظل الناس (حكاما ومحكومين) ما عاشوا فى هذه الدنيا ، خطائين غير معصومين — حاشا الرسل والأنبياء — وخير ما يرتقى اليه حال أحدهم أنه اذا أخطأ فانحرف تاب وندم ، وأخذ يصلح ما أفسده من أمر نفسه أو أمر غيره .

ولقد كان فى الصحابة — وهم الرعيل الاول وصفوة هذه الأمة — مخطئون وآثمون ، وقد وجد فيهم من سرق فقطعت يده ، وشرب الخمر فضرب الحد ، وزنى فجلد أو رجم ، دون أن يضير ذلك بشىء من بنية الحكم الاسلامى المطبق ، اذ يتناقض مع واقع المنهج الاسلامى ونظامه .

ومهما كان من أمر المسلمين بعد الصحابة ، فما ينبغى أن يكونوا أفضل حالا منهم ، ان لم يكونوا أدنى منهم منزلة وفضلا : واذا فما ينبغى أن يعتبر حالهم التى قد يوجدون عليها — من معاص وآثام مختلفة — ذا دلالة ما على أن القضاء فيهم غير اسلامى ، أو أن الشريعة الاسلامية مستعصية عندهم على السيطرة والتطبيق .

ونسأل : فما هى فائدة الحكم الاسلامى اذا ؟

والجواب أن فائدته حصر نطاق المعاصى والشرور المختلفة ، وعزلها فى أضيق دائرة ممكنة ، بحيث لا تنبسط فى صفحة المجتمع المتجسدة بأسواقه وميادينه وحوانيته وأزقته ومرافقه العامة المختلفة ، كى لا تتحول من آثام وانحرافات فردية خاصة الى أوبئة سارية عامة .

أى فالحكم الاسلامى علاج وقائى للهيئة الاجتماعية المسلمة ، وليس سبيلا الى خلق روح العصمة من الذنوب فى أفراد تلك الهيئة .

ولو كان لنظام الحكم الاسلامى العام أى قصد الى خلق هذه العصمة ، أو قريب منها فى نفوس أفراد المسلمين ، لما اشترط توفر أربعة شهود على جريمة الزنا لاخضاع صاحبها لحكم الحد ، ولما أوصت الشريعة الاسلامية الزانى نفسه بأن يبذل كل جهد ممكن لستر نفسه ، ولما نصحت الشهود على أى معصية تستلزم العقوبة أو الحد بالستر والكتمان ما وسعهم ذلك .

نقول بعد هذا : أما أن خلفاء المسلمين وحكامهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعرضوا لأخطاء ، أو انزلقوا فى آثام ، فصحيح لا مجال للشك فيه ولا داعى لانكاره . وأما أنهم عمدوا الى القضاء الاسلامى فاستبدلوا به غيره ، أو استجروه الى التطبيق فاستعصى عليهم ، فشىء باطل لم يعرفه تاريخ ، ولم يثبته باحث ، ولم يقل به أحد .

لقد كان القضاة — على مر العصور الاسلامية — المختلفة — من المجتهدى وفقهاء عصورهم ، وكانوا من أروعهم وأحرصهم على حراسة شرعة الله وحكمه ، وبوسعك أن تقف على شىء من تراجمهم لتتصور بنية الحكم الاسلامى الراسخ الذى لم يتضعضع ، ولم يصب بأى تصدع أو اهتزاز خلال مختلف تلك التقلبات والاوضاع السياسية المتطاحنة .

وليس شرطا لاعتماد القضاة على الحكم الاسلامى فى دولة ما ، أن لا تنشأ فتنة أو يظهر اضطراب ، أو تثور خصومة وشقاق فى كيان تلك الدولة ،

فان لكل ذلك أسبابه الخاصة التى قد تنشأ بعوامل مختلفة بعيدة عن موضوع الحكم وشكله .

والذين يزعمون أن التاريخ أثبت عدم صلاحية الاسلام للحكم ، لم تقع أيديهم من هذا الذى أثبته التاريخ — بزعمهم — الا على معاص ، أو انحرافات شخصية ، أو فتن لاسباب اجتهادية ، ظهرت فى عهد من عهود الدول الاسلامية وهى أمور لا علاقة لها بما يشتهون أن يزعموه كما أوضحنا .

الا أنهم لم يكتفوا بوضع أيديهم على هذه الملاحظات ، بل راحوا يبالغون فيها مبالغة عجيبة ورهيبة ، وأخذوا يتزيدون فيها زيادة باطلة ليس لها من جذور ولا أصول ، كما أخذوا يرسمون حياة كثير من خلفاء المسلمين وحكامهم كما شاءته أخيلتهم وأهدافهم الخبيثة وراء صدورهم ، أملا منهم — اذا نجحت الصورة وصدقها الناس — أن تحجب عن أعينهم سائر الحقائق الأخرى ، فلا يبقى أمام أعينهم من تاريخ الاسلام ورجاله الا سيوف تتقارع ، أو يهيمون فى مجالس السكر والطرب ! . .

اقرأ أخبار الفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما فى أى مصدر تاريخى حديث ، تجد أحداثا غريبة ، ليس لها من أساس ، وليس عليها من دليل ، ولا تقع على أى أثر لها فى شىء ، من أمهات كتب التاريخ !. . وتجد الى جانب ذلك استنتاجات وتفسيرات لما وراء الوقائع والاحداث ، ليس عليها من برهان ، ولم يقل بها أحد من كتاب التاريخ السابقين .

بل اقرأ فى كثير من هذه المصادر الحديثة أخبار الفتح الاسلامى فى الجزيرة العربية ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تجدهم قد ألبسوه هو الآخر — رغما عنه — قبعة وشدوا عنقه برباط أجنبى ، وأخضعوه قسرا لقصة اليسار واليمين ومعركة الرأسمالية المستغلة مع الطبقة الفقيرة الكادحة !.. فالفتح الاسلامى اذا لم يكن — على رغم أنف التاريخ وسجل أحكامه — الا أثرا من آثار الفلسفة الماركسية وما لف لفها ، وان جاء قبلها بثلاثة عشر قرنا من الزمن ! . .

واقرأ ترجمة خليفة من خلفاء المسلمين مثل هارون الرشيد ، فى شىء من المصادر الحديثة ، تجد نفسك أمام ماجن مستهتر ، لا يستفيق من السكر ، يتطوح بين أحضان الجوارى ويعيش منغمسا فى أمواج الترف وبحار اللذة !. .

ويأخذ منك الكرب ، ويمضك الالم ، من أن يكون خليفة المسلمين فى أزهى عصورهم الذهبية ، على هذه الحالة من السوء والانحراف ، فتلتفت الى ما تطوله يداك من أمهات كتب التراجم والتاريخ من أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون لتقف منها على شأن هذا الرجل وحقيقة أمره ، فلا تعثر فى شىء منها على هذا الذى تعج به المصادر الحديثة ، وانما تجد نفسك أمام ترجمة انسان رقيق صالح آلى على نفسه أن يهب حياته كلها للجهاد فى سبيل الله وحراسة دولته وحكمه فى الارض ، يحج عاما ويغزو عاما آخر ، يحرص على أن يمضى شطرا كبيرا من الليل مصليا خاشعا ذاكرا ، يصلى فى اليوم والليل مائة ركعة ما لم يمنعه شاغل من أمر المسلمين وشؤونهم ، لا يقطع فى شىء من قضايا المسلمين برأى حتى يستشير فى ذلك أولى البصيرة والرأى من علماء المسلمين وفقهائهم ، ولكنك تجده — مع ذلك بشرا كبقية الناس غير معصوم من الاخطاء والآثام : قد يجتهد فيخطىء وقد يغضب فيظلم ويأثم ، وقد يعصى ثم يتوب .

فمن أين جاء هؤلاء الكتاب اذا ، بتلك الترجمة التى لم تلصق بالرشيد الا فى هذا العصر الحديث ؟!.. وهل للمؤرخين اليوم ، اذا أرادوا أن يكتبوا فى التاريخ العربى ، من مرجع ينهلون منه ، غير هذه الكتب المعدودة بين ايدينا من أمهات كتب التاريخ ؟!

والجواب : ليس المهم أن يجد هؤلاء الكاتبون مرجعا أمامهم يصدقهم فيما يتخيلون ، فان المنهج التاريخى الحديث يخول صاحبه أن يجعل من الحبة قبة ، ويبنى من الحصاة قصرا ، ويؤلف من القطرة بحرا ، ويدعوه الى أن يذهب فى استنتاجاته وتوسمه للاحداث مذهبا لا يحده الا سلطان خلقه وضميره .

ولذا فقد كان على تلك الأمهات الكبرى من مراجع التاريخ أن تخضع هى لأحكامهم واستنتاجاتهم ، لا أن يخضعوا هم لنقولها وأخبارها الجافة القائمة على مجرد الرواية والسند .

من أجل هذا ، كانت البحوث التاريخية الاسلامية ، الهواية العلمية المفضلة عند أكثر المستشرقين ، لا يبغون بها بديلا ولا يفضلون عليها شيئا آخر ذلك لأنهم يستطيعون ــ بفضل مناهجهم الاستنتاجية الحديثة ــ أن ينطقوها بما يشاءون .. وأن يجعلوا منها شاهدا على كل ما يحبون ..

فما أسهل على أحدهم أن يدير القلم فى يده ساعة من الزمن ، واذا به قد جعل قصة الفتح الاسلامى كلها عبارة عن صراع على السيادة بين العرب وغيرهم .. وليس دافع العقيدة والدين فيها الا غلافا للستر والاستغلال !.. ثم ما أسهل أن يديره على نحو آخر واذا بأحداث هذا الفتح الاسلامى نفسه ليست اكثر من معركة يسار ويمين ! .. ثم ما أسهل أن يقلب القلم فى يده على نحو ثالث ، ليثبت لك أن الاسلام ــ كنظام وحكم ــ استعصى على التطبيق ، وان الحكام والخلفاء المسلمين لم يكونوا الا رهطا من تجار اللذة والمجون !! ..

وليس لك ــ وهو يتنقل بين هذه الأحكام كلها ــ أن تطالبه بأى ثبت أو مرجع يروى عنه ويعتمد عليه ، لأنه انما يستنتج !!.. وما على المستنتجين من سبيل .. وما على القراء الا أن يصدقوا !..

وكل هذا أقل فى باب الخطورة والخسة ، من شأنهم عندما يعمدون الى وقائع واخبار تاريخية لا تخدم أغراضهم ، فيحورونها ويغيرون منها على نحو ينكسون به مدلولاتها ويعكسون مفاهيمها ، ثم يسجلونها فى كتبهم ، ويروونها فى مجالسهم ومحاضراتهم .

ثم لا يزالون يبثونها بين أسماع الناس وأبصارهم ، حتى يطمئنوا الى أن الحقيقة اختنقت تحت وطأتها وضاعت فى زخمها ، وحتى يتأكدوا أن الشك أيسر أن يراود الناس حول الحقيقة الثابتة فى المراجع القديمة الاصيلة من أن يراودهم حول الباطل الذى روجوا له بمختلف الفنون والاساليب .

واليك هذا المثال :

يقرأ طلاب المدارس الثانوية فى بعض كتب التاريخ الرسمية المقررة خبرا مفاده أن الترف والبذخ بلغا بهارون الرشيد مبلغا جعله ينفق على طبق واحد من أطباق مائدته العامرة ما يزيد على الف درهم ، وكان الطعام الذى فيه عبارة عن السنة أسماك !..

لا ريب أن هذه القصة تنسج لهارون الرشيد فى أخيلة الطلاب صورة من الترف العابث الذى تتقزز له النفس ، لا تتخيل مثلها فى أساطير الف ليلة وليلة

ولا ريب أنها تفعل فعلها بعد ذلك فى نفوسهم وأفكارهم حيال قيمة التاريخ الاسلامى كله .

ولكن تعال فانظر الى حقيقة هذه القصة ، كما هى ثابتة فى مروج الذهب وابن الأثير وغيرهما :

حدث ابراهيم بن المهدى قال : استزرت الرشيد بالرقة فزارنى ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما بينهم جام قريص مثل قريص السمك ، فاستصفر القطع ، فقال : لم صغر طباخك تقاطيع السمك ؟ .. فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك !.. قال فيشبه أن يكون فى هذا الجام مائة لسان . فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف أن لا يطعم شيئا دون أن يحضره ألف درهم ، فلما حضر المال أمر أن يتصدق به ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : أخرج من دار أخى ، ثم أنظر أول سائل تراه فادفعه اليه ، قال ابراهيم : وكان قيمة الجام مائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمى للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه ، ففطن الرشيد ، فقال له : يا غلام اذا دفعته الى السائل فقل له : يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار فانه خير منها (مروج الذهب ٣٦٣/٣) .

هذه هى القصة ، كما وردت فى أصول كتب التاريخ ومراجعها الاولى . وهى وحدها ترجمة كافية لحياة أعظم خلفاء العصر العباسى وأعدلهم على الاطلاق .

ولكن انظر كيف مسخت وحورت وبتر منها جوهرها على ألسنة وأقلام طائفة من كتاب العصر الحديث ، لترغم ارغاما على النطق بعكس مدلولها ، لتشهد على صاحبها بالترف والبذخ بعد أن كانت تشهد له بنقيض ذلك تماما كما قد رايت !! ..

وليس هذا العمل — على كل حال — غريبا ولا عجيبا عندما يصدر من طائفة المستشرقين ومن هم من أبناء جلدتهم ، فان بين جوانحهم من شعور الحقد ما يدفعهم الى اكثر من هذا التزييف وأعجب من هذا الكذب والافتراء .

فأنت تعلم أنهم ليسوا الا أحفادا لأولئك الرومان الذين جند الرشيد حياته كلها لسحق كيدهم واخضاعهم لحكم الدولة الاسلامية ، وأنهم ليسوا الأحفاد مليكهم (نقفور) الذى أراد أن يتمرد على نفوذ الدولة الاسلامية وحكمها فى عهده ، وأرسل الى الرشيد يهدده ويتوعده ، فكتب اليه الرشيد : **« من هارون الرشيد أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ، قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما ترى لا ما تسمع »** . ثم انطلق اليه فى جيش جرار على طريق مفروشة بالثلوج مملوءة بالصقيع والاعاصير ، حتى أناخ بباب هرقله ، ففتح وغنم وقاتل ، حتى خضع له نقفور ، وطلب منه الموادعة على خراج

يؤديه كل عام ، فلما رجع الرشيد ووصل الى الرقة ، نقض العهد وخان الميثاق يائسا من رجعة الرشيد اليه ، اذ كان البرد شديدا ، والثلوج تهمى على طول الطريق ، ووصل الخبر الى الجند فكتموه عن الرشيد اشفاقا عليه وعلى انفسهم ، ولكنه ما لبث أن علم بالخبر فقال : أوقد فعل نقفور ذلك ؟ وكر راجعا فى أشد محنة وأعظم كلفة ، ثم لم يبرح يغزو ويقاتل حتى بلغ ما أراد .

فماذا عسى أن تكون ترجمة هذا الخليفة على السنة أحفاد نقفور اليوم ؟!

وأى مجنون يتوقع منهم أن يكونوا أقل افتراء عليه مما يكتبون ويقولون ؟!

ان هؤلاء منطقيون مع أنفسهم بكل معنى الكلمة ، عندما يعمدون الى مثل هذا الصنيع ، ولكن العجب الذى لا ينتهى انما هو من صنع هؤلاء الصغار !! ..

هؤلاء الذيول الذين يصطنعون المباهاة ، ملء أشداقهم بما يشاءون من الفاظ القومية والوطنية والعروبة ، ثم يلوون رؤوسهم وعقولهم ، فى خضوع منكسر ، لحكم الحقد الذى ينفثه أحفاد نقفور اليوم على تاريخهم العربى المجيد وعلى سيرة أعظم رجالاته !! ..

● ● ●

ان الشريعة الاسلامية لم تزل مطبقة — كنظام وقانون — منذ اليوم الأول الذى أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام وحكمه ، الى الثلث الاخير — تقريبا — من عهد الخلافة العثمانية .

يعلم هذا كل من يتتبع أنظمة القضاء فى هذه العصور كلها ، بل وما لبست المجتمعات الانسانية ثوبا قانونيا جاء على قدرها ، كثوب النظام الاسلامى وحكمه ، يعلم ذلك جميع المنصفين من رجالات الفقه والقانون .

والناس كانوا ، وما يزالون — حكاما ومحكومين — بشرا كما أرادهم الله تعالى ، خطائين غير معصومين ، تصلحهم رقابة الدين ، وتفسدهم ميعة الفسوق والعصيان .

ولم يكن حكام المسلمين وخلفاؤهم الا بشرا من هؤلاء الناس يجاهدون فى اصلاح نفوسهم ومجتمعاتهم ، ولكنهم قد يجتهدون فيخطئون ، وقد يغضبون فيظلمون ، وقد يتوجسون خيفة ممن حولهم فيتعادون ويتخاصمون . وكل ذلك لا شأن له بمنهج الحكم ونظامه ..

فليبالغ محترفو الكذب فى التاريخ ما شاؤوا أن يبالغوا فى اسناد السوء والنقيصة الى المسلمين وحكامهم فى العصور السالفة ، فان ذلك لا يمت بأى صلة الى واقع القضاء الاسلامى الذى كان يسير محلقا باستقرار وهدوء فوق جميع الوهاد والتضاريس التى يخترعونها أو يضخمونها على صفحة التاريخ الاسلامى العظيم .



اعداد الشيخ : عبد الحى مختار

مسجد فهد السالم الصباح

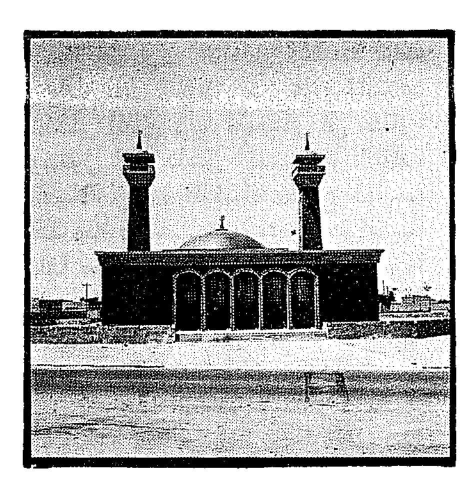
أنشأته : الشيخة بدرية الصباح حرم الشيخ فهد السالم .

وأطلقت عليه اسم : مسجد فهد السالم ـــ تخليدا لاسم زوجها الراحل الكريم .

يقع هذا المسجد فى حى السالمية الذى يعد من أجمل أحياء دولة الكويت وقد تميز هذا الحى بقصوره الشاهقة وعمائره الضخمة ومتاجره الفخمة وكثافة سكانه مما جعل الحاجة ملحة الى وجود مثل هذا المسجد ، ويمتاز موقعه بأنه مطل على شارع السالمية الرئيسى من جهة الخليج العربى مقابلا لقصر الشيخ فهد السالم .

ويعتبر هذا المسجد آية من آيات الحضارة ومن روائع الفن المعمارى الاسلامى وقد بلغت نفقات بنائه ربع مليون دينار كويتى .

والناظر اليه لأول وهلة يتمثل فيه قلعة اسلامية ضخمة فجمال الموقع مع روعة البناء يلفت النظر ويشد الانتباه كما يرى فى مئذنتيه الشامختين اللتين



صممتا على نظام هندسى مربع ، ما يوحى بفنية الفكرة مع جلال الهدف .

وقد اجتمع فى هذا المسجد روائع الفن الشرقى القديم مع براعة الفن الشرقى الحديث المنحدرين عن ذوق سليم أصيل متغلغل فى المشرق العربى منذ قديم الازمنة متجدد مع مرور الايام مما جعل منه هذا المسجد الفريد من نوعه فى مساجد الكويت الآخذ فى التسابق مع أرقى دول العالم تقدما فى النهضة العمرانية الحديثة وبالتالى فان المساجد بها لم تقف عند فنها من الطراز

العربى القديم بل نراها آخـــذة فى التسابق مع الفن العمرانى الحديث .

وقد ضرب حوله سور له باب فى الجهة البحرية يرتفع عن سطح الارض مالا يزيد عن متر واحد ولكـــبر ذلك السور زود بمصابيح من الكهرباء تضاء ليلا مع أضواء المسجد فتشـــعر ان الانوار ساجدة من حوله وعند اجتياز السور تجد فضاء حول المســـجد يوصلك الى درجات من الســـــلم الرخامى تصعد عليها لتصل الى باب المسجد الخارجى فاذا ألقيت عليـــه نظرة سريعة تجد أن للمسجد خمسة أبواب متراصة متقاربة تزيد من هيبة المسجد وكلها توصلك الى سلم من الرخام المرمرى الابيض فتصعد ست درجات حتى تصل الى فناء المسجد الداخلى الذى لا بد للمصلى أن يجتازه للوصول الى داخل المســجد للعبادة والصلاة وهذا الفضاء متسع قـــد اتخذ منه ممشى على جميع جوانبـــه وكلها مسقوفة وبقى وسطه مكشوفا على شكل دائرى مربع ويوحى هـــذا المنظر بصحن الازهر وأحيط هـــذا الصحن بستة وعشرين عمودا تزيـــد من رونق هذا الصحن وينتظر أنتحمل هذه العمد قبة فى القريب لتغطى هذا الصحن ولتكون مع قبة المسجد المصلى تكاملا فنيا يتسق مع روعة هـــذا البناء الشامخ .

فاذا صعدت الدرج الداخلى ووقفت على الطرف الاول من الفناء وجـدت أمام ناظرك فى الطرف الاخر منـــه خمسة أبواب متشابهة فالباب الذى فى أقصى اليمين يـــؤدى بك الى استراحة للامام والزائرين للمكتبـة وهى حجرة فسيحة فرشت بالسجاد العجمى وصفت بها الارائك على نظام هندسى وزودت بمكتبة علمية ضخمة .



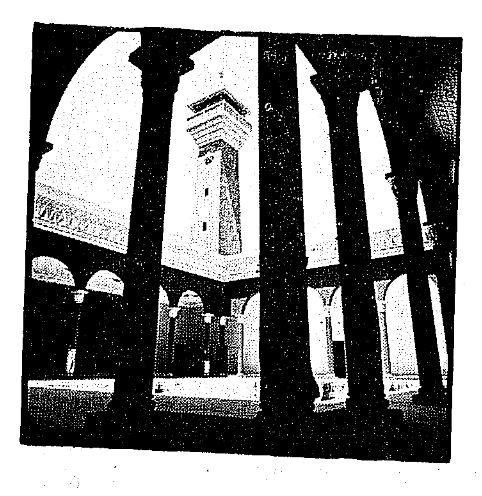
أما الابواب الثلاثة الوسطى فهى الابواب الموصلة الى حرم المسجد .

أما الباب الخاص وهو الموجـــود بالجنوب فيؤدى الى صالة فسيحـــة بداخلها سلم رخامى يصل بك الى أعلا المسجد حيث يوجد مصلى خـــاص بالنساء يجتمعن فيـــــه فى أوقات الفرائض ودروس العلم وصـــلاة الجمعة كما يوجد فى تلك الصالة باب خاص يوصل الى خارج المسجد فى الجهة الشرقية بعيدا عن ممـــرات الرجال وعلى هـــذا الباب الخارجى ساتر الى نهاية المسجد حيث تجـد السيدة نفسها بعيدة عن حـــــرم المسجد ويفتح ذلك الباب فى أوقات الصلاة فقط ولا يطرقه الرجـــال ومحاذيا له دورة مياه للنساء فقط . فاذا نظرت عن يمينك وأنت واقف فى نفس المكان على الطرف الاول مـــن الفناء وجدت ثلاثة أبواب تصل بك الى مكان الطهارة والوضوء للرجـــال وقد أعد هذا المكان على أحدث النظم وجهز بأحدث الادوات العصرية وكل جدرانه وأرائكه وأرضه من الرخـــام المرمرى الابيض الذى فرش به فناء المسجد أما الباب الرابـــع فخاص بحجرة خادم المسجد . أما البـــاب

الخامس فخاص بالمعدات الكهربائية ثم باب المئذنتين واذا نظـــرت عن يسارك وجدت حجرة خاصة بالامـــام بداخلها غرفة نوم ودورة مياه كاملة ثم حجرة خاصة بالمؤذن متسعةالارجاء وكلها مؤسسة بأحدث الاساس فاذا ولجت باب المسجد الداخلى (المصلى) من أحد أبوابه الثلاثة المتراصة وجدت نفسك فى حرم المسجد فترى المحراب أمامك وقد أخذ شكلا اسطوانيا تتدلى من سقفه ثريا من الكهرباء تشـــبه عنقود العنب فاذا أجلت بصرك بسقفه وجدت احدى عشرة ثريا وضعت بنظام هندسى وكلها من النوع السابق .

أمـــا اذا نظـــرت ببصرك الى قبة هذا المسجد فترى قبة متســـعة الدائرة تدلت من وسطها كبرى الثريات وقد تميزت بضخامة حجمها العنقودى أحيطت بفروع من الثريا العنقودية الدقيقة المتقاربة امتلأت بهـــا القبـــة على سعتها فالفت كوكبا وضاء ونجما لامعا أما القبة نفسها فقد صنعت من مادة (فبركلاس) المشعة ففى النهار ترسل ضوءا ذهبيا يبعث البهجــــة والسرور الى نفس الرواد فهى تجلب الضوء وتبعث الدفء مما يعين العابد على طاعة ربه .

هذا المسجد مع ما صـــورنا نرى قصورا فى التصوير لحسن مظهره وسلامة ذوقه وفنه ونقدم اعتذارنا عما نكون قد قصرنا فى تصويره فاننا لم نصل الى الغاية ولم نأت على النهاية — وقد سلم لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة رمضان ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠ .



ولعظم مكانة هذا المسجد فقـــد نظمت به وزارة الاوقاف والشـــئون الاسلامية حلقات علمية دينية تدرس فيها علوم الدين على أيدى متخصصين ويؤم هذا المســـجد لحضور تلـــك الندوات رجال الفـــكر والثقافـــة على جميع المستويات .

وهذا المسجد يشهد لمن عمـــره بالبناء والعبادة بالايمان والتقوى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين .

المؤتمر الرابع لعلماء المغرب :

واجب علماء المسلمين

ينبغي أن يكون النهوض قائما على احترام العقائد والحقائق التى أمرنا الله باتباعها ، وتعبدنا بطاعتها ، حتى يكون التقدم منطقيا وسليما تحمد عاقبته وتجنى ثمرته ، وان الله سبحانه وتعالى قد رفع مقام العلم والعلماء ، وأكد عليهم فى وصية التبليغ والاداء ، وما ذلك الا لأن العلم نور يستوضح المشاكل والمجاهل ، ويستشف ما وراء ذلك من خبايا وخفايا ، وما ذلك الا لأن الذين أوتوا العلم والايمان ، هم الذين يحق لهم أن يسهروا على حياة الرشد والسداد ، وينهضوا بمهام التوجيه والارشاد ، وينصرفوا بقوة ايمانهم الى العدل والانصاف وينكروا ما يعن من الباطل والاعتساف .

وهم الذين يتحملون الاذى فى سبيل صدعهم بالأمر ، وجهرهم بالحق ، فلقد ضرب الامام مالك رحمه الله وهو عالم المدينة وامام الأئمة حتى غشى عليه فى سبيل الصراحة بحكم من أحكام الله ، ولقد سجن الامام أحمد رحمه الله وهو علم من أعلام الدين الشاهقة ، فى سبيل التمسك بعقيدة تتصل بصفة من صفات الله : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . وان حياة الاسلام كما تعلمون لا تتحقق الا بمرحلتين : مرحلة نظرية وهى مرحلة الايمان والتصديق ، ومرحلة عملية وهى مرحلة الانجاز والتحقيق ، بعد ما يكون من التصميم والتنسيق ، فأما الايمان من دون عمل ففكرة عقيمة ، لا وزن لها ولا قيمة ، وأما العمل من دون ايمان فلا يوثق به ولا يعتمد عليه لأنه معرض لاخطار الشك والترك .

ولهذا كان من العناء والشقاء فصل الدولة عن الدين والايمان ، وسيطرة المادة على الحياة والانسان ، اذ المقومات المعنوية والخصائص الروحانية تنعدم فى العنصر المادى الصرف فلا يعود الانسان يخضع لقوة العقل والروح وانما هو عبد من عبيد المادة وأسير من أسارى الشهوة ، وذلك هو الضلال البعيد ، وذلك هو الخسران المبين .

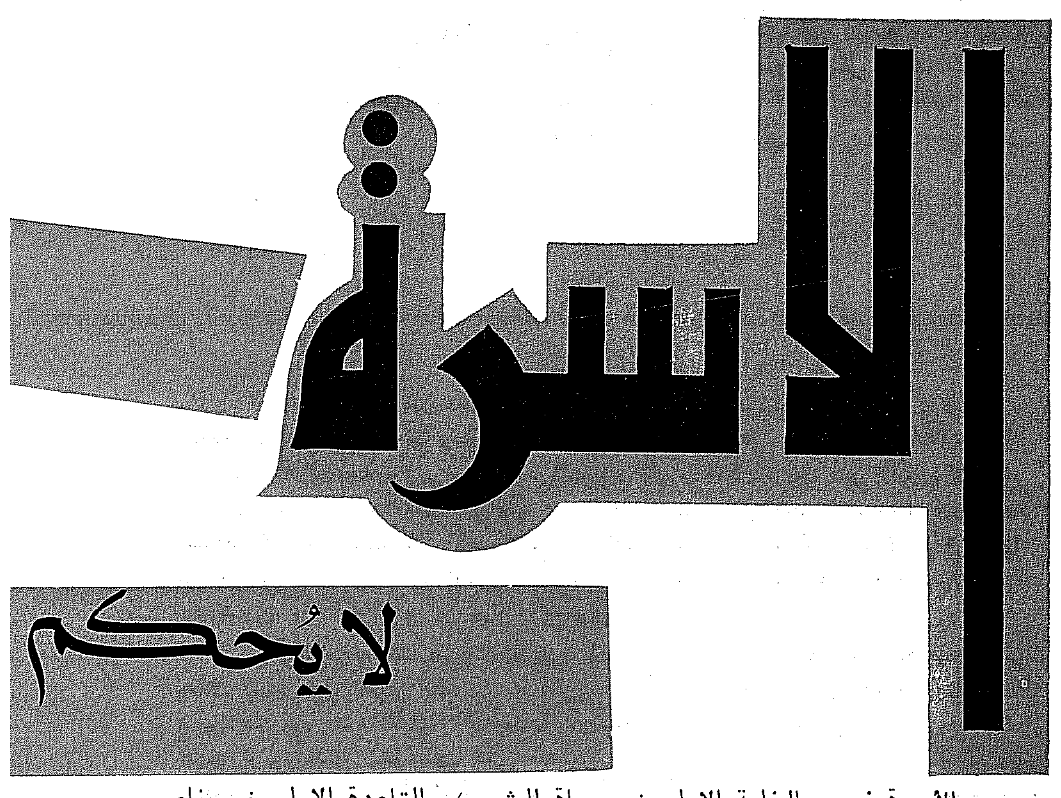
والمسلمون حقا هم الذين يستمدون قوتهم وعزتهم وحياتهم وسياستهم من كتابهم المقدس ودستورهم المحفوظ ولا يتعلقون بشىء آخر مما هو من أوضاع البشر ، ولقد سار المسلمون فى صدر الاسلام سويا على صراطه ومنهاجه ، فطاعت لهم الدنيا ، ولاح فجر الفلاح ، ونصروا الله به فنصرهم ،

عقد علماء المغرب مؤتمرهم الرابع مؤخرا فى مدينة مراكش وتدارسوا فيه أحوال المسلمين فى جميع المجالات ، واتخذوا توصيات شاملة وواقعية تناولت كل القضايا التى تمس المسلمين محليا ودوليا . وقد ألقيت فى المؤتمر عدة كلمات منها كلمة العلامة السيد الرحالى الفاروق ، وفيما يلى ننشر بعض فقراتها :

وأقاموا حدود الله فاستخلفهم ، وعرفوا المعروف وأنكروا المنكر فرفعهم ، وحفه الأولون بجهادهم وصدق ايمانهم فكان كلما تلقى صدمة من الكائدين له هب الحماة لنجدته وأسرعوا لصد الهجوم عن ساحته ، من غير تلكؤ ولا تلعثم .. ومن دون تكاسل ولا تواكل ، ولكننا أصبحنا الآن نرى هذا الكتاب الحكيم ، وهذا الدستور المستقيم ، وكأنما هو أثر من الآثار ، لا يرجع اليه فى الحياة ، ولا يستشار ، وهذه أعظم نكبة وأكبر خسارة أصيب بها المسلمون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

انه خضوعا للشعور بخطورة الحالة واهانة الضمير ، فانه يتحتم أن يعاد النظر فى تقرير المصير ، وفى كيفية المسير ، وأن يؤكد العلماء وجودهم فى هذه الفترة العصيبة فيعرضوا رسالتهم من جديد وبأسلوب جديد ، ويوطنوا نفوسهم على الصبر والمزيد فى سبيل التعريف بالمعتقدات الدينية ، والتجديد للحضارة الاسلامية ، وأن يوسعوا صدورهم ويصعدوا نشاطهم لتخليص هذا الجيل من فتنته وللابقاء على لون الاسلام وصبغته ، ولو يكون ذلك بتأسيس مدارس تلقحه بمادة الدين والاخلاق ، وتعوده على ممارسة وظائف الدين وأعمال الخير — ثم يساق بمهارة الى ما يتطلبه المستقبل من القيام بشتى المسئوليات ، والى ما ينتظره العصر الذى يعيش فيه من تحمل التضحيات ، ويتقاضى ذلك منه أن يتسلح بسلاح العصر — ليساهم فى معركة النصر — تلك المعركة التى نرى كتائبها تستغيث ولا تغاث وتستجير ولا تجار ، وذلك فى كل موطن أصبح عرضة لأعداء الحق والدين ، ولاجرام الصهيونيين والصليبيين .

وايم الله انه لقد حان الحين وآن الأوان لتظهروا مجتمعين بقلوبكم فى الميدان ، ومسلحين بسلاح اليقين والايمان ، ومربوطين برباط القصد والاحسان ، ومعلنين كلمة الحق فى كل وقت وفى كل مكان : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ولعلكم اذا أحكمتم خطتكم وأعددتم معنويتكم وتقدمتم بالحكمة والموعظة الحسنة تجدون تفهما لمطالبكم وانجازا لبعض رغائبكم فانكم لا تدعون الى جمود وخمول ، ولا الى فتنة وبدعة ، وانما تدعون الى ما يعود على الوطن الاسلامى بالنفع العميم والتقدم السليم .



الأسرة : هى الخلية الاولى فى حياة البشر ، والقاعدة الاولى فى بناء المجتمعات والأمم ، قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

فمن هذا الازدواج الاول نشأت الاسرة الاولى ، وعنها نشأت ازدواجات وأسر وقرابات ورحم ، وتكون المجتمع الانسانى الكبير .

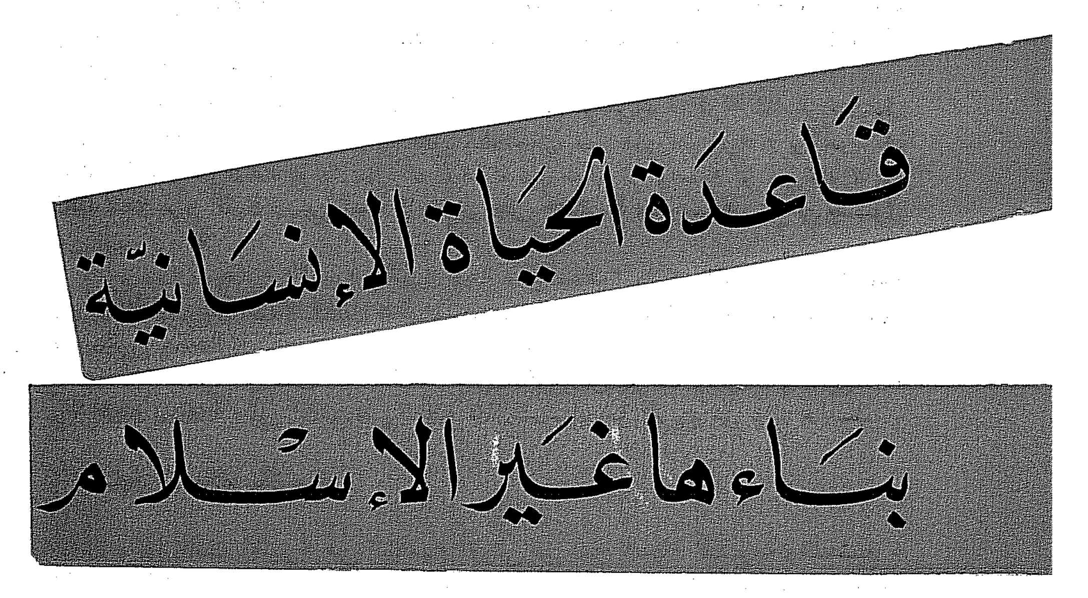
وهذا أمر فرغ منه الباحثون المنصفون الدارسون لشئون الحياة والاجتماع وهو حق وصدق : حق من حيث الواقع وصدق من حيث التاريخ والمنطق والتسلسل فى الوجود منذ كان الكل يتألف من أجزاء فتتألف السلسلة من حلقاتها والمدينة من بيوتها ..

ويخطىء من يظن غير هذا ، أو يحسب أن الفرد بمعناه المطلق هو قوام المجتمع أو الأمة !! فلا يزال هذا الفرد منبتا ناقصا حتى يتم الزوج المكمل لوجوده ، ولاستمرار هذا الوجود .

فكما أنه يستحيل أن يقوم مجتمع صالح بجنس واحد من الرجال ، أو جنس واحد من النساء ! فكذلك يستحيل أن يقوم مجتمع صالح بدون أسرة ، فانها ضرورة للحياة ، ووعاء طبيعى لبناء الفرد وتماسك المجتمع : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

ان حاجة الفرد والمجتمع لهذه الاسرة تساوى حاجته الى الحياة ،

للشيخ عبد المعز عبد الستار



وصلاحها ، ذلك بأن الاسرة هى المهاد الطبيعى الذى يستقبل الوليد ، وفيه يجد حاجاته وضروراته ومقومات وجوده المادى والمعنوى ، وكمال هـذا الوجود فهو يرضع مع لبان أمه وكفالة أبيه معانى الحب والحنان والرحمة والايثار ويجد منهما وفى أخوته معانى النصح والاخوة والعون والبر ، فينشأ ملىء القلب ريان النفس بهذه المعانى التى لا تصلح الحياة بدونها أبدا ، ومن ثم ينشأ سويا فتيا لم تصبه عاهات الحرمات وأمراض جدب العاطفة والروح كبعض هؤلاء الذين حرموا هذه النعمة فنشأوا وفى صدورهم نار وحسـد وأحقاد تأجج على الحياة والاحياء ودت لو صيرتها رمادا .

أعداء الأسرة والفطرة :

وقد زعم الماديون من أعداء الفطرة والحيـاة وقوانين الوجود الذين يقولون « لا اله والحياة مادة » زعموا أنهم يستطيعون أن يسـتغنوا عن الأسرة ومهاد الفطرة فبعثروا أفرادها واستبدلوا بها المصانع والشـوارع ودور الحضانة ومؤسسات ابتدعوها ليست خيرا من الملاجىء التى نعرفها ، فما زادوا على أن تعجلوا للولد اليتيم وللأم الثكلى وللأب معاناة هذا التشتت والحرمان والضياع وللارحام هذه القطيعة والوجيعة بقطع ما أمر الله به أن يوصل .

لقد زعموا أن الاسرة هى الدولة — أى الحزب — أو أنه ينبغى أن يكون ذلك وتوهموا أن ولاء المرء لأسرته ووفاءه لاحبته وأقرب الناس اليه يتعارض مع الولاء لدولته والوفاء لقومه مع أن جميع قوانين البشر ومواصفات الناس تثبت لرفيق الطريق ، وزميل العمل ، وجار المنزل حقوقا والتزامات ليست لغيرهم ، بل لم يقل أحد ان وفاء جندى لأفراد كتيبته ، أو فرقته يقدح فى ولائه لقيادته وأمته ، ولكنهم لا يحفلون بعقل ولا منطق وانما يحرصون على ألا يكون للأمة كيان أو تجمعات بصورة ما تستعصى عليهم أو تقول يوما .. لا ..

ومن أجل ذلك نسفوا بناء الأسرة نسفا فأخرجوا المرأة للشارع تعمل فى غير حاجة وبعثروا العيال على المحاضن فى غير ضرورة ، وألغوا كل ارتباطات والتزامات تربط بين أفرادها ، من نفقة أو وصية أو ميراث ، كل ذلك لتتكون الأمة من آحاد لا يقوى على المقاومة ولا يستطيع أن يقول فى أمر .. لا .

وبهذا سحقوا الاسرة والفرد معا ، وسحقوا بذلك الأمة جميعا فكانوا من « الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

لقد نسوا أن مثل هذه الأمة التى تتكون من ذرات وفتات لا تكون أمة ولا تثبت ساعة على المقاومة والبلاء اذا اشتدت بها الريح فى يوم عاصف .

عناية الاسلام بالاسرة :

واذا كانت الاسرة هى القاعدة الاولى فى بناء الحياة البشرية والمجتمع ، فان العناية بها واحكام بنائها أمر يساوى الحياة نفسها قيمة وأهمية ، ومن أجل ذلك كانت محل عناية الحكماء والمصلحين وأهل الفكر ورجال التربية عبر التاريخ ..

ولم يبلغ منهج فى العناية بها واحكام بنائها مبلغ الاسلام ، فهو الذى أرسى قواعدها على أثبت الاصول وأحكمها ، ورفع سمكها ، وكون منها المجتمع الفاضل الذى تخيله واشتهته أحلام الفلاسفة والمصلحين مجتمع الحب والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، مجتمع العدل والاحسان الذى يمضى عليه العام والعامان لا يختصم الى الحاكم والقاضى فيه اثنان كما حدث ذلك فى المدينة المشرفة على عهد أبى بكر وعمر . والسر فى هذا يرجع الى أمرين :

الأول : أنه يغالى بقيمتها وقد جعلها الله آية تستحق الاعتبار والتفكر ، ونعمة منه تستوجب حسن الرعاية والشكر ، قال تعالى : « ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها . وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وقال سبحانه : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات . أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون .. » .

فقد نبه سبحانه الى أن هذه الزوجية والحياة الأسرية شىء هام هو سنة وفطرة وآية ونعمة ، فهى تستوجب ذكرا لله وشكرا له بالحفاظ عليها .. ففى أى دين أو مذهب نجد لها مثل هذه القيمة والحرمة .. ؟

الثانى : أنه أقام بنيانها على أدق قواعد العلم والبناء على نحو ما تبنى به العمائر الشاهقة والحصون ، أو القلاع وان بناء الأنفس والأمم لأشد وأعضل ، ومن المعلوم أن قوة أى بناء تقاس بأمور ثلاثة هى :

١ ــ قوة الأساس .

٢ ــ قوة الوحدات التى يتألف منها .

٣ ــ قوة الارتباط بين هذه الوحدات .

ولهذا الاجمال والمثال توضيح نفصله فيما يلى نتبين منه كيف أحكم الاسلام بناء الأسرة على هذا النحو الذى تكونت به خير أمة أخرجت للناس .

كيف بنى الاسلام خير أسرة وأمة .. ؟

على مثل هذه الأصول الثلاثة بناها وأرساها .

على الأساس القوى ، وبالوحدات السليمة القوية ، وبالرباط القوى الذى يؤلف بينها ..

١ ــ أما قوة الأساس :

فقد أرسى الاسلام بناء الأسرة على (الدين) أى طاعة الله وتقواه ، ومراقبته والتقيد بأمره ، وحلاله وحرامه فى كل شىء ، فهو الباعث الأول على بنائها وانشائها ، المشير الاول فى اختيار طرفها وتحديد مواصفاتها المرجع الأول فى تحديد حقوقها وواجباتها ومكانها من فضائل الحياة وتبعاتها . هو الذى جعلها آية ونعمة كما تقدم ، وهو الذى أوجب اقامتها اذا أوجبت أسبابها . قال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . وقال صلى الله عليه وسلم : « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

والدين هو المستشار الأول فى اختيار الزوجين وتحديد مواصفاتها . قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ألا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » . فشرط الدين الرضي والأمانة وهى جماع الدين . وقال صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » . وهذا أخلص النصح وأصدقه ، فان المال والجمال والحسب والنسب كلها أمور اضافية وكمالات خارجية قد تحول ، أما الدين فكمال ذاتي ثابت لا يستغنى عنه أبدا فيه تكون العفة عند الفتنة ، والثبات عند المحنة ، والسعة عند الضيق ، والرضا والتجمل والتحمل وسائر ما يجعل للحياة طعما ويملأ القلب سكينة وسلاما ..

سأل رجل الحسن البصرى فى خاطبين تقدما لابنته أيهما يزوج فقال له : أرضاهما دينا فانه ان أحبها أكرمها وان كرهها لم يظلمها . وقديما شكا رجل لعمر رضى الله عنه أن حبه لزوجه قد خبا وأنه يريد أن يستبدل بها فقال له : ويحك أوكل البيوت تبنى على الحب ؟ أين تقوى الله وعهده ، وأين حياؤك منه « وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

فالدين هو المصدر القانونى الذى يحدد لكل فرد فى الاسرة حقوقه

وواجباته ، والضمير القانونى الذى يضمن لها التنفيذ والطاعة فهو روح يسرى كعصارة الحياة فى قلب الشجرة تترسخ منها الجذور وتستوى منها السوق وتورق منها الفروع وتثمر ، لا تقوم الحيـاة بدونه أبدا ومن ثم كان اختيار الزوج وبناء الاسرة على أساس الدين أجل نعمة تهدى للأولاد والاحفاد وأجيال الانسانية كلها ، وقديما امتن الشاعر على بنيه فقال :

وأول احســـانى اليكم تخيرى لمـاجدة الأعراق باد عفـــافها

وصدق الرجل فان الولد سر أبيه وأمه أيضا ، وقد جاء فى الخبر : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » ورحم الله القائل :

أرى كل عود نابتـــا فى أرومة أبى نسب العيدان أن يتغـــيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء ســوء يلقهم حيث ســيرا

وصدق الله العظيم : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا » .

٢ ـــ أما قوة الوحدات :

فنعنى بها سلامة تكوينها وصلابتها ، ذلك أن البناء لا يقوم ولا يدوم الا اذا تألف من لبنات قوية متجانسة فلا يقوم بناء من خليط هش أو غير متجانس : طوبة وخرقة وورقة وخشبة وزجاجة ورمل وهلم .. لا .. لا بـد أن يتألف من وحدات متجانســة صالحة يشد بعضــها الى بعض ، وهذه الوحدات هنا الأولاد ، فانهم اللبنات التى تتكون منها الاسرة ابتداء ثم الأمة فان صلحوا صلح البناء ، والا أسرع اليه الفناء . ومن هنا كانت عنـــاية الاسلام بالولد فى كل أطوار نشأته ومن قبل أن يوجد أو يولد ، عناية ربانية لا تجد لها نظيرا فى منهج أو دين قديم أو حديث . ذلك بأن الانســـان فى الإسلام هو خليفة الله فى أرضه علمه وأكرمه وسخر له ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ، فمن ثم هو يعده لهذه الخلافة .

بل ان الانسان نفسه هو الهدف الوحيد للاسلام ، وهدايته هى مهمة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أجله بعث وأنزل عليه القرآن وجاهد وكابد ليخرجه من الظلمات إلى النور لا هم له الا انقاذه واصلاحه واسعاده ، ومن أجل ذلك عنى به وهو سر فى عالم الغيب وقبل الوجود يوصى بتخير أبويه على أساس الدين ثم صاحبه وعنى به فى كل أطوار حياته .

عنى به وهو جنين فى بطن أمه فشرع لها الفطر فى رمضان اذا خشيت عليه ..

عنى به وهو وليد جديد فشرع تكريمه والاحتفال به .

عنى به وهو طفل فشرع الأحكام لحمايته ووقايته .

عنى به وهو ناشىء وفتى فشرع الاحكام لتأديبه وتعليمه .

عنى به فى مماته وبعد مماته كما عنى به فى حياته .

ولذلك تفصيل وشرح يطول ، ولكنا نشير الى شىء منه فيه تنبيه لازم وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين ..

وسنشير الى ثلاث :

١ ـــ تكريمه ..
٢ ـــ وحمايته ..
٣ ـــ وتأديبه ..

فمن تكريمه :

أن شرع له حسن استقبال مولده (ذكرا كان أو أنثى) بذكر الله وشكره نؤذن فى أذنه اليمنى ، ونقيم فى اليسرى تفاؤلا بالذكر أن يكون هو أول ما يطرق سمعه ، وأن يكون الله فى قلبه أكبر من كل كبير وايحاء بذلك لمن حوله .. من صغير أو كبير ونعوذه وندعو له .. فاذا كان يوم السابع أقمنا له حفلا ووليمة فدعونا الاحياء ، وأطعمنا الفقراء وتسمى هذه الوليمة (عقيقة) نذبح فيها عن الذكر شاتين والأنثى شاة لمن استطاع ، ثم نحسن اختيار اسمه ونجرى ختانه .

وكل ذلك تكريم للوليد وطاعة وعبادة وقربى وتشريع من حكيم حميد ، فأين تجد مثل هذا التكريم للانسان .. أعند عباد الوثن .. ؟ أم عند الذين يقولون أنهم من سلالات القرود ... ؟

ومن حمايته :

أنه شرع له القوانين الملزمة لحمايته ورحمته فى رضاعه وفطامه وحضانته ونفقته وتربيته وتعليمه حتى يستوفى رشده ويبلغ أشده ويستقل بكسبه أو نفسه ، وربط كل ذلك بتقوى الله والعدل والمعروف والاحسان على نحو لا تجد له مثيلا فى قوانين البشر أو أديانهم .

ومن تأديبه :

أنه عنى بصياغة الولد صياغة ربانية هى أدق من صياغة الذهب والجوهر ، وأعظم من صياغة الفولاذ ، وهل أثمن من الانسان وهو انسان عين هذا الوجود ؟ لقد تناوله الاسلام فى أخص أمور حياته ورسم لها فشرع لطعامه وشرابه وثيابه وحفظ لسانه وبصره وسمعه وجوارحه وحواسه حتى قص شعره وظفره وطهوره وقضاء حاجته وغسل بدنه تماما كما تناوله فى عبادته وصلته بربه وتقواه ومراقبته . كما تناوله فى صلاته بغيره ومعاملاته لوالديه وأخوته وأقاربه وجيرانه والناس جميعا .

وهكذا لم يدع شيئا يتعلق بظاهر بدنه ، أو باطن قلبه الا طب له وأفتى فيه واستحفظ عليه والديه واعتبره أمانة وكلفه أن يرعاها ، فانه مسؤول عنها ومحاسب عليها : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ونبه الى خطورة ذلك وأن : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » .

ولقد يبدو عجيبا أن يتدخل الاسلام فى الطعام والشراب والثياب .. وهلم جرا .. ولكن يزول العجب حين نعلم أن الظاهر صورة لما فى الباطن ودعوة اليه أيضا ، وأن حياة الناس صورة لما فى قلوبهم .

فالثوب للمرأة قد يكون ثوب صيانة ووقاية ، وقد يكون ثوب اغراء وفتنة .. وهو للرجل قد يكون ثوب زينة ووقار ، وقد يكون ثوب خيلاء وفساد .

فأباح الاسلام الأول وحرم الثانى ، وقال صلى الله عليه وسلم عن الثوب من الحرير لامرأة « أخاف أن تصف حجم عظامها » ، الا تشف

تصف) فتدخل الاسلام فى طول الثوب ومادته ونوعه وتفصيله واستعماله وهو فى كل ذلك منطقى مع رسالته وهى صيانة الانسان (ذكرا أو أنثى) وحفظه وكماله أن يصيبه الانحراف أو يقتله الترف .

وكان عمر رضى اله عنه يأخذ الاولاد بالجد ويقول لهم اخشـــوشنوا وتمعددوا واياكم ولبس الثوب من الحرير وزى الأعاجم .

وهل يكون التهود الا فى التبعية لليهود فيما يبتدعون للناس فى المودات والأزياء وصنوف العهر والتهتك لتدميرهم والقضاء عليهم .

وهل يريد الاســـلام الا الحفاظ على سلامة الفطرة وطهارتها ونقائهـــا وصلابتها : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

فالاسلام صلب فيما لا بد منه لكمال النفس الانسانية وصلابتها .

مرن فيما لا جناية فيه عليها وعلى فطرتها .

ومن ثم فهو يفرض على الوالدين أن يأخذا الولد بالجد والحزم فى كل ذلك ويرخص لهم فيما وراء ذلك .

فهو يكره لأهله أنواع الترف والزينة والاسترخاء والميوعة مثلما يحبب اليهم أن يعلموا أبناءهم السياسة والرمى وأن يثبوا على الخيل وثبا .. وهو حريص على أن ينشئهم على الصدق والعفة والحياء والمروءة وسائر صفات النبل ومكارم الاخلاق ، وهو يعتبر البيت مغرسا لها والأمين الأول عليها ومن ثم فهو يحاسب الوالد عليها كما يحاسب الولد :

ـــ سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، أما تنادى وليدها وترغبه ليقبل وتقول تعال أعطك وتشير الى شىء ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم معها شيئا فقال لها : « ما أردت أن تعطيه » قالت تمرة معى فقال صـــلى الله عليه وسلم : « أما أنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة » .

ان البيت هو الوعاء الأول الذى يجد فيه الولد غذاء جسمه وروحه وعقله وقلبه ، ومن ثم يتكيف ويتكون وهو يتلقى عن أبويه . ومن هـــذا الولد يتكون البيت نفسه وتتكون الأمة معه ، وهنا مكمن الخطر وأول الداء أو الدواء فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها .

٣ ـــ قوة الارتباط :

وهى الأصل الثالث الذى يقوم عليه بناء الاسرة وأى بناء وهو يعنى مجموعة الآداب والقوانين والفضائل والقيم التى تؤلف ما بين المرء وزوجه ، وما بين الولد ووالديه ، وما بين الأخوة وذوى القربى والرحم .

وقد أحكم الاسلام هذا الرباط بأسباب من الايمان وتقوى الله والرحم ، ومن التشريع الملزم فى ايجاب البر والنفقة والوصية والعقل والميراث .

فأما ما بين المرء وزوجه فقد وثقه بالعهد والعقد الذى جعل منه مودة ورحمة ، وأوجب على كل منهما رعاية الحرمة وحسن التبعل ، أى القيام بحقوق الزوجية من النصح والنفقة وحسن المعاشرة وحفظ الغيب بغض البصر ، وحفظ المال والولد والعرض ، وتقرير المساواة فى الحقوق المشروعة قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن » وقد كان ابن عباس يصلح من زينته فسئل عن ذلك فقال أتزين لها كما تتزين لى ، أى أن ذلك حقها وهو فقه دقيق ، وقد أكمل الله النعمة بهذا التقرير الاخير فقال : « وللرجال عليهن

درجة » فجعل الرئاسة والقيادة للرجل فزاده درجة هى الصوت المرجح عند الخلاف كما هو الشأن فى أى مجتمع فطرى سوى لم يزغ عن الفطرة ولما أضاع ناس هذه الدرجة فقد الرجل سلطانه على الزوج والولد جميعا فانحل نظام البيت ، وفسد الولد ولم يعد يدرى عنه أو يقدر على اصلاحه .

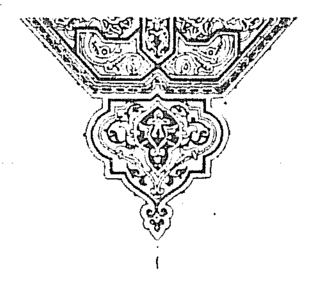
وأما الاولاد ففرض عليهم البر والاحسان للوالدين وقرن العبودية لله وتوحيده وطاعته بذلك وحرم عليهم العقوق وأوجب عليهما النفقة والطاعة ، ووصى بهما عند الكبر خاصة كما وصى الأبوين بالتسوية بينهم فى البر والرعاية ..

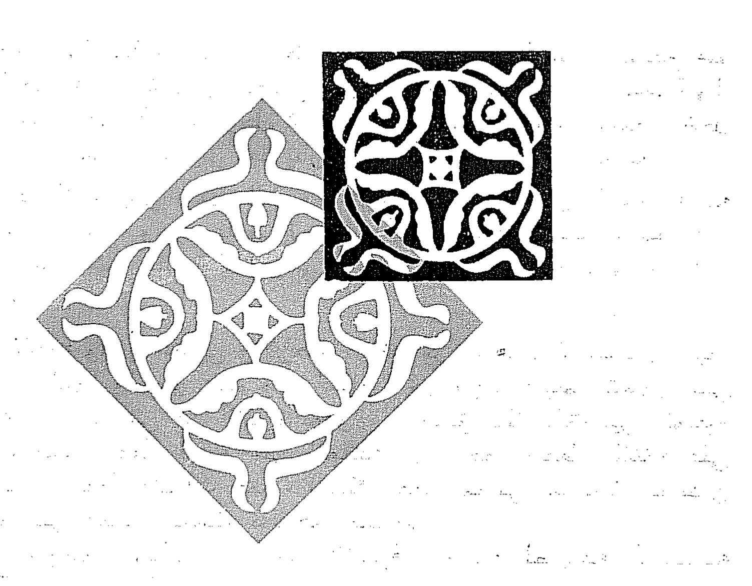
وأما الأخوة وذوو القربى والارحام ، فقد أمر ببرهم والاحسان اليهم وصلتهم وان قطعوا والعفو عنهم وان أساءوا ، وأوجب عليهم التعاون على البر والتقوى ، والتناهى عن الاثم والعدوان ، ووثق ذلك بالقوانين الموجبة والوصايا الحكيمة فجعل الدية على العاقلة فى الخطأ وجعل النفقة على الولى الأقرب ، وجعل الميراث حقا ، (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم) .

وبهذا التوفيق الربانى بين آحاد الاسرة ، وهذه الصياغة الربانية والتربية الآلهية لافرادها .

وعلى هذا الأساس الدينى أرساها عليه الاسلام . قامت الاسرة التى تكونت منها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقادت العالم الى الخير والعدل والاحسان والحرية والمساواة وسادت حضارته الانسانية الزاهرة وهدته الى الحق والى طريق مستقيم .

و « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .





حقوق الانسان في الاسلام

للاستاذ أنور السيد يعقوب الرفاعى

أعلنت حقوق الانسان نتيجة ثورات القرن الثامن عشر ، وهى مبادىء أساسية سامية فوق القانون ، فالتشريع يسترشد بها ويستقى منها . وقد ذكرت هذه الحقوق فى الدستور الامريكى لسنة ١٧٨٧ ، وهو أقدم الدساتير المكتوبة، كما وردت فى الدساتير المتعددة للثورة الفرنسية التى اشتعلت سنة ١٧٨٩ ، ثم جاءت تباعا فى الدساتير الحديثة ودعت الى العدالة الاجتماعية والاقتصادية كأهم مقومات المساواة السياسية والقانونية للفرد .

وأهم تعاليم حقوق الانسان تقديس حرية الفرد كحق طبيعى له ، واحترام حقه فى الامتلاك والعمل ، وتساوى المواطنين فى الفرص والوظائف ، وحرية الرأى والعقيدة ، والتجارة ، ومساواة المواطنين أمام القاضى ، وأن يباشر الحكم على أساس أن الشعب مصدر السلطات ، ولا فرق بين شخص وآخر .

وتأيدت هذه المبادىء فى الاعلان

العالمى لحقوق الانسان الذى صدر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ووافقت عليه الأمم المتحدة ، وخاصة ما بين الحربين العالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية صارت الحريات بحكم الدساتير منظمة وموجهة ، وتدعمها العدالة الاقتصادية ، وتتدخل الدولة فى تنظيم الانتاج ، وتوزيع الاختصاصات ، وتوفير الاعمال للناس .

فتعهدت الدول التى وافقت على اعلان هذه الحقوق والحريات بالعمل على احترامها ، واختلف التعبير عنها باختلاف الثقافات والحضارات فى الغرب ، فهى واحدة فى ابراز ارادة الشعب نتيجة ثوراته ، فالثورة الامريكية يعبر عنها فى الدستور الاتحادى بتحقيق السعادة للانسان بضمان حرياته فى كافة صورها .

وفى الثورة الفرنسية يعبر عنها بالحريات ، والمساواة ، والاخاء ، وفى الثورة الإنجليزية يعبر عنها بتعهد الملك باحترام حقوق الناس ، وفى نظم الجمهوريات الشعبية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى يعبر عنها بأن من لا يعمل لا يأكل .

ولننظر الى حضارة المسلمين التى سبقت الثورات المذكورة بأحد عشر قرنا لنرى الى أى حد تأصلت الديمقراطية والحريات والمساواة والعدالة الاجتماعية ، وعدم التمييز بين الرجال والنساء فى تلك المبادىء التى عنى الاعلان العالمى بها ، والتى يفخر بها الغرب .

وسأتناول ما ورد فى التعاليم الاسلامية من الحقوق الاساسية للانسان ، هذه الحقوق التى رددها الاعلان العالمى مرارا ..

أولا : المساواة فى الاسلام :

الناس فى الاسلام سواء أمام الشارع ، وكلهم سواسية كأسنان المشط ، وليس هناك تنافر وتدابر بين المسلم والذمى ، ولم يعرف المجتمع الاسلامى مذابح الاضطهاد الدينى على وتيرة مذبحة (سانت بارتلمى) مثلا فى فرنسا ، التى أمرت بارتكابها (كاترين دى مدسيس ، ودوق دى جيز) فى عهد شارل التاسع ضد البروتستانت فى أغسطس ١٥٧٢ لابادة الأقلية المسيحية المنشقة على الكنيسة الكاثوليكية . بينما كان من الذميين فى الدولة الاسلامية الشعراء ، والوزراء ، والعلماء والأدباء ، ورجال الجيش والدولة . يقول الله تعالى فى التعاطف والتسامح « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم . وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون »(١) .

وجاء فى القرآن الكريم كذلك بمناسبة الألفة ، والمحبة ، والدعوة الى الخير كنتيجة للمساواة بين الناس قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

واتضحت المساواة فى بساطة الرسول ، وحسن معاملته لقومه ، وفى تواضع الخلفاء الراشدين وقناعتهم وتقشفهم فى الحياة ، فقد اشتهر عمر بن الخطاب بالزهد والقناعة والنزاهة والتشدد فى

الحق . وقال رضى الله عنه حينما اعتدى عليه بطعنة الخنجر وأحس بدنو أجله لابنه :

« انى استلفت من بيت مال المسلمين ثلاثين ألفا فليرد من مال ولدى ، فان لم يف مالهم فمال آل الخطاب » .

وكان على بن أبى طالب يتحلى كذلك بالزهد والعدل ، ومن عدله أنه رأى درعا له عند رجل فتقاضيا الى القاضى ، ووقف الى جانب خصمه احتراما للعدل .

ثانيا : العدالة والحرية :

العدالة هى ميزان الاجتماع فى الاسلام ، وهى التى يقوم بها بناء الجماعة ، وكل تنسيق اجتماعى لا يقوم على العدالة منهار مهما تكن قوة التنظيم فيه ، فالاسلام يحض على معاملة الناس بالحسنى، قال تعالى : « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. »(٢) وفى الحديث الشريف : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

ويشيد المستشرق مونتيه Montet بحاضر الاسلام ومستقبله بما اتصف به من التسامح فى معاملته للشعوب فيقول : « لا يكون تعليم الناس وتهذيبهم بالقوة مهما بعدوا عن الحضارة »(٣) . والمسلمون لم يفرضوا الاسلام بالقوة حيال أهل مصر ، والشام ، وفارس ، والأندلس ، بل تركوا البلدان التى دخلوها حرة فى أداء شعائر دينها ، واحترموا عادات وطباع أهلها .

وتجلت الحرية فى البحث عند العرب ، وفى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ، وقرب خلفاء المسلمين العلماء والشعراء والأدباء النصارى ، وكان ابن ميمون من فلاسفة العرب يهوديا ، وكان الأخطل شاعر النصرانية مقربا الى الخليفة فى عصر الدولة الأموية .

وقد أسلم كثير من النصارى من غير اكراه ، وكانوا هم واليهود مساوين للمسلمين ، وكانوا يتقلدون مناصب الدولة كالمسلمين .

وكان طبيعيا أن تؤدى نظم الاسلام الحرة الى اتساع التبادل التجارى فى دار الاسلام وخارجها ، وتأمين حرية الانتقال ، الذى اهتم بها الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

كذلك لم ينازع الاسلام أحدا فى ملكه ، وثروته ، وتأيدت الملكية الخاصة بما جاء فى الكتاب الكريم « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا »(٤) ، وجاء فى الحديث الشريف فى شأن الملكية الخاصة للفرد « من أحيا أرضا مواتا فهى له .. » .

ثالثا : العدالة الاجتماعية :

يقوم الاسلام على رعاية الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، ونشأ بيت المال لهذه الغاية فى عهد عمر بن الخطاب لتنظيم تحصيل الضرائب من جزية ، وخراج ، وتوزيع النفقات على عمال الدولة من أجور ومرتبات . وتحصل الزكاة من المقتدرين لانفاقها على المستحقين من المسلمين ، وهى صدقة يدفعها المسلمون لسد حاجات الفقراء ، والأرامل ، واليتامى ، والمرضى ، وللمحافظة على بيوت العبادة للمسلمين ، والزكاة منشأ العدالة الاجتماعية فى ذلك العصر الذى راج فيه خارج ديار الاسلام الجور ، والظلم ، والاستبداد .

رابعا : حقوق المراة :

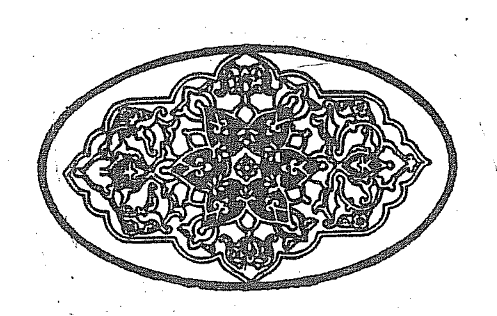
كان المجتمع الاوروبى يسىء معاملة المراة ، وكان الرجل هناك يقسو عليها ، فى حين ان المراة العربية كانت تتمتع بحقوقهما ، ويقول جوستاف لوبون « الاسلام حقا لا النصرانية هو الذى رفع المرأة من الدرك الأسفل الذى كانت فيه .. »

والاسلام لم يعرف حجرا على اموالها ، وقد منح القرآن الكريم الحقوق المدنية الكاملة للمراة . كما جعل للمراة الحق فيما اكتسبته اذ يقول « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا .. »(٥) .

وساهمت المراة العربية فى ميدان الفكر مما لم يكن معروفا للمجتمع الاوروبى ، واشتهر من النساء العديدات فى ميدان العلوم والآداب .. فكانت عائشة أم المؤمنين راجحة عقل ، وواسعة ادراك وافق ، وكانت راوية الحديث عن الرسول الكريم ، وكذلك عائشة بنت طلحة بن عبيد الله الصحابى ، وهى ذات علم غزير بأخبار العرب ، وسكينة بنت الحسين ، واسماء بنت ابى بكر ، وهي أم عبد الله بن الزبير ، وكانت غاية فى الشجاعة .

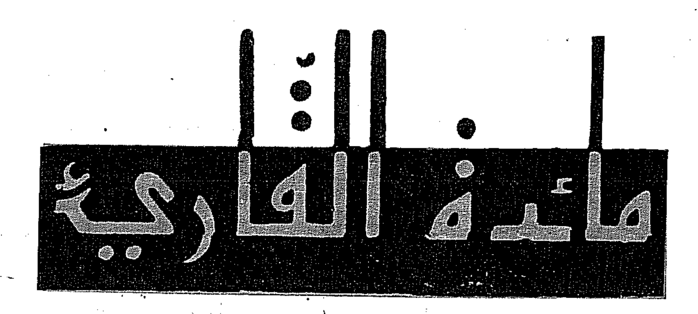
والخلاصة ..

والأمة الاسلامية فاقت الأمم جميعا بحضارتها الروحية المادية ، فهل من عودة الى تطبيق الاسلام الذى صنع هذه الحضارة ورفع من شأن الانسانية ؟!



---

(١) سورة الحج .. الآيات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩
(٢) من محاضرات له بالكوليج دى فرانس
(٢) الآية ٥٨ من سورة النساء .
(٤) الآية ٣٢ من سورة الكهف .
(٥) الآية ٧ من سورة النساء .



الذهب المنثـــــور

قال عبد الله بن عباس دعانى عمر بن الخطاب . فاذا حصير بين يديه ، عليه الذهب منثور نثر الحناء فقال : هلم فاقسمه بين قومك ، فالله اعلم حبس هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وأعطانيه الخير أراد بذلك ، أم الشر ؟

قال ابن عباس : فاكببت أقسم . فسمعت بكاء فاذا هو عمر يبكى ويقول فى بكائه : كلا والذى بعثه بالحـــق ما حبس هذا عن نبيه ، وعن أبى بكر أراد الشر بها . وأعطاه عمر أرادة الخير له .

احصائيات لعدد الحجاج هذا العـــام

بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام ٣٣٩ر٤٧٩ مـــن الذكور والاناث من مختلف بلـــدان العالم الاسلامى ما عدا المملكة العربيـــة السعودية وكان أكثر الحجاج عددا من البلدان التالية :

ـ نيجريــا	٤٤٠٦١
ـ ايــران	٣٠٢٩٩
ـ مصـــر	٢٩١٧١
ـ السودان	٢٩٠٠٤
ـ سوريــة	٢٧٠٤٥

وقد بلغ مجموع حجاج البـــلاد العربية ٢٥٩ر٦٧٢ منهم ١٦٥ر٨٧٩ من الاناث .. أما مجموع الحجـــاج القادمين من بقية دول آسيا فقد بلغ ١٤١ر٦٠٧ منهم ٩٤ر١٤٢ من الذكور و ٤٧ر٤٦٥ من الاناث ..

أما الحجاج القادمون من بقيـــة دول أفريقية فقد بلغ ٤٣ر٥٩٤ مـــن الذكور و ٨٢ر٣٢٦ من الاناث ومـــن الملاحظ فى أفريقية غير العربية أن مجموع الاناث الحاجات يكاد يبلـــغ ضعف الرجال .

أما القادمون من أوروبا وامريكا فقد بلغ عددهم ٦١٣٠ من الذكـــور والاناث ..

منافسة

قال عبد الملك بن مروان يوما فى بعض مجالسه : أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟ فقال سويد بن غفلة ؟ أنا لها يا أمير المؤمنين : فقال : هات ، فقال سويد : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ... فقال آخر فى المجـلس : يا أمير المؤمنين : أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فقال سويد أنا أقولها ثلاثا : أنف ، أسنان ، أذن ، واستمر .. فاعجب عبد الملك بن بديهته وأجازه ..

الرفـــق بالحيوان

من روائع حضارتنا الاسلامية هذه الروح الرحيمة التى استظـل بظلها الانسان والحيوان .

روى أن أبا الدرداء الصحابى الجليل كان له بعير . فلما حضرته الوفاة ، قال يخاطبه : يا أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أحملك فوق طاقتك ..

وكان الصحابى العظيم عدى بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : انهن جارات لنا ولهن علينا حق .

وكان الامام الكبير أبو اسحاق الشيرازى يمشى فى الطريق ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ وقال له : أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه .

وقد خلت حضارتنا من مظاهر القسوة والتحريش بين الحيوانات ، وهى التى كانت معترفا بها رسميا لدى اليونان والرومان ، ولا تزال معترفا بها فى اسبانيا حيث تقام الحفلات الكبرى لمصارعة الثيران .

الحـــــكماء

طلب أحد الخلفاء بعض العلماء ليسامره ، فلما جاءه الخادم وجده جالسا وحواليه كتب يقرأ فيها فقال له : ان أمير المؤمنين يستدعيك ، فأجابه : قل له : عندى قوم من الحكماء أحادثهم ، فاذا فرغت منهم حضرت ، فلما عاد الخادم الى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده ؟ قال الخادم : والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد ، قال فأحضره الساعة كيف كان ، فلما أحضر العالم قال له الخليفة : من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك ؟ قال يا أمير المؤمنين :

هم جلســـــاء ما تمل حديثهـــــم ... أمينون مأمونون غيبــا ومشـــــهدا
اذا ما خلـــونا كان خير حديثهـــم ... معينــــــا على نفى الهمـــوم مؤيدا
يفيدوننــــــا من علمهم علم ما مضى ... وعقـــلا وتأديبا ورأيا وســـــؤددا
فلا ريبـــــة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقى منهم لســــــانا ولا يدا
فان قلت أموات فلست بكـــاذب ... وان قلت أحيـــــــاء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه انما يعنى بالحـــكماء الذين كان يجتمع معهم كتب العلماء والحكماء ، فلم ينكر عليه تأخره .

دار الحـــكمة

مكتبة الحكمة بالقاهرة ، أنشأها الحاكم بأمر الله ، وافتتحت فى ١٠ من جمادى الآخرة ٣٩٥ هـ ، بعد أن فرشت وزخرفت ، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم بها القوامون والمناولون والفراشون ، وقد جمع فيها من الكتب ما لم يجتمع لأحد قط من الملوك . حتى كانت تضم أربعين خزانة ، احتوت احدى خزائنها على ١٨٠٠٠ كتاب من العلوم القديمة .. وكان الدخول اليها مباحا لجميع الناس . فمنهم من يحضر لقــراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وكان فيها كل ما يحتاج اليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر .


هؤلاء المتصدون
من
يدعمهم
؟

يشهد انسان الثلث الاخير من القرن العشرين كثيراً من القيم الدينيه والروحية ينالها ويمسها بعض التشويه ، بل أن بعض الناس قد اصيبوا بانهيار تام او غير تام في عقيدتهم الدينية ، فهل كان ذلك وليد يوم وليلة ، أم هو نتيجة عوامل متعددة .. ؟

الواقع ان هذا التزلزل فى القيم والموروثات الروحية لم يكن وليد المصادفة البحتة ، او مصاحبا لتغيير مفاجىء ، بل مهد له وسبقه اندفاع حضارى متهور الى مجالات التقدم العلمى منذ بداية النهضة فى العصر الحديث .

والتطور الحضارى فى حد ذاته مرحلة هامة وجليلة فى تاريخ البشرية دائما ، والاخذ بوسائل التقدم العلمى شىء مشرق فى حياة الانسان ، لكن هذا شىء والالتواء بهذا المد الحضارى الى غير وجهة تشويها للدين ، وغضا من قيمة الاتجاه الروحى فى سبيل اعلاء الاتجاه المادى هو أسوأ ما فى الامر . آية ذلك أن الحرب العالمية الثانية وقفت على رأس فترة شهدت تغيرات عالمية هائلة فى كثير من المجالات ، وكان مجمل هذه التغيرات بروز الانجاز المادى بروزا خطيرا مروعا ازاء الاتجاه الروحى القابع خلف ضمير الانسان الذى لا يملك الا الدفاع امام وسائل الهجوم المتعددة .

وفى غمرة اصطباغ العالم بالطابع العلمى والاحساس المادى برزت أسماء فى زعامه الفكر والاتجاهات العلمية والثقافيه الحديثة مثل : (داروين) فى علم الحياة (وفرويد) فى علم النفس ، و (كارل ماركس) فى علم الاقتصاد ، و (سارتر) فى مجال الادب والفلسفة ، واصبحنا نلتقى بالمواقف الالحادية الصارخة التى لا تمتثل ، مجافاة التيار الدينى فحسب ، بل تمثل غرورا وصلفا وانحلالا لا يتلاءم مع المستوى الرفيع للتقدم الحضارى للانسان فى العصر الحديث ، وذلك مثلما رأينا لدى (جان بول سارتر) وغيره من كتاب الوجودية ثم كتاب اللامعقول .

وهناك جانب آخر يتمثل فى أن شبح التقدم العلمى المفزع فى مجال الدمار والفناء ، وتطور أساليب الحروب ، وتعدد وقائعها فى كثير من الاماكن فى العالم ، كل هذا ولد لدى الانسان أزمة احتلت قمة قضاياه : الدينية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وتمثلت هذه الازمة فى الشعور المتزايد بالقلق .

ان احساسا يتمدد شبحه المخيف فى أعماق كل انسان بأن القنابل المدارية النووية ترقبه من بعيد اينما حل ، وتهدد يومه وغده ، وتتوعده كما تتوعد اجياله التالية من بعده ، كل هذا جعل القلق تنينا مخيفا يتمدد خلف أجفان من يريد النوم ويحجب الرؤيا أمام المستيقظين .

ومن الناحية السياسية فان انقسام العالم الى معسكرين أو

للاستاذ يوسف حسن نوفل

اتجــاهين ، أحدهما شرقي والآخر غربي ، ثم تعـــدد المواقف ما بين اليمين واليسار ، كل هذا شـــكل علاقات معقدة متشـــابكة لا يقتصر ارتباطها على الناحية الدينية فحسب، بل يتعداها الى النظم الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية وســـائر ما يكتنف العلاقات الانســـانية ، وانماط السلوك البشرى .

نتج عن ذلك كله صراع حاد فى مجال القيم والمبادىء ، واخذ هنـــا الصراع يحتكم الى مبدأ واقعى خطير هو : القوة ، فمن ملكها ارتفع مؤشر نمو قيمه . ومن فقدها تهاوى مؤشر قيمه الى الحد الذى يتلاءم مع مستوى قوته .

هذا من النـــاحية العملية ، او الواقعية ، او التطبيقيـــة ، أما من الوجهة النظرية ، أو التعريفية فهناك تعدد الآراء حول موضوع القيم ، فقد دارت دراسات وتحددت مواقف ازاء تحديد القيم ، فكان هناك من يرى أن القيم توجد بعيدة عن الانســـان وما عليه الا أن يكتســـبها ويطبقها فى سلوكه ، كالقيم التى نصت عليهـــا الشرائع ، وهذا هو اتجاه الوضعية المنطقية .

وهناك اتجاه آخر يرى أن القيم وليدة العقل البشرى وتهدف لمصلحة الانسان ، فهى واقعية ترتبط بالحياة والخبرة ، وهذا هو اتجاه الفلسفة الطبيعية .

وبعد هذا العرض الموجز للاسباب والدوافع التى ادت الى مواقف الالحاد والخروج عن اطار ما يجب أن يلتزم به الانسان ، ولاختلاف المذاهب فى تحـديد ماهية القيم التى يلتزمهـــا الانســـان فى حياته بعد ذلك ننظر فنرى أن معظم ما تتجه اليه نماذج الادب وخصوصا فى مجال المسرحية والقصة ، يندفع فى أحضان الالحاد كما سبق أن تناول الاســـتاذ محمد أحمد العزب فى بحث امين جاد فى عدد ســـــابق من مجلة الوعى الاسلامى .

لكننا لا ينبغى أن تغيب عنا تلك النمـــاذج العديدة التى تقف على الشاطىء الآخر ، وفى الوقت الذى وقفنا فيه على النماذج الملحدة يمكن أن نقف على نماذج اخرى يتجلى فيها موقف ادبى ملتـــزم — اذا صح استعمال المصطلح هنا — موقف ادبى يتكىء على موقف عقدى نظيف يؤمن بقيم الدين الاسلامى فينعكس ايمانه علـــى ما يكتب موضـــوعا وفكرة واسلوبا .

وللنقاد والأدباء ازاء هذه القضية مواقف ، فيرى (تشـــارلتون) فى كتابه (فنون الادب) أن استخدام القصة فى هذا المجـــال خطر ، فالفيلسوف الذى يكتب قصة سيبشر فيها بمذهبه بأن يبدى العـــالم فى الصورة التى يريدها له « ومن الجائز أن يصلح العـــالم بذلك لكن على حساب الفن القصصى ، فقصـــة لا تصور الواقع كما هو ليست من ذلك الفـــن فى شىء » ، علـــى حين يرى (تولســـتوى) أن الفن المعبر عن الدين فن جديد وما عداه فهـــو فن ردىء .

وهناك من قدم اعمالا مسرحية او روائية ذات موضوع اسلامى يدافع عن الاسلام ويدعو الى ما يدعو اليه، أو يشيد بواحد من رجالاته وقادته ويسلط الاضواء على جوانب هـــذه الشخصية فنرى فيها المثل والقدوة ، ومن خلال ذلك كله نرى وجها مشرقا للاسلام مثلما نرى لدى عبد الحميد جوده السحار ، وعلى أحمد باكثير ، ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم .

ان صانعى هذا الفن العظيم يؤدون رسالة هامة ولا شـــك لا يصح أن نتجاهلها ونحن فى معرض تنـــاول

ظاهرة انتشار اللادين فى الاعمال الفنية وتغلغل ذلك بين ايدى قرائنا .

واذا كانت الاعمال المشار اليها اعمالا ترتبط بموضوع اسلامى بداية، فهناك نوع ثان من الاعمال الفنية تناول اطارا عاما وقدم من خلاله اهتماما دينيا ، وتكفى فى هذا المجال الاشارات المجلى والتى يمكن من خلالها أن نلمس احساسا دينيا حيا لدى الكتاب ، لم ينل منه ثقافاتهم الاوروبية أو قراءاتهم لنماذج ملحدة فى الفن الروائى .

هناك روايات تعرض الاهتمام بالاولياء ومدى ما يظهره الله على ايديهم من كرامات وما يشيع لدى العامة من الاحتفال بالمولد .. الخ . ما هنالك من مظاهر تشيع وتنتشر فى الريف ودلالتها تتمثل فى تعلق الريفى بالدين وايمانه بربه ، وكثيرا ما تصور الرواية شخصياتها يرددون آيات من القرآن الكريم ، أو يستشهدون بها ، نرى ذلك لدى فتحى رضوان فى قصته (محام صغير) ، ونجيب محفوظ فى كل من : خان الخليلى ، وميرامار ، ومحمد عبد الحليم عبد الله فى سكون العاصفة ، كما تستخدم شخصية احمد عاكف فى رواية خان الخليلى آراء اخوان الصفا ، وتتردد ألفاظ الصوفية كثيرا فى رواية الباحث عن الحقيقة لمحمد عبد الحليم عبد الله ، كما تصور رواية خان الخليلى احتفال البيئات الشعبية بقدوم المناسبات والمواسم الدينية ، كذلك استقبال الاسرة المصرية لقدوم شهر رمضان المبارك ، ويقدس الكبار والصغار ذكرى الشخصيات الاسلامية وخصوصا من يمت الى الرسول صلى الله عليه وسلم بصلة القربى ، ويصور الكاتب شخصية الحسين ذات قيمة كبرى فى أعماق سكان الحى فيرد ذكره فى قصة (زقاق المدق) محاطا بالجلال وشغلت معرفة الله سبحانه وتعالى كثيرا من ابطال الروايات ، مثلما نجد فى قصة : (محام صغير لفتحى رضوان) ، وللزمن بقية والباحث عن الحقيقة ، وكلتاهما لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وفى هذه الرواية الاخيرة يتناول الكاتب شخصية الصحابى الجليل سلمان الفارسى ، وكيف احتج على عبادة المجوسية فغادرها الى النصرانية ثم الى الاسلام .

وهناك نوع ثالث من الروايات والقصص ظهر اهتمامه بالقيم من خلال نقده لكثير من العيوب والمفاسد أو تنبيهه الى ما يطرأ على المجتمع من انحراف أو اعوجاج ، وكان من أبرز هذه الموضوعات موضوع الحرب العالمية الثانية ، وما قامت به من تشويه لكثير من القيم فى مختلف المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا العربية، وقد حفلت هذه القضية باهتمام كثير من الروايات فتناولها نجيب محفوظ مرارا ، وكان أبرز صور هذا التناول ما قدمه فى روايته : (زقاق المدق) ، كما تضمن هذا الجانب أيضا لحظة الانبهار التى أصابت بعض أفراد الجيل اعجابا وشغفا وتعصبا للحضارة الطارئة التى أحدثت دويا هائلا فى رؤوس بعض الناس فمادت الارض من تحت أقدامهم ، وفقدوا صلتهم بواقعهم وتاريخهم ودينهم ، وفى هذا المجال يبين الدكتور طه حسين ، سبب تغير بعض القيم قائلا : « فاحمل هذا كله غير متردد ولا متهيب على هذه الحضارة الطارئة ، التى غزتنا ، فكانت بعيدة الاثر فى حياتنا المادية والاقتصادية والادبية ومع ذلك تهافت الناس عليها تهافتا عنيفا وهم لا يشعرون » .

ولا يعنى تعليق الدكتور طه حسين هنا الوقوف ضد تفاعل الشعوب مع

الحضارات المتقدمة ، ولكنه يعني الاحتفاظ بالذات ويعارض الذوبان والتقهقر والتلاشي امام ثقافات العصر . ويذكرنا هذا بقضية هامة اثيرت عام ١٩٦٩ ، فلقد عقد اجتماع في مقر منظمة اليونسكو في التاسع والعشرين من مايو (آيار) حتى الثالث من يونيو (حزيران) عام ١٩٦٩ . واشترك في هذا الاجتماع ممثلو البلاد العربية التالية : الجزائر ، السعودية ، العراق ، لبنان ، المغرب ، مصر ، السودان ، سوريا ، تونس . وحضر الاجتماع بعض المستشرقين ومنهم :

جاك بيرك عن فرنسا ، و ج. شاربا توف عن الاتحاد السوفيتي ، و ج. ا. فون جرونباوم — عن امريكا ..

وناقش الاجتماع اصالة الفكر والادب والفن العربي في المائة عام الاخيرة ومغزى هذا الفكر والفن لدى العرب انفسهم ، ومدى مساهمته في الحضارة الحديثة .

وقد تركزت المناقشات في اربع نقاط اساسية هي :

١ — مفهوم الثقافة العربية المعاصرة .

٢ — التطور والتكيف في هذه الثقافة .

٣ — التطور والتحول في هذه الثقافة .

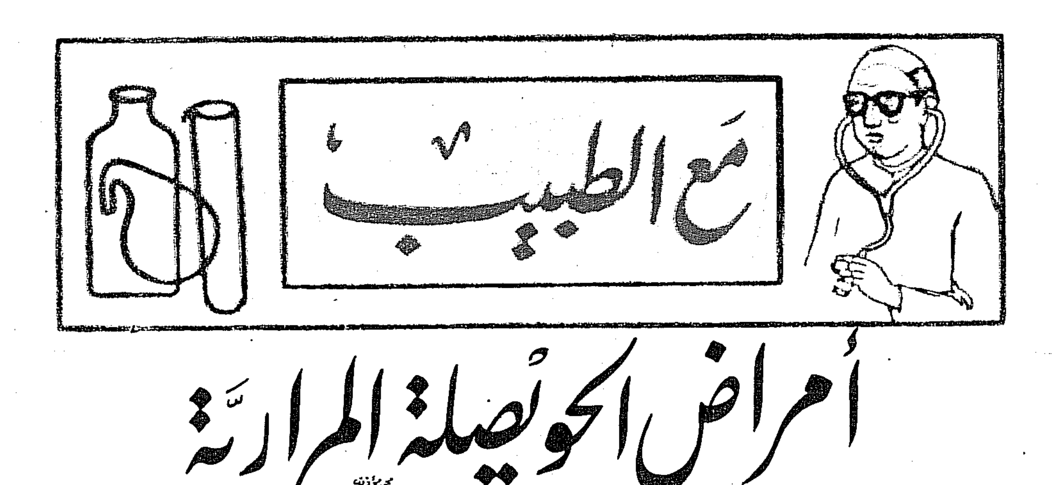
٤ — الثقافة العربية والحضارة العالمية .

ويهمنا في هذا الامر النتيجة التي خرج بها المجتمعون ، لقد خرجوا بهذه النتيجة الخطيرة وهي أن الثقافة العربية المعاصرة لا تحتل المكان اللائق بها في عالم اليوم .

وهذه النتيجة هي سر انتشار موجة الادب الالحادي المترجم بشكل وحشي والمنتشر بغزارة بين أيدي قراء العربية ، وهو نفسه سر تقوقع وتقلص وانكماش المحاولات الجادة المؤمنة الواعية التي قدمت في شكل اعمال روائية ، او مسرحية من كتاب مسلمين ، لكنها لم تتحرك الا في اطار دائرة ضيقة وقصرت عن التحليق في الآفاق العالمية ، لأنها لم تقدر لها اجنحة الترجمة والتعريف الدولي كما لم يتح لها التعريف على المستوى المحلي بالقدر الكافي ، وتلك جريمة يرتكبها النقد الادبي عن عمد او جهل او تجاهل . فكثير من هذه الاعمال العظيمة — لم يلتفت اليها النقاد . ولم يلقوا اليها بالا ، وحين يقوم الباحثون باعداد (بيليو جرافيات) روائية يغفلون كثيرا من هذه الروايات ولا يعدونها من الاعمال الفنية .

ان القضية قضية دعم ومساندة وتأييد واحتفاء ، وهذه واجبات مقدسة على المختصين ان يطمئنوا الى تحقيقها في مجال النشر والترجمة والتوزيع ، وعلى اصحاب الاقلام الامينة في مجال النقد ان يحيطوا هذه الاعمال بأنفاس الحنان الدافئة ولمسات التشجيع الرقيقة ، واساليب التوجيه الراشدة البناءة الهادفة تحقيقا لهدفين ساميين هما :

الفن ، والخلق الاسلامي القويم .



أمراض الحويصلة المرارية

للدكتور — محمد ابو شوك

اردت بمقالى هذا ان القى الضوء على الامراض التى تصيب الحويصلة المرارية (المرارة) لأنه طالما سئلت عن هذه الامراض سواء فى ذلك من مرضى أو من أصحاء — ولعل ذلك يرجع لانتشار هذه الامراض التى تصيب الرجال والنساء على حد سواء .

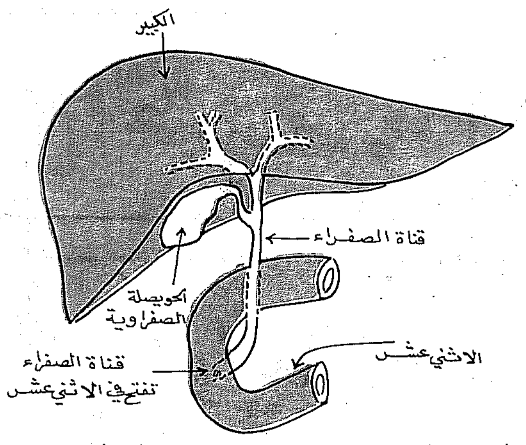
وتتوالى الاسئلة : ما هى الحويصلة المرارية ؟ وما وظيفتها ؟ وكيف يعيش الانسان بدونها بعد استئصالها ؟ ومتى ولماذا ينصح الاطباء بعمل هذه العملية ؟ وهل هناك مضاعفات لمثل هذه العملية ؟ وغير ذلك من الاسئلة العديدة .

الحويصلة المرارية :

هى عبارة عن كيس يقع فى الجزء السفلى من الكبد فى الجهة اليمنى فى أعلى البطن . هذا الكيس يتصل بالقناة المرارية الرئيسية بواسطة أنبوب صغير يحمل المادة الصفراوية من الكبد لتخزن فى الحويصلة فتتركز هناك ، وتبقى لحين الحاجة اليها عند تناول الوجبات ، خصوصا الدهنية منها — عندها تنقبض المرارة وتفرغ ما بها الى الامعاء لتساعد على عملية هضم هذه المواد الدهنية . من هذا يتضح أن العمل الرئيسى للمرارة هو خزن المادة الصفراوية وتركيزها ثم دفعها الى الأمعاء لتساعد على هضم المواد الدهنية . وبعد عملية الاستئصال يفقد الجسم هذا المخزن — وتنزل المادة الصفراوية الى الامعاء (والتى يبلغ حجمها حوالى لتر يوميا ١٠٠٠ سم٣) دون ما خزن — لذا لا يتأثر هضم المواد الدهنية — ولفقدان هذا المخزن يجد من استؤصلت مرارته صعوبة فى هضم كميات كبيرة من المواد الدهنية التى كانت تحتاج الى ما اختزن من المادة الصفراوية فى الحويصلة المرارية . لذا كانت النصيحة لهؤلاء المرضى بالحد من تناول هذه الكميات الضخمة من الاطعمة الدسمة .

الالتهاب الحاد :

ان أهم الامراض التى تصيب الحويصلة الصفراوية هى الالتهاب الحاد ، وتصيب فى معظم الحالات السيدات اللاتى يتمتعن بوزن ثقيل ، بعد سن الاربعين ، وقد أنجبن أطفالا عدة — ولكن ليس معنى ذلك أن الرجال معصومون من هذا المرض — فكل سن معرض له — فلا غرابة اذن فى أن تصاب فتاة فى سن العشرين



أو رجل فى مثل سنها .

وتظهر الاعراض فجـأة ويحس المصاب بألم شديد ومستمر — يزداد قسوة بين الحين والحين ، ويكون فى المنطقة العلوية اليمنى من البطن — تحت الضلوع ، وينتشر الى منطقة المعدة ، والى الظهر ، وفى بعض الحالات الى منطقة الكتف الايمن — ويصحب هذا الالم غثيان — وقىء ربما يكون لونه أصفر وذا مرارة شديدة — وهذه هى المادة الصفراوية — وتزداد حدة المرض ويشعر المصاب بقشعريرة وترتفع درجة حرارته .

وفى بعض الاحيان تنتفخ البطن لتجمع الغازات بها ، ويحدث امساك واذا حدث انسداد فى مجرى الصفراء ، ظهر صفار فى بياض العين ، وتغير لون البول الى أصفر داكن — ويحمل الالم الشديد المريض الى طبيبه ، ونصيحتى أن يكون ذلك فى أسرع وقت ممكن ، اذ أنه لو ترك الالتهاب وشأنه فقد تحدث المضاعفات منها انتفاخ الحويصلة وانسداد قناتها مع امتلائها بصديد ربما أدى الى انفجارها ، فتسبب الالتهاب الحاد فى تجويف البطن ، أو أن يمتد الالتهاب الى الكبد . وكلما كان العلاج مبكرا كلما كانت الاستجابة اليه سريعة ومفيدة اذا لم تحدث مضاعفات .

وعلاج مثل هذه الحالة هو أن يستريح المريض فى فراشه ، ويعطى سوائل خفيفة معظمها من عصير الفاكهة المحلى بالسكر ، وعندما تتحسن حالته يتناول كمية قليلة من الأرز المسلوق — وصدر دجاجة مسلوقة — وفى حالات الالم يعطى المسكنات حسب راى الطبيب — والأهم من ذلك هو المضادات الحيوية التى ساعدت كثيرا على شفاء هذا المرض — وتعطى حسب رأى الطبيب (البنسلين ومشتقاته الاستريتومييسين وغير ذلك من المضادات الحيوية) ، وأرجو أن ان يستمع المريض لطبيبه فيأخذ العلاج الكافى والمدة الكافية للراحة ، فلقد واجهت كثيرا من أولئك الذين يتحمسون لترك الفراش والتوقف عن العلاج رغم نصح الطبيب لهم — قابلتهم وقد عاودهم المرض أشد مما كان — أو بعد حدوث مضاعفات لهم .

والفحص بعد الشفاء من النوبة الحادة هام جدا بما فى ذلك عمل اشعة على المرارة اذ ربما يكون بها حصى يساعد على هذا الالتهاب من آن الى آخر — أو أن المرارة أصبحت لا تقوم بوظيفتها وأصبحت بؤرة للالتهاب المزمن .

التهاب المرارة المزمن :

وهذا يحدث بعد الالتهاب الحاد اذا لم يعالج العلاج الناجع ، وترك الميكروب الذى أثر على المرارة دون أن يقضى عليه — فتعترض المريض نوبات حادة تتبع نشاط هذه الميكروبات — يزيد فى حدوثها اذا كان الغشاء المخاطى المبطن للمرارة ليس فى حالة جيدة أو ان هناك انسداد يعترى انبوب الحويصلة من آن الى آخر — أو وجود حصى فى المرارة — أو ضعف فى عضلاتها فلا تنقبض انقباضا كافيا يفرغ ما بها من المادة الصفراوية ، كما هو معروف عند الاطباء والمرضى « بكسل المرارة » ويحدث ايضا الالتهاب المزمن بعد اصابة المريض بالحمى التيفودية . فاذا ذهب المكروب الى المرارة اختزن بها وسبب بها التهابا مزمنا ويبقى الميكروب بها لسنين عدة ينزل مع الصفراء الى المعا ويخرج مع البراز ويكون المريض حاملا للميكروب الذى يسبب العدوى لكثير من الناس وخصوصا لو كان حامل هذا الميكروب يعمل فى حقل التغذية كطباخ مثلا .

ويشكو المصاب بالتهاب الحويصلة المزمن من عسر فى الهضم والاحساس دائما بامتلاء المعدة — وتزداد هذه الاعراض اذا تناول المصاب موادا دهنية وتكثر الغازات فى البطن — ويعتريه امساك مزمن — يتخلله اسهال فى بعض الاحيان .

هذا النوع من الالتهاب « كسل المرارة » والذى لا يكون مصحوبا بوجود حصى فى المرارة يمكن أن يتحسن اذا ما قلل المريض من الاطعمة الغنية بالمواد الدهنية — وقلل من وزنه اذا كان من أصحاب السمنة المفرطة ، وأخذ ما ينشط المرارة ويجعلها تنقبض بصورة أقوى وتفرغ ما فيها : مثل كبريتات المغنيسيوم والتى تكون المزيج المعروف « بالمزيج الابيض » أو اقراص فاريكوليت وغيرها كثير .

واذا كان ممن يكرهون تعاطى الدواء فليأخذ ملعقة كبيرة من زيت الزيتون فى المساء فانها منشطة قوية للمرارة .

أما اذا صحب هذا الكسل نوبات التهاب حادة فيعاد اعطاء المضادات الحيوية — وتختبر قوة انقباض المرارة من آن الى آخر ، فاذا كثرت النوبات الحادة رغم العلاجات الصحيحة الكافية وازداد ضعف المرارة — واصبحت لا تقوم بوظائفها كما يجب — بل على العكس أصبحت مصدر تعب دائم للمريض فيستحسن ازالتها .

حصى المرارة :

وهذا يتكون فى الحويصلة نتيجة لالتهاب مزمن بها ، مما يؤدى الى تهتك فى الغشاء المخاطى فيجعله أرضا خصبة لترسب الاملاح الموجودة فى الصفراء ، وتساعد الميكروبات على حدوث ذلك وتضع نواة لهذه الحصى فتكبر وتكبر بمرور الوقت — أو يكثر عددها — ففى بعض الحالات تكون الحصى كبيرة حتى تملأ الحويصلة أو تكون هناك حصاتان أو ثلاث كبيرات — وفى الحالات الاخرى تبقى صغيرة وتكون عشرات وعشرات تملأ الكيس : —

وهناك انواع ثلاث من الحصى :

أ — حصى تتكون من مادة الكوليسترول وهى نتيجة لاضطراب فى نسبة الكوليسترول الى الصفراء — فاذا زادت النسبة كثيرا ترسب الكوليسترول وتجمع على هيئة حصى .

ب — حصى مختلط : أى يتكون من أملاح عدة هى الكوليسترول

الحويصلة الصفراوية وقناتها

والكالسيوم والصفراء وغيرها ـ وهى كثيرة الحدوث وتكون دائما نتيجة لالتهاب مزمن بالمرارة .

ج ـ حصى ناتجة من تكسر الكرات الدموية الحمراء بكثرة وهذه تصحب أمراض الكرات الدموية الحمراء ونوع من فقر الدم ناتج من هذا التكسر الشديد المتكرر ـ كما هو الحال فى فقر الدم المنجلى .

ولقد وجد من الاحصاءات أن نسبة المصابين بحصى المرارة هى من ٥ ـ ١٠ ٪ وتصاب الأناث خمسة أضعاف الرجال .

والمرارة التى بها حصى غير سليمة وننصح نحن الاطباء دائما بازالتها اذ أنها تكون بؤرة مزمنة للالتهاب . يحس صاحبها دائما بآلام تعتريه لا فى منطقة المرارة فحسب بل فى مفاصل الجسم وأجزاء عدة منه زيادة على الاعراض التى ذكرتها فى كسل المرارة . والحصى فى المرارة لا يرجى نزوله كما هو الحال فى حصى الكلى والحالب ـ بل على العكس يزداد عددا وحجما . اذن فليس هناك أمل فى الانتظار لينزل الحصى أو ليتخلص الانسان منه بأى وسيلة ـ ثم لا يوجد علاج لذوبان أو ازالة حصى المرارة حتى يتريث المريض ويؤجل العملية .

والحصى فى المرارة يسبب مضاعفات عدة ربما كانت فى بعض الحالات خطيرة ، فربما تحركت احدى الحبات الصغيرة وذهبت وسدت القناة الصفراوية مسببة مغصا شديدا ويرقانا فى الجسم ، بما فى ذلك اصفرار بياض العين ، مع تلون البول باللون الاصفر الداكن واذا حدث التهاب نتيجة لهذا الانسداد أحدثت رجفة للمريض مع قىء شديد ـ وتتحرك هذه الحصوات على فترات متقطعة تكون النوبات التى ربما سببت انسدادا مؤقتا فى قنوات الكبد الصغيرة ، مسببة تليفا فى الكبد ، خصوصا اذا طالت مدة الانسداد المرارى واذا تعسر اجراء العملية ربما سببت هبوطا فى عمل الكبد وما يكتنف ذلك من أخطار ربما أودت بحياة المريض .

والحصوات اذا ذهبت الى القناة المرارية الرئيسية ربما سدت قناة البنكرياس ـ وحدث ذلك المرض الخطير وهو التهاب البنكرياس الحاد واذا قدر للحصاة أن تترك القناة المرارية وتذهب الى الامعاء الدقيقة ربما سببت فى بعض الحالات انسدادا فى الامعاء وما يصحب ذلك من انتفاخ فى البطن وقىء شديد . ولا بد من اجراء العملية لازالة الحصاة ، التى سببت الانسداد .

ومن هذا يتضح جليا لماذا يصر الاطباء على اجراء العملية اذا كان هناك حصى فى المرارة لتعرض

المريض للمضاعفات ولخطورة هذه المضاعفات .

على أن هناك من المرضى من يستثنون من اجراء العملية وهم أولئك المسنون الذين لا يقوون على تحمل العملية — والذين لا يشكون من آلام أو اعراض الانسداد المرارى — فهؤلاء يتركون وشأنهم وتحت المراقبة الطبية للتدخل الجراحى اذا لزم الامر . فلقد وجد أن هناك بعض الاشخاص تكتشف فيهم الحصى فى المرارة عفوا عند عمل أشعة لهم دون أن يشكو من أى أعراض طوال حياتهم .

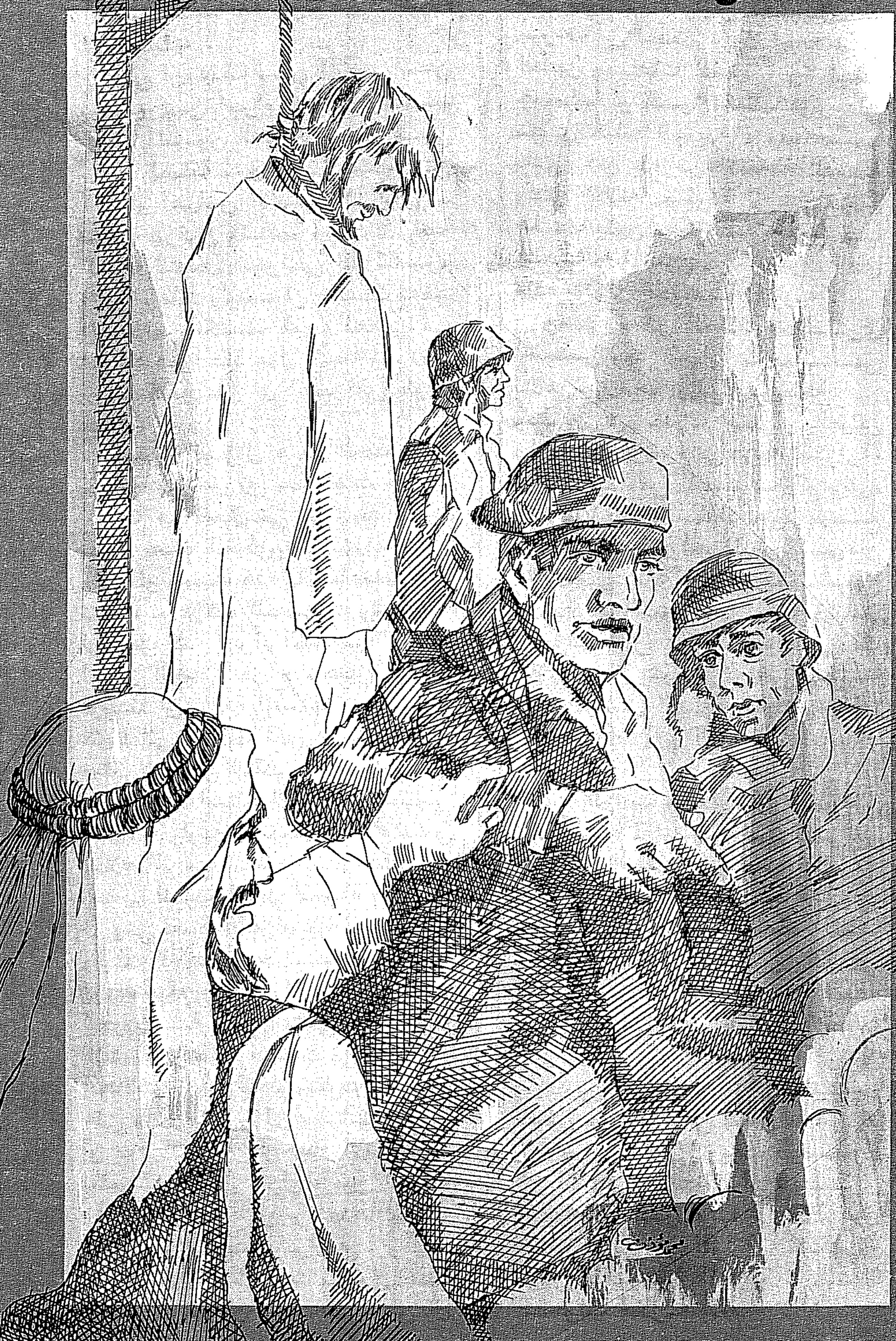
ويكون السؤال هل للعملية خطورة ؟ وهل من مضاعفات ؟ .

كما هو الحال فى كل عملية كبيرة تكون هناك الخطورة والمضاعفات ، ولكن لو قيست هذه بالمضاعفات التى تحدث لو تركت الحصوات وشأنها لرجحت كفة اجراء العملية ، واذا اجرى العملية جراح مختص قدير لوجدنا أن نسبة المضاعفات تقل كثيرا الى حد أنها تكون طفيفة جدا . فمثلا لا بد من التأكد بأنه لم تترك أى حصاة بعد استئصال المرارة فى القناة المرارية الرئيسية سواء فى اعلاها أو فى اسفلها اذ أن ذلك يسبب انسدادا بعد العملية يحتاج المريض بعدها لاجراء عملية أخرى — وكذلك التأكد من عدم وجود ميكروبات أو القضاء عليها بواسطة المضادات الحيوية حتى لا يتعرض الجرح للالتهاب وتجمع الصديد فى مثل هذه الحالات . على أنه لو سارت الامور على ما يرام دون أى مضاعفات أثناء أو بعد العملية فان مدة الاقامة بالمستشفى تتراوح بين أسبوع واثنين ، يخرج المريض بعدها ليواجه حياة دون حويصلة مرارية . وفى معظم الحالات لا يحدث ما يعكر صفو حياته شريطة أن يأخذ التدرج فى كل عمل يقوم به ، وليكن معتدلا : لا اسراف فى الطعام ، ولا اطالة فى السهر وساعات العمل ، ولا اجهاد جسمانيا أو نفسيا ، فكلها تؤثر على مجرى حياته الجديدة . وليبتعد بادىء ذى بدء عن الاطعمة الدسمة ولتكن أكلاته مسلوقة أو شواء فان هضمها يكون سهلا عليه ، دون ما حاجة الى المختزن من الصفراء الذى فقده بفقدان الحويصلة المرارية .

وفى بعض الحالات تعترى الشخص بعد العملية ما يسمى بالاعراض بعد ازالة الحويصلة وتتلخص فى حدوث اصفرار بالعينين والجلد مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وربما رجفة فى الجسم مع الم وقىء وهناك احتمال انسداد جديد مع التهاب فى القنوات المرارية سرعان ما تتحسن حالة المريض بالعلاج بالمضادات الحيوية مع الراحة وتناول السوائل لفترة يومين . ومعنى ذلك أنه يجب أن يفحص المريض فحصا دقيقا لاحتمال انسداد جديد والتدخل الجراحى اذا لزم الامر .

من الواضح اذن أن أمراض الحويصلة المرارية من الامراض المنتشرة ، ولكن ليس معنى ذلك أن كل من يشكو من الم فى منطقة المرارة أن يكون مصابا بها ففى هذه المنطقة تقع الاثنى عشر والقولون والكلى اليمنى والكبد — وربما تكون هذه مصابة بمرض ، وما أكثر الاخطار التى يتعرض لها الاطباء والمرضى ويعتبرون أن الألم فى المنطقة اليمنى من أعلى البطن ما هو الا « مرض بالمرارة » ويجب للوصول الى التشخيص الدقيق أن تجرى الفحوصات اللازمة بما فى ذلك عمل أشعة ملونة على المرارة ، للتأكد من مرض الحويصلة المرارية ، واتخاذ الخطوات اللازمة للعلاج .

قصـــة من جدة



وفوجئ الناس بالمشانق

للأستاذ محمد المجذوب

وقعت احداث هذه القصة في اواخر القرن الثالث عشر الهجرى ، وفى مدينة جدة بالذات . . .

كان الهدوء يغلب على كل شىء . . الناس والاشياء على السواء ، حتى الميناء الذى يستقبل العديد من السفن الشراعية ، والقليل من المراكب البخارية التى لم تكن قد انتشرت كثيرا بعد ، لا يزال محافظا على وقاره الذى ورثه عن الاجيال الغابرة . . فالبضائع التى ترد من مختلف الانحاء ، تحملها الروافع الحديثة ، وتنقلها الشواحن الضخمة ، فى موكب من ضجيج الآلات ، ما تكاد تشرف على ميناء جدة حتى تجلببها الأناة ، فتنقل من السفن الى المستودعات بأيدى العمال ، وعلى ظهورهم ، ثم ترفع الى متون البغال والحمير والابل ، أو ترص فى العجلات البدائية تجرها هـذه الحيوانات المذللة الى قلب المدينة أو الى خارجها . . دون أن تزعج عابرا ، أو تقلق نائما ، وذلك على الرغم من كل النشاط الذى يستحوذ على الجميع . .

وكانت القناعة هى القدر المشترك الذى يشمل الناس جميعا على اختلاف اعمالهم ومهامهم ، لان الحياة لم تزل محتفظة بأصولها البسيطة ، لم يتسلل اليها الكثير من ذلك التعقيد الذى بدأ يهاجم أوضاع الناس فى العالم الغربى ، فيعرضهم كل يوم لنوع جديد من الحاجات ، كلما أمدهم بضرب حديث من الانتاج الذى تحدثه الآلات . . .

وهكذا كان كل شىء يجرى فى تؤدة لا يمسه التغيير الا قليلا . فالتعليم على طرائقه الموروثة من عهود الحضارة الاسلامية ، أكثر ما يقوم فى المساجد ، حيث تتألف حلقات الشيوخ ذوى الفضائل الخلقية ، التى لم يكن أثرها فى قلوب العامة وسلوكهم أقل عمقا من متونهم وشروحهم . . .

حتى الكتاتيب القليلة التى يديرها بعض المعلمين خارج نطاق المساجد ، لا تختلف عنها من حيث الاتجاه العام ، الذى يجعل القدوة الصالحة غايـــة التعليم ..

ومن هنا كان الطابع الاجتماعى متقارب الالوان فى سلوك الناس ، يستمد كله من ذلك الرافد الخلقى الذى يتلقونه من تلك المناهل ... فهو يطالع الانسان حيثما كان ، وأنى ذهب ، فى البيت ، والسوق ، والمصنع .. وفى كل شىء .. ولعل أكثر ما يكون تألقا فى ذلك التعاون الكريم الذى يجمع الناس كلهم فى رباط من الاخاء الروحى ، الذى لا يهمل فيه محروم ، ولا يضيع فى كنفه بائس .. فاذا شح الماء ، وكثيرا ما كان يشح فى جدة أيامئذ ، تساوى فى التأثر بـــه الفقير والغنى على السواء . واذا اقبل الشتاء بلذعه ولسعه لقى المعسرون من عون الموسرين ما يوفر لهم الدفء والشبع ..

هذا فى الايام العادية ، فاذا جاء رمضان فاضت مواسم الخير من كل جانب ، ولربما انتقل به الفقير من حالة الاخذ الى موقف العطاء ، فيبذل مما بذل له ، وبذلك يشترك الناس جميعا فى صفات المواساة ..

ولم يكن الناس هنا فى معزل عن أنباء العالم وتطوراته ، بل على الضد من ذلك ، فهم عن طريق هذا الميناء القديم قدم البحر الاحمر ، يتلقون أخبار الشرق والغرب ، وكثيرا ما تصـــلهم الصـــحف العربية والتركية الصادرة فى مصر أو الاستانة ، فيقرؤها القارءون ، ثم يتحدثون بما فيهـــا للآخرين ، فاذا مضامينها تنتشر هنا وهناك . وكثيرا ما يحمل الوافدون أو العائدون عن طريق هذا الميناء ما لا تتسع له جداول الصحف من الانباء المتعلقة بمجرى الاحداث فى دولة الخلافة ، أو بمجرى التطورات الكبـــرى فى جوانب العالم ، وبخاصة العالم الغربى ، الـــذى اخذ يتمطى بقوة عجيبة ، فيمتد فى كل اتجاه ، ويكتشف كل يوم جديدا من الغرائب التى لم تمر فى تصورات أحد من قبل ... فاذا جاء موسم الحج انتقلت الدنيا الى جدة ومكة ، وانتقل معها من اخبار هذه الوقائع ما لا مزيد عليه ، مما ينتقل بالروايات الظنية الى دائرة العلم اليقينى ..

وكان فى هاتيك الاحاديث ما يسر الناس ويحزنهم ويثير تطلعاتهم .. ولعل أشدها اثارة لمشاعرهم تلك الاعتداءات الحمقاء التى يشنها الافرنج على بلاد الاسلام فى آسية وأفريقية ، حيث جعلوا يستغلون مكتشفاتهم العلمية فى غزو المسلمين ، واحتلال ديارهم ، دون أن يستطيع هؤلاء لهم دفعا ، على الرغم من بسالتهم التى تضرب بها الامثال ، لان العدو يقاتلهم بسلاح العلم الجديد وبخاصة تلك القذائف الشيطانية التى تدمر كل ما تصيبه عن بعد عشرات الاميال ، وهم يقاتلونه بما ورثوه من سلاح الاجداد ، الذى لا جدوى له الا فى زحمة التلاحم !.

وقد بدؤوا هم ـــ سكان جدة ـــ يلمسون عن كثب بوادر هذا العدوان فى دسائس المبعوثين الدبلوماسيين من الاوروبيين ، الذين يطلقون عليهم كلهم لقب الافرنج .. فهؤلاء الخبثاء الذين جاءوا البلد بحجة الرعاية لمصالح بلادهم التجارية ، ما لبثوا أن أقاموا من أنفسهم شبه حكومة داخل حكومة

البلاد ، اذ جعلوا منازلهم ملاذا لكل خبيث ولكل مجرم ، فاذا تسلل أحد هؤلاء الى داخلها أحيط بالحماية التى تمنعه من كل ملاحقة .. حتى الارقاء قد بدؤوا يجدون فى ظلها ما ينقذهم من كل تبعـة ، ففى وسع أى منهم أن يقتل سيده ، أو ينتهب ماله ، ثم يأوى الى هذه المنازل الاجنبية ، فاذا هو من عاقبة ما صنع فى حصن منيع .. الامر الذى أشاع البلبلة فى وجود الناس وعرض مصالحهم للخطر ، فبات ينذر بأسوأ العواقب .. وها هى ذى أنباء الطائف التى يحملها المسافرون تؤكد أن فريقا من البدو ، الذين نكبوا بفرار عبيدهم الى منازل هؤلاء الفرنج لم يتمالكوا أن شنوا الغارة على سكانها ، فراحوا يصلونها نارا حامية من بنادقهم ذات الطلقة الواحدة ، ثم لم يعودوا الا بعد أن استردوا ما وجدوه من عبيدهم ، وسجلوا عددا من الاصابات فى أجساد اولئك المحرضين لهم على الفرار . وهى لا شك فتنة من شأنها أن تجر الى فتن ، لان كثيرين مستعدون لشن مثل هـذه الغارات على أولئك الاشرار ، غير عابئين بما تجر وراءها من كوارث تتجاوز عواقبها كل تقدير ، اذ تكون حجـة صالحة لتلك الدول العدوة ، تعطيها فرصا جديدة لزيادة المتاعب التى تعانيها دولة الخلافة .. وهذا ما يبعث القلق فى نفوس العقلاء ، اذ يخشون أن يرتفع ضغط الالم فى نفوس العامة الى حد الانفجار ، فينفسون عن صدورهم بألوان من الانتقام لا تلبث أن تعدو دائرة بيئتهم المحلية الى المستوى العالمـى .. ولذلك فهم دائبون فى نصح الناس ، وتحذيرهم من التسرع الذى لا تحمد عقباه .

ومما يضاعف قلق هؤلاء العقلاء ما يعلمونه وما يرونه من اضطراب الاوضاع العامة فى أنحاء هذه الدولة الاسلامية كلها من أقصى الهنـد الى أقصى البلقان .. فقد استشرت دسائس الصليبية فى معظم هذه الشعوب التى تحكمها ، فهى تحرضها ليل نهار على الانتفاض واشعال الثـورات ، وتمدها من أجل ذلك بكل وسائل التخريب ، ثم تعمد الى التآمر فيما بينهـا فتدفع الشرق الى انتقاص أطرافها ، وتحرك عليها كل ذى طموح من ذئاب الغرب ، ثم توقد نيران الفتن الطائفية هنا وهناك . لتضطر الى مهادنة هؤلاء وأولئك من أعدائها . وبذلك أصبحت نهبا لمختلف التيارات تهب عليها من كل مكان ، فلا تعرف كيف تصدها ، ولا تكاد تعرف المصدر الذى يمدها .. حتى طمع بها من لم يكن يستطيع الدفع عن نفسه !.

وقد كان ذلك كله محتملا بنظر هؤلاء العقلاء ، لو سلمت الصفوف الداخلية من أسباب الفرقة والشـحناء ، ولكن ... أين هذه السلامة ، والبادية ملتهبة بجاهليتها الجـديدة ، والثغور العربية مرتـع خصب للدسائس الرهيبة ، وحتى جهاز الحكم نفسه فى هذه الديار لا يخلو من التنافس الصغير ، الذى لا يقيم وزنا للآلام الكبيرة ، التى تقاسيها الامة .. وها هم أولاء أشراف مكـة وحكامها الاتراك على خلاف مستمر ، يختفى حينا ويبرز أحيانا ، وقد انقسم السكان أنفسهم الى أنصار لهؤلاء وأعوان لاولئك .. حتى كادت تنطمس معالم العدالة ، فلا يطمح ضعيف الى حق ، ولا ييأس قوى من باطل ...

وأطل (بومباى) من بعيد يتهادى على اثباج اليم ، وقد لاح لصاحبه

(با سعيد) كطائر الماء يرف بجناحيه باحثا عن الفريسة ، ثم ما يزال يتضح ويكبر ، حتى اذا شارف الميناء بدا كاحدى هذه القلاع التركية الناهضة على قمم المرتفعات لحراسة الطرق ، وتأمين سبل القوافل ..

وبا سعيد هذا تاجر حضرمى لزم هذه البلاد منذ طفولته ، وقد بدأ حياته العملية مستخدما صغيرا لــدى أحد تجار جدة ، فما ان بلغ سن الشباب حتى بات مؤهلا للاستقلال بعمل تجارى صغير ، ما زال يكبر ويتسع حتى أمسى فى مقدمة المتاجر ، التى لا تكتفى بتصريف السلع المحلية وما اليها من الاشياء الصغيرة ، بل تمتد حتى تصل ما بين بومباى وجدة ... وها هوذا مركبه الهندى الضخم يحمل اليه اليوم ما خف وغلا مــن منتوجات تلك البلاد ...

دخل (بومباى) ميناء جدة تحت العلم البريطانى ، اذ كان با سعيد قد اشتراه من ذلك الثغر الهندى ، وسجله على اسمه هناك .. وما كان له مندوحة من أن يرفع على ساريته السامقة تلك الراية التى لا أجدر منها باكسابه الحماية أثناء رحلته الطويلة .. ولكن كان ضيق الصدر جدا بهذه الخرقة شديدة البغض لاهلها ، لانه عميق الايمان بأن معظم الكوارث التى ألمت وتلم بالمسلمين ، حتى ساعته تلك ، انما هى وليدة مؤامرات هذه الدولة الباغية ، التى لا تنفك حاملة لــواء الغدر والعداء لامة محمد ، منذ عهد ذلك الصليبى المتعصب ريتشارد الى يوم الناس هــذا ... ومما يزيد فى حقده على هذه الراية وأهلها ما يشاهده ، اثناء سفراته الكثيرة فى بلاد المسلمين ، من طغيان الانجليز ودسائسهم وكيدهم لاهل الاسلام ، فيمتلىء يقينا بأن ما يلمسه من حاضرهم المشئوم هــذا انما هو امتداد لذلك الماضى الملعون الذى سجله آباؤهم أثناء عدوانهم على ديار المسلمين فى حروبهم الصليبية المتوحشة ، مما لا يستطيع نسيانه ، ولم تبارح أشباحه مخيلته ، منذ أن طالع أخباره فى بعض كتب التاريخ ...

ولبث با سعيد يراقب مركبه العزيز من على رصيف الميناء حتى ألقى مراسيه على مبعدة قليلة ، وهناك وثب الى قارب « التجريم » الذى سبح للاتصال بــه ، وما ان داناه حتى قفز اليه .. ولم ينس أن يوجــه الى بحارته تحية جامعة وهو يأخذ طريقه باتجاه السارية الكبرى . وبمثل رشاقة البحار المحترف جعل يحل عقدة الحبل المتصل بالراية ، ثم يسحبها ، حتى اذا صارت فى متناول يده شرع يفك أربطتها بعصبية بالغة ، ثم يقذف بها الى ظهر السفينة ، وبسرعة فتح الكيس الذى يحمله ، واستخرج منه العلم العثمانى فعلقه مكانها ،وجعل يشد به الى الاعلى ، حتى اطمأن الى احتلاله المكان المناسب ... ومن هناك ألقى عليه نظرة ابتهاج تمازجها بسمة الانتصار وهو يخفق فــى اعتزاز ... ومن ثم عاد الى بحارتــه يصافحهم واحدا واحدا ، ويسألهم عن صحتهم ورحلتهم ، مهنئا اياهم بسلامة الوصول ...

كان المبعوث الانجليزى جالسا مع مدعويه من قناصل الدول الاجنبية فى شرفة داره المطلة على الميناء عندما طالعهم بومباى من أبعاد الافق ... وأخذ بعضهم يحدق اليه بالمنظار المكبر ليستطلع هويته ، ولكن لم يستطع

البت بشأنها ، فناوله جارا له ، ولكن هذا أيضا لم يتمكن من تحديدها . . . وهكذا جعلوا يتداولون المنظار حتى اقترب المركب الى المدى المساعد ، فلم يبق لديهم شك فى جنسية العلم . ولاحظ الانجليزى حركة انزاله من خلال المنظار ثم استبدال العلم العثمانى به ، فلم يتمالك أن يقفز من مكانه كأن جمرة لذعته .. وراح يرطن بالسباب والشتائم ، ثم ينطلق دون استئذان من زملائه الى عربته فيصرخ بحوذيه العربى ، ثم يأمره بالاتجاه الى قلب الميناء . . . وما هى الا فترة وجيزة حتى كان على ظهر المركب ، وهناك جعل يشق الطريق بين البضائع والملاحين دون كلام حتى انتهى الى السارية وأخذ يسحب حبل العلم حتى استقر فى يده ، ولم يكتف بتمزيقه وطرحه على الارض ، بل راح يدوسه ويركله فى فورة جنونية ، ثم أعاد العلم الانجليزى الى مكانه ، حتى اذا استقر فى أعلى السارية تراجع الى الوراء قليلا ، ثم أخذ له التحية فى وضع عسكرى صارم .. ومن ثم استدار ليعود الى البر ، حيث امتطى عربته فى الطريق الى البيت .. واتجه الى مقعده بين الزمـــلاء فى صمت مثير ، وقد ارتسمت على محياه الشديد البياض ، وفى عينيه الحادتى الزرقة ، بوارق تترجم عما يختلج فى أعماقه من مشاعر الزهو ، كالمصارع المنتصر بعد جولة مرهقـــة . . .

ولم ير القناصل حاجـــة لسؤال زميلهم عما حدث ، اذ كانوا قد شاهدوا نزول العلم البريطانى .. وشاهدوه حين رفعه . . . ولا شك أنهم معجبون بجرأته وغيرته على كرامة دولته ، وان كانوا يرون أن الطريق الى حفظ الكرامة لم يكن محصورا بهذا التصرف الاخرق ، بل كان خيرا منه أن يتصل بممثل الحكومة العثمانية فى جدة فيحتج لديه ، وينذر بوجوب الاسراع لاصلاح الوضع . . . على أنهم جميعا واثقون أنه لن يكون لهـــذا العمل أى رد فعل ، لانهم مدركون أن دولهم ، الناهضة المتيقظـــة الدائبة على اضعاف دولة الخلافة ، لن تدع لهـــذه أية فرصة للاحتجاج فضلا عن الانتقـــام .

وأنى للرجل المريض — وهو بنظرهم هذه الدولة — أن يفكر بالانتقام أو الثأر لايـــة مهانة توجه اليه ، بعد أن فقد كل قدرة على التحرك ، ولم يعد يجد سبيلا للدفاع عن نفسه الا بالاعتماد على هـــذه أو تلك من دولهم نفسها . . . بعد أن بلغ من القوة ذات يوم ما مكنه من تهديد العالم الغربى كله ، وأعطاه الحق أن يخاطب أعظم أباطرتهم باللهجـــة التى يخاطب بها أصغر خدمه ! . . .

وشاء الله ألا يشاهد با سعيد عمل القنصل الانجليزى ، اذ كان غائبا تلك الساعة عن منطقة الميناء ، لانجاز معاملات السفينة لدى نائب الوالى ، ولكنه ما ان عاد فبصر العلم البغيض يخفق فوق سارية مركبه حتى أدرك كل شىء .. وأقبل عليه البحارة يروون له ما حدث .. ويعتذرون اليه عن سكوتهم بضعف امكاناتهم ، وايثارهم الانتظار ريثما يحضر . . .

وطار صواب با سعيد حين علم بمصير الراية العثمانية ، وما أصابها

من الهوان على يد ذلك العلج ، فلم يجد متسعا للتفكير بالذى يجب أن يصنعه ، وأطلق لاعصابه العنان فراح يصرخ بالحمالين والملاحين والموظفين ، يثير غيرتهم ويحرك مروءتهم ... ومضى على وجهه لا يدرى أين يذهب ، ولا ينقطع عن الكلام فى موضوع الجريمة ... ومر ببعض المقاهى ، وقد اكتظت بالعمال والغرباء ، فوقف يخطب فيهم بلهجة لا تنقصها بلاغة التأثير ... : أين الدين ؟ .. أين الشرف ؟.. أين الغيرة ؟..

وسرعان ما سرت عدوى الانفعال فى أعصاب الناس فاذا كل واحد منهم با سعيد . وما هى الا ساعة أو دونها حتى كان جمهور من العامة يقتحم دار المعتدى الانجليزى ، واذا هذا بعد قليل مقيد الرجلين بحبل من الليف المجدول ، يسحب على وجهه فى شوارع جدة ... وتداعت الذكريات المختزنة فى صدور العامة ، وعاودتهم أشباح المآسى التى تنزلها دول هؤلاء الاجانب فى دولة الخلافة ، والدور التجسسى الذى تقوم به جالياتهم فى بلاد المسلمين ، فاذا ثورة عاصفة تجتاح بقايا الوعى فى نفوس العامة فلا تفرق بين انجليزى وفرنسى ويونانى وايطالى و ... واندفعت الجموع كالسيل تفتش عن منازلهم ، وتقصد الى حوانيتهم ... فلا ينجو من غضبتها الا من لاذ بجار من المسلمين أو التجأ الى دار الحكومة ...

وأقبل مساء ذلك اليوم على جدة ... ولا حديث فيها لأحد الا موضوع الانتفاضة التى زلزلت أكنافها ، وصرفت العامة عن حياتهم الرتيبة الهادئة الى هزة لم يعتادوا مثلها من قبل ، ولا يقدرون عواقبها من بعد ...

وكان الناس ، الا أولئك العقلاء ، يستشعرون الرضى عن أحداث يومهم ، اذ أحسوا أنهم لاول مرة يتاح لهم أن يثأروا لدينهم ولدولتهم من هؤلاء الاعداء الذين ما زالوا منذ مئات السنين يجرعونها صنوف الارزاء ..

ومرت الايام .. وكاد الناس ينسون تلك الاحداث ، حتى استيقظوا من غفلتهم ذات صباح على دوى القذائف الرهيب يملأ أسماعهم ، وعلى سحب الدخان تنتشر هنا وهناك من أنحاء بلدهم ...

وتراكض الناس يستطلعون الخبر ، فاذا هم ببارجة انجليزية من الاسطول الهندى ترجم جدة بمقذوفاتها الجهنمية ، فتريهم منها لأول مرة مالم يعرفوه من قبل الا عن طريق السماع .. وكان الرمى مركزا على جوانب معينة من البلد تكاد لا تتجاوز المنطقة التى شهدت ثورة العامة قبل اسبوعين ..

واستمرت المحنة طوال ساعات ، وسقط من جرائها عدد من الابنية ، وعلى الرغم من عدم تمرس الناس بوسائل الوقاية من هذه الرجوم ، فقد أدركوا بفطرتهم ما ينبغى عليهم لحماية أنفسهم ، فلزموا الطبقات السفلى من مساكنهم وبذلك سلمت النفوس ، وقلت الاصابات بين الناس ..

واجتمع مجلس الحكم برئاسة والى مكة لبحث الموقف ، فقر الرأى على ارسال وفد فى قارب يرفع الراية البيضاء ، ويصطحب أحد المترجمين الى مواجهـــة البارجة ، ليقولوا لقائدها : « ان البلد جزء من الدولـــة العثمانية ، وضربه من قبله بمثابة اعلان حرب عليها ، وخير من ذلك احالة الموضوع لمسئولـــى الدولتين .. هذا مع احاطته علما بأن الحكومة المحلية جادة فى ملاحقة الثائرين والمحرضين ...

ونجحت الوفادة ، وكف الضرب عن البلد .. ولكن البارجة ظلت مرابطة تجاه المدينة لمعرفة النتيجة ...

وأخذت المراجعات الدبلوماسية طريقها بين الدولتين ، حتى انتهت الى الاتفاق على تسيير لجنة خاصة من عاصمة الخلافة للتحقيق فـــى الاحداث ، ولاصدار الاحكام الرادعة .. وما هى الا أيام حتى وصلت اللجنة السامية الى مرفأ جدة ، وباشرت التحقيق مع الموقوفين ...

وسلك المحققون مع هؤلاء أسلوب الاغراء ، فأخذوا يطرون غيرتهم ، ويمجدون رجولتهم .. وأكدوا لهم أنهم سيرفعون الى الباب العالى قائمـــة بأسماء الرجال الذين نهضوا بأكبر الاعباء فى نطاق هذه القضية ، لتصرف لهم المكافآت السخية ، والتقديرات الوفية ...

وكان الاسلوب مقنعا وجذابا لعواطف الموقوفين ، فراحوا يتدفقون بالاعترافات المفصلة ، ويعينون أسماء المجلين فى تلك الحلبة ... حتى اذا استوفيت التحقيقات ، صدرت الاحكام التى سبق تقديرها قبل تحرك اللجنة من دار الخلافة ...

وكم كانت الصدمة بالغة عندما فوجىء الناس بالمشانق فى منطقة الميناء ، وقد تدلى منها اثنا عشر من أعيان جدة وعمالها .. كان على رأسهم التاجر الحضرمى الشهيد با سعيد ...

×) تلقينا أصول هذه القصة من فقيد جدة الغالـــى الشيخ محمد نصيف تغمده الله برحمته ورضوانه .

الاثرة ، وحب الذات جانبا ، مستعيذين بالله من الشيطان ، معرضين عن كل ما يؤدى الى الانحراف أو الذبذبة فى العقيدة اذ الانحراف فى العقيدة اضطراب وذبذبة وسبيل جائرة حائرة ، ومرض فى القلوب يملأ الحياة ظلمة ومخاوف ، فالمنحرف فى العقيدة لا يستطيع أن يتخذ لنفسه سبيل طمأنينة .

ومن تأمل قول الله سبحانه وتعالى : ((**فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا**)) تبين له كيف كان الايمان معتصما لصاحبه ، ومشعلا لهدايته ، وثباتا لقدمه ، روت كتب السنة : ((**أن قوما جاءوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يدعون الايمان فقال لهم : أتصبرون عند البلاء قالوا : نعم . قال : اتشكرون عند الرخاء ؟ قالوا : نعم . قال : اتصبرون عند الحرب ، واللقاء ؟ قالوا : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : مؤمنون ورب الكعبة**)) وقال : ((**المؤمن كله منفعة ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة**)) . وقال : ((**عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له**)) . ويقول : ((**المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف**)) .

والايمان تتفق الى الدعوة اليه كل الشرائع ، ويوجه اليه كل الفلاسفة والمفكرين ، وان اختلفت متعلقاته بينهم فقد جاء فى انجيل متى ((**الحق أقول لكم ان كان لكم ايمان ولا تشكون ثم قلتم للجبل انتقل فيكون ، وكل ما تطلبونه مؤمنين تنالون**)) .

ويقول (باكون) أحد العلماء الطبيعيين : ((**والحقائق الدينية لا تظهر لنا باطلة الا لضعف معارفنا**)) ويقول (ايزنهاور) : ((**بغير الايمان بالله والعودة اليه لا تستطيع أن تحيا حكومة**)) وقد قلنا من قبل ان الرسول صلوات الله عليه بين أثر الايمان فى نفوس المؤمنين وصقله لهم فى قوله : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**)) وهذا قول الله تعالى : ((**قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون ..**)) .

اللهم أرزقنا الايمان وحببه الى نفوسنا ، وأهدنا اليه يا رب العالمين ، واجعلنا من المؤمنين العاملين ، وكره الينا الكفر والفسوق يا رب العالمين، وجنبنا الزيغ والانحراف واهد الزائغين الضالين يا رب فان ترحمهم بهدايتك فهم عبادك .

اللهم أدم للقلوب المؤمنة ايمانها ليدوم لها أمنها وهداها ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

الفتاوى

طهارة الثـــوب

السؤال :

هل تجوز الصلاة بالملابس التى تغسل مع ملابس الاطفال .. ؟

أ. م ـــ الكويت

الجواب :

ان طهارة الثوب واجبة للصلاة ، وينبغى على كل مسلم ومسلمة أن يتنزه قدر استطاعته عن القاذروات والنجاسات .. وهذا مظهر المســـلم الــكامل يقول الله تبارك وتعالى : ((وثيابك فطهر)) .

ولا مانع من الصلاة فى الملابس التى تغسل مع ملابس الاطفال على شرط تطهيرها بعد ذلك بالماء الطهور .

والذى نراه أنزه وأفضل عدم الجمع بين ملابس الصغار والكبار . ويغسل كل منهما وحده ما دام هذا لا يؤدى الى الحرج .

انصـــــاف الزوجة ..

السؤال :

يدعى والدى أن زوجتى لا تطيعه وطلب منى طلاقها وأنا أحبها وان طلقتها فلا قدرة لى على الزواج .. فماذا أصنع .. ؟

هاشم الصنعانى ـــ اليمن

الجواب :

قال الله تعالى فى سورة النساء ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شـــيئا وبالوالدين احسانا)) . وقال فى سورة الاسراء ((وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)) . وسئل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن منزلة الوالدين وأجاب الســـائل بقوله : ((هما جنتك ونارك)) . وقد حذر القرآن الاولاد من عقوقهما ورغب فى التودد لهما حتى فى الحالة التى أمرت الشريعة عندها بعصيانهما ، يقول الله تعالى : ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا)) . الا أن الشريعة تلزم المســلم مع ذلك أن يعطى كل ذى حق حقه : فاذا كان للوالدين حق . فكذلك للزوجة حق ، ومن العدل أن تعطى كل ذى حق حقه . وعليك أن تراجع والدك برفق ، وأن تشدد على زوجتك بالنصح ، وهذا هو طريق المؤمنين ، ولا بأس عليك أن تمسك عليك زوجك .

عقم الزوج .. ؟

السؤال :

هل للمرأة أن تطلب الطلاق اذا ثبت أن زوجها عقيم .. ؟

أبو خالد — الاردن

الجواب :

ليس عقم الرجل من العيوب التى يرد بها الزواج ولا يثبت للزوجة بمقتضاه الخيار فى فسخ نكاحه ولو بعد الرفع الى القاضى — كما يرى فقهاء الشافعية . فاذا كانت المرأة لم تعد تطيق عشرة الزوج فان لها أن تختلع منه استنادا الى قول الله تعالى : ((فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)) .. وروى الامام البخارى رضى الله عنه أن أم حبيبة بنت سهل الانصارى جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له : يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أنقم عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى امرأة أكره الكفر فى الاسلام — أى كفران نعمة العشير لأن الزوج لا يخلو من نعمة على الزوجة فلا تقوم بشكرها غالبا فقال لها : ((أتردين عليه حديقته)) ؟ أى بستانه وكان أعطاها اياه مهرا . فقالت : نعم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)) . واستجاب ثابت لحكم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه . وكان هذا هو أول خلع فى الاسلام .

أما اذا قدرت على استمرار العلاقة الزوجية وأحسنت صحبة شريك حياتها ، فانها مأجورة اذ أن ديننا يعتبر من جهاد المرأة حسن تبعلها لزوجها أى قيامها بواجباته والصبر على رعاية شئونه .

وصية لغير وارث

السؤال :

توفى والدى منذ عام بعد أن كتب وصية بمثل نصيب أحد أبنائه الستة لابن عمه فيما تركه ميراثا من عقار ومنقولات وغيرها ، وشهد على تلك الوصية الشهود ومنهم ابنه الاكبر . فما حكم الشرع فى هذه الوصية .. ؟

فهد الجحدرى — السعودية

الجواب :

الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل من باقى التركة بعد أداء الدين جائزة شرعا بدون توقف على اجازة الورثة كما نص عليه فى معتبرات كتب المذاهب الاربعة ، فوصية هذا المتوفي لابن عمه وهو غير وارث بمثل نصيب أحد أبنائه صحيحة نافذة شرعا بدون توقف على أجازة الورثة ، ولمعرفة مقدار هذه الوصية تبين الفريضة أولا بقسمتها على جميع الورثة ، فما أصاب أحد الابناء من الاسهم يزاد على مخرج الفريضة ويكون هو ما يوازى الوصية لابن عم المتوفى وبعد اخراج مقدارها من التركة يقسم الباقى على الورثة ثانيا .

بأقلام القراء

العلم والتعلم

كتب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند تحت هذا العنوان يقول :

يتساوى الناس عند ولادتهم فى خروجهم من بطون أمهاتهم عرايا لا يستر أجسامهم شيء ، كذلك يستوون عندما يفدون على هذه الحياة فى تجردهم من العلم وخلوهم من المعرفة ، لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون شيئا ، ولكن الله الرازق الكريم الذى كساهم من عرى ، وأطعمهم من جوع ، هو العليم الحكيم الذى تفضل على خلقه فأمدهم بالاستعداد والقوى التى تمكنهم من التعلم ، وزودهم بالأدوات والرسائل التى تساعدهم على العلم والمعرفة ، وأنزل لهم الكتب وتعهدهم بالوحى ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وأرسل لهم الرسل هادين ومرشدين ومعلمين ، قال الله سبحانه وتعالى : **((هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفى ضلال مبين))** والوسائل التى زود الله بها الانسان هى السمع والبصر والعقل ، هذه هى المنافذ المفتوحة التى يطل منها على هذا الكون الفسيح ليعرف أسراره ، وهى الأدوات التى يكتسب بواسطتها العلم والمعرفة . لا نعرف دينا كرم العلم ودعا اليه وأشاد بالعلماء ورفع من قدرهم ، مثل ما فعل الاسلام وكتابه الكريم ، فالقرآن يلفت أنظارنا ، ويوجه عقولنا الى أن نسلك كل طريق للعلم ، لأنه الأساس فى بناء العز والمجد وحياة الأمم .

العلم وحده هو الذى يميز به الانسان بين الكفر والايمان ، بين التوحيد والالحاد ، بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، والحسن والقبيح ، والضار والنافع ، .

العلم ضرورى لسعادة الانسان وهناءته ضرورة الهواء لحياته ، والضياء لعينيه ، العلم ضرورى لعزة الأمة وسيادتها ، وعلى قدر نصيبها من العلم يكون نهوضها الحضارى ، ورقيها الصناعى ، وازدهارها التجارى ، واتساعها العمرانى ..

العلم هو الذى يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال قال الله عز وجل : **((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات))** أول خطوة للتعلم هى

معرفة القراءة والكتابة ، ولذلك رفع الاسلام من شأن الكتابة وأعلا قدرها ، وهذه أول آيات نزلت من كتاب الله تعالى قال الله جل شأنه : ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم**)) ، وهذه سورة ((ن)) يقسم العلى الأعلى فيها بالقلم وما يسطرون ، وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه ويدفعهم الى أن يتقنوا الخط ، ويحذقوا الكتابة ، ويهىء لهم سبيلها بكل ما يستطيع ، ففى مكة المكرمة اتخذ دار الأرقم بن الأرقم مدرسة للمسلمين ، ومركزا ثقافيا يلتقى فيه بأصحابه ، ويعلمهم مبادىء الاسلام ، ويأمرهم بكتابة ما نزل عليه من القرآن ، وبعد الهجرة الى المدينة المنورة يقيم مسجده مكانا للعبادة ، ودارا للقضاء ، وساحة للجنود ومركزا للتعليم ، تدرس فيه أسس الاسلام وأحكامه وأهدافه ، وفى غزوة بدر أسر المسلمون ستين مشركا فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتدوا أنفسهم بتعليم أصحابه القراءة والكتابة ، وجعل فداء الأسير تعليم عشرة من أصحابه .

وكان له صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحى ، منهم الأربعة الخلفاء ومعاوية ، وخالد بن الوليد ، وزيد بن ثابت وغيرهم ، وعلى يد هـذه الصفوة المختارة من صحابته عليه الصلاة والسلام تتلمذ المسلمون الذين جاءوا من بعدهم فدرسوا كل علم ، واقتنوا كل فن ، وانتشروا فى مشارق الأرض ومغاربها يعلمون ويؤلفون ويبتكرون ، وكانوا رسل الحضارة وأساتذة الدنيا .

ان العلم خير من المال ، خير من كل الثروات ، خير من كل ما فى الأرض ، وطالب العلم اذا حسنت نيته ، وظهرت استقامته مجاهد فى سبيـل اللـه تعالى ..

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر زيد ابن ثابت بتعلم اللغة السريانية ، قال زيد فتعلمت له كتابة يهودية بالسريانيـة ، وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى ، قال زيد فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكتبت له اليهم وقرأت له كتبهم اليه .

إن التعلم والتعليم روح الاسلام ، وسر بنائه ، وسياج وجوده ومناط عزته وكرامته ، وأن أسلافنا الأماجد سبقوا فى مضمار العلوم والمعارف بدافع من دينهم ، وحافز من كتابهم ، فمن الكتابة على الرق وهو : جلد رقيق ، والكتابة فى الخاف وهى : حجارة بيض رقاق ، والكتابة فى سعف النخل وهى : الجريد الذى لا خوص عليه ، ومن المسجد والكتاب ملأوا الدنيا علما وفنا واختراعا ، وبرهن طالب العلم المسلم على حماسة منقطعة النظير فى طلب العـلم ، فذلل العقبات التى قامت فى طريقه ، وتغلب على الصعوبات التى اعترضته ، ولم يكن الطريق الى طلب العلم فى هذه العصور ممهدا ، ولا كانت الحياة ميسرة ، ولكن الطالب المؤمن لا يكترث بالشوك ، ولا يبالى بالمخاطر ، هذا أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : ((لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفسرها لى الا رجل ببرك الغماد — أقصى مكان فى اليمن — لرحلت اليه)) ، وهذا الامام الشافعى رحمه الله يتحدث عن حياته فى طلب العلم فيقول : كنت يتيما فى حجر أمى ، ولم يكن لى مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه اذا قام .

فلما جمعت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث ، وكنت أكتب فى العظم فاذا كثر طرحته فى الجرة .

بهذه الروح الجادة ، وبهذه الرغبة القوية ، طلب أسلافنا العلم ، وأقبلوا عليه لا طلبا للمال ولا رغبة فى الجاه ، ولكن ارضاء لله واعلاء لدينه .

قالت صحف العالم

المؤتمر الاسلامى

يطبع هذا العدد ولا يزال المؤتمر الاسلامى الثالث المنعقد فى جدة يواصل اجتماعاته وفيما يلى نبذة عنه وعما سبقه من مؤتمرات اسلامية نقلا عن صحيفة الرأى العام الكويتية ..

المؤتمر الاسلامى الذى افتتحه جلالة الملك فيصل لوزراء خارجيـــة الدول الاسلامية هو المؤتمر الثالث للوزراء ، ويأتى انعقاده فى جدة للمرة الثانية بعد أن تعذر عقده فى أفغانستان لظروف خاصة ..

وكان المؤتمر الاول قد عقد فى جدة ، وعقد الثانى فى كراتشى وقد سبق جميع هذه المؤتمرات مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى الرباط بالمغرب ما بين ٩ ـــ ١٣ رجب الماضى حيث تمت الموافقة على انشاء المراكز الثقافية الاسلامية وتأكيد التعاون بين الدول المشتركة ، حيث جاء فى ختام أعماله : ايمانا من رؤساء الدول والحكومات والممثلين للدول الاسلامية التى حضرت مؤتمر القمة الاسلامى الاول بأن الوحدة عقيدة اسلامية وهى عامل قوى للتقارب بين الشعوب وتفاهمها ولعملهم على صيانة القيم الاسلامية الروحية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التى تبقى أحد العوامل الجوهرية لتحقيق التقدم ، وتعبيرا عن ايمانهم الراسخ بتعاليم الاسلام التى أقرت قاعدة المساواة التامة فى الحقوق بين جميع البشر ، وتأكيدا لالتزامهم بميثاق الأمم المتحدة بالحقوق الأساسية للانسان التى يربط ذاتها وأهدافها أساس مبنى للتعاون المثمر بين الشعوب ، وحرصا منهم على توثيق الروابط الأخوية والروحية التى تجمع بين شعوبهم ، وحفاظا على حريتها وتراث حضارتها المشتركة القائمة بصورة خاصة على مبادىء العدل والتسامح ، ونبذ التفرقة العنصرية ، وحرصا على توفير الرفاهية وتحقيق التقـــدم وتأكيد الحرية فى كافة أنحاء العالم ، وعزما على توحيد جهودهم لصيانة السلام والأمن الدولى ، لهذا كله يعلنون ما يلى :

ستتشاور حكوماتهم بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية الروحية وهى من تعاليم الاسلام الخالدة ، وتعلن التزامها بتسوية المشكلات التى قد تنشأ فيما بينها سلميا مما يؤكد مساهمتها فى تكريس السلام والأمن الدولى طبقا للأهداف ومبادىء الأمم المتحدة .

وقد عقد المؤتمر الأول لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى جدة يوم ١٥ محرم ٩٠ هـ/٢٥ مارس ٧٠ م حيث اشتركت فيه ٢٢ دولة اسلامية ووفود من الجامعة العربية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية وأقر فى هذا المؤتمر انشاء الأمانة العامة وجعل مقرها فى جدة ، كما أكد المجتمعون حقوق الشعب الفلسطينى ، ودعوا الى جعل حرق المسجد الأقصى هو يوم تضامن اسلامى .

ثم عقد المؤتمر الثانى فى كراتشى من ٢٦ ـــ ٢٨ ديسمبر واشتركت فيه ٢٣ دولة ، وقد دخلت مالى وتشاد كأعضاء فى هذا المؤتمر بينما تخلت السودان عـــن

المشاركة الحقيقية ، والكاميرون عن المراقبة ، وأكد المجتمعون فى هـــذا المؤتمر ما سبق وأعلن من القرارات فى المؤتمر السابق ، كما أدان العدوان البرتغالى على دولة غينيا ، وعهد الى مصر بالقيام بدراسات حول انشاء بنك انمائى اسلامى، وكذلك موافقة مبدئية على انشاء وكالة أنباء اسلامية دولية ، ولهـــذا الغرض — الوكالة — عقد مؤتمر فى طهران بدعوة من الحكومة الايرانية حيث تمت مناقشة المشروع من جميع نواحيه .

أما المؤتمر الثالث الذى جرى افتتاحه أمس كما أشرنا فى بداية مقالنا فيبدو أنه أهم المؤتمرات الاسلامية نظرا لكثرة الدول المشتركة وحرصها على اشراك الوزراء فى وفودها ، كما أن جدول أعمال المؤتمر يعالج ما تم اقراره أو اقتراحه خلال المؤتمرات السابقة ، وقد اتخذت الحكومة السعودية استعدادات كبيـــرة على طريق انجاح هذا المؤتمر كان من أهمها انشاء عدة لجان فى وزارة الخارجية السعودية .

أما الدول المشتركة فهى أفغانستان ، الجزائر ، مصر ، تشاد ، غينيا ، أندونيسيا ، ايران ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، ماليزيا ، مالى ، موريتانيا ، المغرب ، النيجر ، باكستان ، الصومال ، تونس ، السنغال ، اليمن ، تركيا ، الكاميرون ، البحرين ، عمان ، قطر ، الامارات العربية ، السودان ، سيراليون ، ووفد منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية ..

وتعتبر دول البحرين ، الكميرون ، عمان ، قطر ، الامارات العـــربية ، السودان ، سيراليون ، دولا جديدة تشترك لأول مرة فى المؤتمر الاسلامى .

وتأتى أهمية هذا المؤتمر بسبب الظروف الدولية والخاصة التى تحيط ببعض الدول كقضية فلسطين ، ومسلمى الفلبين وأنقسام الباكستان ، واستمرار احتلال اسرائيل لأجزاء من الدول العربية الاسلامية .

كما أن جدول أعماله يتضمن عدة نقاط أهمها :

١ — اقرار ميثاق المؤتمر حيث درس هذا الميثاق فى مؤتمر جدة وتم بحثه من قبل الحكومات المشتركة ، وتم تقديم التوصيات اللازمة ..

٢ — اقرار الميزانية العامة وحث الدول المشتركة على دفع بدل عضويتها ، وجدير بالذكر أن بدل العضوية هو عشرة آلاف دولار ..

٣ — تنظيم الجمعيات والمراكز الثقافية الاسلامية ، وقد نوقش هذا فى مؤتمر القمة بالرباط وأقر مبدئيا وهو يسعى الى توعية المسلمين فى البلاد التى تحكمها أقلية غير مسلمة ..

٤ — انشاء وكالة دولية اسلامية للأنباء — وقد نوقش هذا البند من قبل مؤتمر طهران وأرسلت التوصيات الخاصة بذلك الى الامين العـــام للمؤتمر الاسلامى ..

٥ — اقرار البنك الانمائى الاسلامى ، وقد نوقش فى المؤتمر المعقود مؤخرا فى القاهرة وحضرته وفود ١٨ دولة اسلامية وحققت مصر دراسات شاملة ويبدو أن جمهورية مصر العربية متحمسة للمشروع وتحبذ أن يكون مقره فى القاهرة ، ويستدل على ذلك من رئاسة السيد حسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية للوفد المصرى ، وخبير اقتصـــادى وأخيرا وليس آخرا أن أمنيـــات كثيرة معقودة على المؤتمر وسيكون الحكم على نجاحه من قراراته العملية التى سيتخذها ازاء الأحداث الراهنة .

الميثاق الالهى

يقول الله سبحانه : ((واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .)) كيف أخذ الله الميثاق من بنى آدم قبل أن يخلقوا ، وكيف أشهدهم على أنفسهم قبـــل أن يوجدوا ، وكيف خاطبهم بقوله ألست بربكم ، وكيف أجابوا بقولهم بلى شـــهدنا ..

عيسى النعمان ــ صنعاء

الله سبحانه ليس كمثله شيء ، وما دام الأمر كذلك فلا سبيل الى تشبيه فعله بفعل أى شيء ، والادراك البشرى لا يملك أن يدرك كيفيات فعل الله ، لأنه لا يملك أن يدرك ذات الله ، وكل محاولة لتصور كيفيات أفعال الله على مثال أفعال خلقه هى محاولة بعيدة عن الصواب ، فكيفية أخذ الله سبحانه الميثاق من ذرية بنى آدم المكنونـــة فى عالم الغيب غيب لا يمكن للعقل البشرى الوصول اليه وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذى يحكيه قوله : **((ثم استوى الى السماء وهى دخان))** و **((ثم استوى على العرش))** و **((يمحو الله ما يشاء ويثبت))** و **((والسموات مطويات بيمينه))** و **((جاء ربك والملك صفا صفاً))** و **((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم))** كل فعل من هذا القبيل لا بد من التسليم بوقوعه دون محاولة لادراك كيفيته .

وبعض المفسرين يرى أن الميثاق الذى أخذه الله على ذرية آدم هو ميثاق الفطرة ، ويقصد به أنه سبحانه وتعالى خلقهم مفطورين على الاقرار له بالربوبية والوحدانية ، وان التوحيد مركوز فى فطرهم لا يميلون عنه الا تحت تأثير عوامل خارجية ضالة مضللة ، وعزز هـــذا الفريق هذا التفسير بأحاديث تؤيد تأويله . منها ما رواه أبو هريرة قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((كل مولود يولد على الفطرة ــ وفى رواية على هذه الملة ــ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء))** .

وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله : **((انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم))** ..

.. ..

القضاء والقــدر

أسئلة كثيرة وردت للمجلة حول الجبر والاختيار وهل الانسان مسير أم مخير ، وقد عالجت المجلة هذا الموضوع بافاضة فى أعداد سابقة ، وقد وجه هذا السؤال الى الشيخ محمد الغزالى ، فأجاب عليه اجابة ساخرة من الجهلة المكثرين من ترداد هذا السؤال المتعللين لكسلهم وقصورهم بالقاء اللوم علـــى الأقدار ، قال :

سألنى سائل : هل الانسان مسير أم مخير ؟ فنظرت اليه فى ضيق شديد ، وقررت أن ألتوى معه فى الاجابة ، كما التوى هو مع فطرته فى هـــذا التساؤل ، وقلت له : الانسان نوعان : نوع يعيش فى الشرق ، ونوع يعيش فى الغرب ، والأول مسير والثانى مخير .. ففغر الرجل فاه عن ابتسامة هى بالضبط نصف تثاؤب الكسالى والعجزة والثرثارين الذين ينتشرون فى بلادنا ..

ثم قال : ما هذا الكلام ؟ اننى أسألك : هل للانسان ارادة حرة وقدرة مستقلة يفعل بهما ما يشاء ويترك ما يشاء ، أم هو مجبور ؟

فقلت له : إن القوم فى الغرب شعروا بأن لهم عقولا ، ففكروا بها حتى كشفوا المساتير من بدائع الكون ، وشعروا بأن لهم إرادة حرة فصمموا بها حتى التقت فى أيديهم مصاير الأمم ، وشعروا بأن لهم قدرة فجابوا المشارق والمغارب ، وصنعوا العجائب والروائع ..

أما نحن فهذا رجل من ألوف الألوف التى تزحم البلاد يأتى ليستفتى :
أله حقا عقل حر يستطيع أن يفكر به ؟
أله ارادة يستطيع أن يعزم بها ؟
أله قوة يستطيع أن يتحرك بها ؟

الرجل فى الغرب ألقى به فى تيار الحيلة فعلم أن له أعضاء يستطيع أن يعوم بها ، فظل يسبح مع التيار تارة وضده تارة أخرى حتى وصل الى الشاطىء .

أما هنا فلما ألقى بالرجل فى معترك الامواج بدأ يسائل نفسه : هل أنا حر حقا أم أنا جثة هامـــدة .. هل أنا حر أم أعضائى مقيدة .

ولكن التيار الجارف لا ينتظر نتائج هذه السفسطة ، فلا يلبث أن يطويه اليم مع الهالكين ..

اعمل أيها الرجل ، ولا تقل : هل أنا مسير أم مخير ؟

واستغل المواهب التى آتاك الله ، واشعر بان لك فى الحياة حقوقا وعليك واجبـــــات .

اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم المبنى المركزى للمواصلات السلكيــــــة واللاسلكية ، ومحطة الاستقبال والارسال ومعهد التدريب للمواصلات .

● رأس معالى وزير الخارجية والاعلام بالوكالة وفد الكويت الى مؤتمر وزراء خارجية الــدول الاسلامية الذى عقد فى السعودية فى الشهر الماضى .

● صرح معاليه بأن الكويت تستنكر الاعتداء الاسرائيلى على جنوب لبنان ، وأنها تؤكد مجددا وقوفها الى جانب لبنان الشقيق وتشجب هذا الاعتداء .

● صرح الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأنه انطلاقا مــن الخطة التى رسمتها الوزارة لتحقيق أهدافها فى نشر الدعوة الاسلامية ، وتوثيق الروابط الاخوية بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم .. فقد زادت اتصالاتها مع أبناء الجاليات الاسلامية ، والمراكـــز والجمعيات الاسلامية ، واتحادات الطلبة المسلمين فى مختلف القارات ، وخاصة فى اوربا والامريكتين واستراليا .. واستطاعت من خلال هذه الاتصالات أن تقف على أحوالهم وتدرس مشكلاتهم ، وتزيد من أواصر الاخوة الاسلامية بينهم وبين اخوانهم فى الكويت .

● عممت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على جميع الوزارات والمؤسسات الرسمية قرار مجلس الوزراء بالتبرع لصندوق المعونة الطبية بالنسبة لغير الكويتيين على أن لا تقل قيمة التبرع عــن مئة فلس ، وتترك الحرية لمن يريد زيادة نسبة التبرع ..

● زار الكويت فى الشهر الماضى وفد اسلامى من سيراليون يمثل منظمة الشــبان المسلمين الثقافية فى سيراليون ، ويهدف الوفد الى توطيد العلاقة بين مسلمى سيراليون والكويتيين .

● يعقد خلال هذا الشهر مؤتمر المناهج التعليمية بوزارة التربية ، وقد تأجل عن موعده السابق الذى كان مقررا فى الشهر الماضى بناء على رغبة بعض الهيآت والجمعيات الشعبية المشتركة فــى المؤتمر .

مصـــــر : نفى فضيلة شيخ الأزهر أن الأزهر وافق على تمثيل فيلم محمد رسول الله .

● يعقد فى شهر ربيع الثانى القادم (مايو) المؤتمر السابع لعلماء المسلمين ، وصرح الدكتور بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بأن المؤتمر تلقى عددا من البحوث الدينية التى تناقش القضايا المعاصرة لمناقشتها فى المؤتمر .

● عقد فى الشهر الماضى مؤتمر الانماء الاسلامى حيث وضعت خطة البنك الاسلامى عـــلى الأسس المصرفية الحديثة القائمة على الشريعة الاسلامية ، وينتظر لهذا البنك النجاح الكبير فـــى الدول الاسلامية .

● قام فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة مفتى مصر بزيارة الى ليبيا حيث بحثا مع المسئولين الليبيين بعض الترتيبات التى تتعلق بالشريعة الاسلامية كمصدر رئسى للقوانين الليبية .

● استقبل الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف زميله وزير الأوقاف فى فولتا العليا ، وقد اتفق الوزيران على تدعيم الدعوة الاسلامية والتعليم الدينى فى فولتا العليا .

السعودية : أعلن السيد حسن التهامى مستشار الرئيس السادات وهو فى السعودية أن جميع القوى العالمية بلا استثناء تجتمع اليوم ضد المسلمين لتقويض صرح الاسلام ، وأن هزيمة ٦٧ كانت نتيجة طبيعية للزيغ العقائدى الذى اجتاح عالمنا العربى عشرين سنة .

● عقد فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، وكان فى مقدمة الموضوعات التى ناقشها المؤتمر فكرة البنك الاسلامى لتدعيم التضامن الاسلامى .

● اتخذت اللجنة المشكلة من عدة جهات مسئولة توصيات بالمحافظة على الذات الاسلامى فى المنطقة الغربية .

● يعقد المؤتمر الاسلامى القادم فى كابل فى مايو سنة ١٩٧٣ .

● استنكرت رابطة العالم الاسلامى المجازر الوحشية التى ترتكبها القوات الهندية وقوات مايسى ببنجالادش بالبيهاريين المسلمين فى باكستان الشرقية .

سوريا : تبرعت سوريا بمبلغ ١٥٠ ألف ليرة سورية للمساهمة فى بناء معهد اسلامى فى امريكا

دبى : تأسس فى دبى صندوق لجمع التبرعات للدفاع عن باكستان ، وسترسل التبرعات فورا الى كراتشى .

الجمهورية العربية اليمنية : شكر رئيس وزراء اليمن الدول العربية على مساعدتها فى حقل التعليم ، وأكد أن التعليم هو الطريق للخروج من التخلف والانتصار على التحديات .

● طلب رئيس الوزراء من برنامج الغذاء العالمى المساهمة فى اعمار المناطق المنكوبة بالحرب الأهلية ، وتقدر مساعدة البرنامج الحالية بحوالى ١٠ ملايين دولار .

ليبيا : صرح العقيد معمر القذافى (أثناء زيارته لموريتانيا الاسلامية) أن الخمر واستعمال اللغة الأجنبية محظوران فى ليبيا ، وأن البلاد سائرة الى تطبيق اسلامى مخلص .

تونس : صدر بيان تونسى سعودى يقول انه لن يكون سلام فى المنطقة العربية الا بانسحاب اسرائيل من الارض العربية المحتلة ، وأكد البلدان دعمهما للأشقاء العرب وعزمهما على توسيع الروابط الثقافية والعلمية والتجارية بين البلدين .

● صدرت باللغة العربية صحيفة النصر ، وكانت تصدر بالفرنسية ، وسوف يتم تعريب صحيفتين أخريين عما قريب وهما صحيفتا المجاهد والاريبوبليك فى نطاق خطة التعريب للبلاد .

المغرب : قرر المؤتمر الاسلامى الأول لتنظيم الاسرة الذى عقد فى أواخر العام الماضى أن تنظيم النسل مباح ومسموح به بخلاف الاجهاض والتعقيم .

باكستان : اجتمع الرئيس الباكستانى ذو الفقار على بوتو بانديرا غاندى ومجيب الرحمن فى دلهى الشهر الماضى .

● أبلغ ناطق رسمى مؤتمرا صحفيا فى لاهور أن الرئيس بوتو يعتقد ان الكلمة الاخيرة فى باكستان لم تقل بعد وانه مازال يعتقد بامكان نوع من الصلة بين شطرى باكستان .

● أبلغ وزير الاعلام الباكستانى رؤساء تحرير الصحف الباكستانية بالغاء الرقابة على الصحف والمنشورات .

ماليزيا : صرح رئيس الوزراء ووزير الداخلية ان ماليزيا قد اتخذت كافة الاجراءات للقضاء على الخطر الشيوعى كما قال ان ٤٨ ارهابيا شيوعيا قد تم قتلهم فى العام الماضى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا‍م عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت